

شرح
منظومة
أشراط الساعة

لناظمها

محمد بن سعيد ابن طوق المري



تقديم فضيلة الشيخ الدكتور يوسف بن عبدالله الوابل حفظه الله

لمنظومة أشراط الساعة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على إمام المرسلين وخاتم النبيين نبينا وقدوتنا وحبيبنا محمد بن عبدالله وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

وبعد فقد اطلعت على النظم الذي ألفه الأخ الشيخ محمد المري في أشراط الساعة، وقد وفقه الله تعالى في هذا النظم المشتمل على الكلام المتعلق بالفتن والملاحم وأشراط الساعة الصغرى والكبرى وأحداث آخر الزمان، وهو نظم مبارك يدل على استيعاب الشيخ للأشراط، وفيه حسن السبك، وجميل الأبيات، وترتيب الأشراط، وقد وفقه الله في هذا النظم المبارك.

وأسأل المولى -عز وجل- أن ينفع به، وأن ييسر على طلاب العلم حفظ أشراط الساعة، وتقريبها للأذهان، وأن يجزي الناظم خير الجزاء على هذا الجهد المبارك، وأن يجعله في موازينه الصالحة، وأن يثبتنا جميعاً على دينه القويم، ويرزقنا الإخلاص والقبول، وأن يرزقنا الاستعداد لما يقربنا لرضوان الله وجنته، ويحسن العاقبة للجميع، ويجيرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة.

وصلّى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

بسم الله الرحمن الرحيم

- حَمْدًا لَكَ اللَّهُمَّ لَا شَرِيكَ لَكَ (١) وَارِثَ كُلِّ مَالِكٍ وَمَا مَلَكَ
وَأَكْمَلَ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ (٢) عَلَى أَجَلِ الرُّسُلِ الْكَرَامِ
نَبَّيْنَا الْمُخْتَارِ عَذْبِ الرُّوحِ (٣) أَزْكَى الْخَلَائِقِ فَدَثْنُهُ رُوحِي
هَذَا وَمَا رَأَيْتُ حَتَّى السَّاعَةِ (٤) نَظْمًا لِأَشْرَاطِ قِيَامِ السَّاعَةِ
لِذَا دَعَوْتُ مَنْ إِلَيْهِ الْحُكْمُ (٥) فَقَالَ: كُنْ فَكَانَ هَذَا النَّظْمُ

الأشراط الصغرى

- أَوَّلُهَا ^١مَبْعَثُ أَزْكَى الْأَنْفُسِ (٦) ^٢فَمَوْتُهُ، ^٣فَفَتْحُ بَيْتِ الْمُقَدَّسِ
^٤طَاعُونَ عَمَّوَسَ، ^٥وَفَيْضُ الْمَالِ (٧) ^٦وَالْأَمْنُ فِي السَّيْرِ وَالْإِزْتِحَالِ
^٧قِتَالُ تُرْكٍ، ^٨وَقِتَالُ الْعَجَمِ (٨) ^٩نَارُ الْحِجَازِ بِبِلَادِ الْحَرَمِ

ما ظهر
وانقضى

- ^{١٠}وَكَثْرَةُ الْفِتَنِ وَالْمَنَاجِرِ (٩) كَقَتْلِ عُثْمَانَ الْإِمَامِ الصَّابِرِ
مُروِقُ شَرِّ الْخَلْقِ وَالْخَلِيقَةِ (١٠) وَوُقُوعُ الْحَرَّةِ بِالْمَدِينَةِ
سَلَامَةُ الْمُسْلِمِ فِي وَقْتِ الْفِتَنِ (١١) ^{١١}بِالْإِتِّبَاعِ لِلنَّبِيِّ الْمُؤْتَمَنِ
^{١٢}تَعَوُّذُ مَنْ ظَفَرَهَا وَنَاجَهَا (١٢) ^{١٣}وَتَرْكُ سَعْيِ الْمَرْءِ فِي أَسْبَابِهَا
^{١٤}قَفْوُ الْجَمَاعَةِ مَعَ ^{١٥}التَّعَبُّدِ (١٣) ^{١٦}وَالصَّبْرُ مَعَ ^{١٧}كَفِّ اللِّسَانِ وَالْيَدِ
يَا رَبِّ سَلِّمْنَا وَحَقِّقْ أَمَنَّا (١٤) وَلِتَكْفِنَا يَا رَبِّ مَا أَهَمَّنَا
^{١٥}ظُهُورُ كَذَّابِينَ كُلِّ لَاهٍ (١٥) يَزْعُمُ أَنََّّهُ رَسُولُ اللَّهِ
مِثْلُ مُسَيْلِمَةَ الْكَذَّابِ (١٦) وَابْنِ أَبِي عُبَيْدٍ الْمُزْتَابِ
وَالْأَسْوَدِ الْعَنْسِيِّ، وَمِرْزَا الْمُفْتَرِي (١٧) وَلَا نَبِيَّ بَعْدَ أَزْكَى الْبَشَرِ
^{١٢}وَكَثْرَةُ الشُّرَطِ وَالْمَذْمُومِ مَا (١٨) كَانَ لِتَعْذِيبِ الْعِبَادِ سُلْمًا

ما ظهر
ولا يزال
يتتابع

- أَمَّا إِذَا كَانَ لِبَسَطِ الْعَدْلِ (١٩) فَلَيْسَ هَذَا دَاخِلًا فِي الْعَدْلِ
- ١٣ غَرْبَلَةٌ وَقَلَّةُ الْأَخْيَارِ (٢٠) ١٤ تَتَّبِعُ لِسَنَنِ الْكُفَّارِ
- ١٥ تَنَافُرٌ، ١٦ تَطَاوُلُ الْبُنْيَانِ (٢١) ١٧ تَقَارُبُ الْأَسْوَاقِ ١٨ وَالزَّمَانِ
- وَأَنْ يَشِيعَ فِي الْأَنَامِ ١٩ الشَّرُّ (٢٢) ٢٠ فُحْشٌ ٢١ قَطِيعَةٌ ٢٢ وَزُورٌ ٢٣ حَمَرٌ
- ٢٤ شِرْكٌ ٢٥ تَشَبُّبٌ ٢٦ وَشَحٌّ ٢٧ جَهْلٌ (٢٣) ٢٨ زِنَى ٢٩ رَبًّا ٣٠ مَعَارِزٌ ٣١ وَقَتْلٌ
- ٣٢ زَلَزَلٌ ٣٣ تَجَارَةٌ ٣٤ وَكَتَبٌ (٢٤) ٣٥ تَشَدُّقٌ ٣٦ سُوءُ الْجَوَارِ ٣٧ الْكِذْبُ
- هَذَا وَمِنْ أَشْرَاطِهَا الْجَلَائِلِ (٢٥) ٣٨ أَنْ يُسْنَدَ الْأَمْرُ إِلَى الْأَسَافِلِ
- ٣٩ وَيُطْلَبَ الْعِلْمُ عَلَى أَهْلِ الْبِدْعِ (٢٦) ٤٠ وَيَحْوِي الدُّنْيَا لُكَيْعُ ابْنٍ لُكَعٌ
- رُوبِضٌ فَوْسِقٌ فَسَلٌ بَرَمٌ (٢٧) مِنْ قِمَّةِ الرَّأْسِ لِأَحْمَصِ الْقَدَمِ
- أَجْهَلٌ فِي الْعُلُومِ مِنْ هَيِّ بْنِ يَئٍ (٢٨) أَحْمَلٌ لِلنِّفَاقِ مِنْ نَجَلِ أَبِي
- يُقَالُ: مَا أَظْرَفُهُ وَأَعْقَلُهُ (٢٩) وَلَا يُسَاوِي عِنْدَ رَبِّي خَرَدَلُهُ
- ٤١ ظُهُورٌ مَنْ يَتَّخِذُ الْقُرْآنَا (٣٠) زَمَارَةً يُرْجِّعُ الْأَلْحَانَا
- يُقِيمُهُ إِقَامَةً السِّهَامِ (٣١) وَلَيْسَ يَرْنُو لِسَوَى الْحُطَامِ
- ٤٢ وَمَوْتُ فَجَاءَةٍ، ٤٣ وَبَعْجٌ مَكَّةِ (٣٢) ٤٤ وَغُرْبَةٌ أَعْظَمُ بِهَا مِنْ غُرْبَةٍ
- ٤٥ وَلَادَةُ الْأَمَةِ رَجْمًا، ٤٦ وَأَنْ (٣٣) يَنْتَفِخَ الْهَلَالُ آخِرَ الزَّمَنِ
- ٤٧ وَرَدُّ سُنَّةٍ، ٤٨ تَدَاعِي الْأُمَمِ (٣٤) ٤٩ وَيَعُ حُكْمٌ، ٥٠ صِدْقٌ رُؤْيَا الْمُسْلِمِ
- ٥١ وَالْكَاسِيَاتُ الْعَارِيَاتُ، ٥٢ زَخْرَفَهُ (٣٥) ٥٣ فَقَدْ الْأَمَانَةَ، ٥٤ سَلَامُ الْمَعْرِفَةِ
- ٥٥ وَأَنْ تُرَى بُيُوتُ رَبِّي الْبَارِي (٣٦) مُجْتَازًا أَوْ لِفَرْجَةِ الْكُفَّارِ

- ٥٦ عَوْدُ الْجَزِيرَةِ مُرُوجًا وَنَهْرٌ (٣٧) ٥٧ قُلُ النَّبَاتِ مَعَ كَثْرَةِ الْمَطَرِ
- ٥٨ وَيَحْسِرُ الْفَرَاتُ جَزْمًا عَنْ جَبَلٍ (٣٨) مِنْ ذَهَبٍ جَمٍّ عَلَيْهِ يُقْتَتَلُ

ما لم
يظهر
بعد

- وَقَدْ نَهَى عَنْهُ نَبِيُّنَا لِمَا (٣٩) يَكُونُ مِنْ قَتْلِ وَسَفْكِ لِدِمَا
- ٥٩ كَذَا تَمَيَّنِي الْمَوْتِ مِنْ بَرْحِ الْبَلَا (٤٠) وَأَنْ تُكَلِّمَ السِّبَاعُ الْعُقُلَا
- كَذَا الْجَمَادُ كَشْرَاكَ نَعْلِهِ (٤١) وَفَخَذَهُ تُخْبِرُهُ عَنْ أَهْلِهِ
- ٦١ قُلُ الرِّجَالِ، ٦٢ فِتْنٌ دَهِيَاءُ (٤٢) الْأَخْلَاسُ وَالسَّرَّاءُ وَالِدَهْمَاءُ
- ٦٣ خَرَابٌ طَيِّبَةٌ، ٦٤ فُشُو الرُّومِ (٤٣) قِتَالُهُمْ فِي الْخَبَرِ الْمَعْلُومِ
- ٦٥ وَفَتَحَ قُسْطَنْطِينَةُ ٦٦ وَرُومِيَّةَ (٤٤) نَفِي الْمَدِينَةِ الشَّرَارَ فَادْرِيَّةَ
- ٦٨ قَتَلَ الْيَهُودَ آخِرَ الزَّمَانِ (٤٥) ٦٩ خُرُوجُ جَهْجَاهٍ كَذَا ٧٠ الْقَحْطَانِي
- ٧١ رَفَعَ الْقُرْآنَ، ٧٢ تَرَكُ حَجٍّ، ٧٣ خَسَفُ (٤٦) - إِنْ ظَهَرَ الْقِيَانُ - مَسْخُ قَذْفُ
- ٧٤ نَقَضُ غُرَى الْإِسْلَامِ حَتَّى لَا يُرَى (٤٧) مَنْ يَعْرِفُ اسْمَ اللَّهِ مِنْ بَيْنِ الْوَرَى
- ٧٥ وَيُخْرِبُ الْكَعْبَةَ دُونَ مَينِ (٤٨) الْحَبَشِيُّ ذُو السُّوَيْقَتَيْنِ
- يَسْلُبُهَا حَلِيَّتَهَا الْأَصِيلُ (٤٩) الْأَفْحَجُ الْأَسْوَدُ وَالْأَفِيدُ
- ٧٦ وَبَعَثَ رِيحَ يَمَنِ وَشَامِ (٥٠) تَقْبِضُ مَنْ كَانَ عَلَى الْإِسْلَامِ
- هَذَا وَمِنْ أَشْرَاطِهَا ٧٧ الْمَهْدِيُّ (٥١) فِي لَيْلَةٍ يُضْلِحُهُ الْعَلِيُّ
- وَهُوَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ (٥٢) مَنْ نَسَلَ سَيِّدِ الْوَرَى الْأَوَّاهِ
- فَيَمْلَأُ الْأَرْضَ جَمِيعًا عَدْلًا (٥٣) سَبْعَ سِنِينَ. وَهُوَ أَقْنَى أَجْلَى
- يُقَسِّمُ الْمَالَ بِغَيْرِ عَدَدٍ (٥٤) فَيَنْعَمُ النَّاسُ بِعَيْشٍ رَغْدٍ
- وَقَدْ تَوَاتَرَتْ بِهِ الْأَخْبَارُ (٥٥) وَأَمَنْتُ بِأَمْرِهِ الْأَخْيَارُ
- وَأِنْ عَلَى بَابِكَ جَا الْمَهْدِيُّ (٥٦) لَا تَتَّبِعْهُ قَالَهُ الثَّوْرِيُّ
- حَتَّى تَرَى اجْتِمَاعَهُمْ عَلَيْهِ (٥٧) وَرَدَّهُمْ أُمُورَهُمْ إِلَيْهِ
- وَهَذِهِ بَصِيرَةٌ فِي الْفِتَنِ (٥٨) وَهِيَ لُزُومُ الْحِلْمِ وَالتَّبَيُّنِ
- فَمَا أَوْى شَيْءٌ إِلَى شَيْءٍ كَمَا (٥٩) حِلْمٌ أَوْى إِلَى صُدُورِ الْعُلَمَا
- وَأَنْ تَكُونَ تَابِعًا فِي الْخَيْرِ (٦٠) خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَكُونَ رَأْسَ ضَيْرِ

وَكَانَتْ الْعَرَبُ تَكْنِي الْعَجَلَةَ (٦١) أَمْ النَّدَامَاتِ فَبُئْسَ الدَّغْلَةُ
فَالزَّمْ أَخِي غَرَزَ أَهْلَ الْعِلْمِ (٦٢) وَلَا تَحْذَ عَنْ فَهْمِهِمْ وَالْحُكْمِ
وَاحْذَرْ مِنَ الْبِدَارِ بِالتَّنْزِيلِ (٦٣) وَكُلُّهُ لِلْعَالِمِ بِالتَّوِيلِ

الأشراط الكبرى

لَيْسَ مَعَ الْأَيَّامِ وَاللَّيَالِي (٦٤) أَكْبَرُ فِتْنَةٍ مِنَ **الدَّجَالِ**
لِذَاكَ قَدْ حَذَّرَهُ كُلُّ نَبِيٍّ (٦٥) وَهَآكَ مِنْ أَوْصَافِهِ فِي الْكُتُبِ:
أَزْهَرُ أَفْمَرُ هِجَانٍ أَحْمَرُ (٦٦) أَذْفَى قَصِيرُ وَعَقِيمُ أَغْوَرُ
أَفْحَجُ أَجْعَدُ جُفَالُ الشَّعْرِ (٦٧) أَجْلَى جَسِيمُ وَعَرِيضُ النَّحْرِ
وَبَيْنَ عَيْنَيْهِ يُرَى قَدْ كَفَرَا (٦٨) يَقْرُؤُهَا الْمُسْلِمُ مِنْ غَيْرِ امْتِرَا
يَدْخُلُ كُلُّ بَلَدٍ يَسِيحُ (٦٩) كَالْغَيْثِ لَمَّا اسْتَدْبَرَتْهُ الرِّيحُ
عَنْ مَكَّةٍ وَطَبِيعَةٍ سَيْفُصَى (٧٠) وَمَسْجِدِ الطُّورِ كَذَاكَ الْأَقْصَى
وَأَرْبَعُونَ مَكْنُوءَةً فِي قَدَرِ (٧١) عَامٍ وَشَهْرَيْنِ وَنِصْفِ شَهْرٍ
يُعْطَى مِنَ الْخَوَارِقِ الْعُجَابَا (٧٢) وَيَبْهَرُ الْعُقُولَ وَالْأَلْبَابَا
جَنَّتْ لَهُ نَارٌ وَأَمَّا نَارُهُ (٧٣) فَجَنَّةٌ وَمَعَهُ أَهْلُ نَارِهِ
تُجِيبُ أَمْرَهُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ (٧٤) بِقُدْرَةِ اللَّهِ وَهَذَا بَعْضُ
أَتْبَاعِهِ ^(١) يَهُودُ أَصْـبَهَانَ (٧٥) سَبْعُونَ أَلْفًا مِنْ ذَوِي السَّيْجَانِ
^(٢) وَالْعُجَمُ ^(٣) وَالْتُرْكُ وَجَمْعُ رَابِي (٧٦) ^(٤) مِنَ النِّسَاءِ ^(٥) وَمِنْ الْأَعْرَابِ
أَمَّا أَشَدُّ أُمَّةٍ الْكَرِيمِ (٧٧) عَلَيْهِ فَالْعُرُّ بَنُو قَمِيمِ
هَلَاكُهُ بِبَابٍ لَدٍّ فَاعْلَمْ (٧٨) عَلَى يَدِ الْمَسِيحِ نَجْلٍ مَرِيمِ
وَشَاعَ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ إِشْكَالُ (٧٩) هَلِ ابْنُ صَيَّادٍ هُوَ الدَّجَالُ؟
لَيْسَ بِهِ عَلَى الصَّحِيحِ الدَّانِي (٨٠) وَإِنَّمَا كَانَ مِنَ الْكُفَّانِ

- يُنْجِي مِنَ الدَّجَالِ: ^(١) حِفْظُ أَوَّلِ
- فَاجْهَلُ أَصْلُ الْفِتَنِ الْعِظَائِمِ
- ^(٣) تَعَوُّذُ بِاللَّهِ ذِي الْجَلَالِ
- ثُمَّ ^{٧٩} ابْنُ مَرْيَمَ مِنَ الْأَعْلَامِ
- وَذَا لَدَى الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ
- فَإِنْ يُرْفَعُ رَأْسُهُ تَحَدَّرَا
- يَمُوتُ مَنْ نَفْسِهِ مَنْ كَفَرَا
- فَيَقْتُلُ الْحَنْزِيرَ، وَالصَّالِيَا
- وَيَرْجِعُ السِّلْمَ إِلَى الْأَنَامِ
- يُحْكَمُ بِالسَّنَةِ وَالْقُرْآنِ
- يَشِيْعُ فِي زَمَانِهِ الرَّخَاءُ
- مَنْ وَصَفِهِ الْوَارِدُ: سَبَطُ الشَّعْرِ
- آدَمُ جَعْدٌ رَبْعَةٌ فِي النَّاسِ
- يَمْكُثُ أَرْبَعِينَ فِي الْأَنَامِ
- هَذَا ^{٨٠} وَيَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ هُمَا
- مَنْ وَصَفِهِمْ فِي الْخَبَرِ الْمُصَدَّقِ:
- ذُلْفُ الْأُنُوفِ، وَصِغَارُ الْأَعْيُنِ
- كَالتُّرْكِ فِي الْأَشْكَالِ وَالْأَلْوَانِ
- حَتَّى إِذَا مَا وَعَدُ رَبَّنَا اقْتَرَبَ
- أَوْحَى إِلَى ابْنِ مَرْيَمَ إِلَهِي:
- وَالنَّاسُ لِلْخُصُوفِ يَنْحَاذُونَ
- حَتَّى إِذَا مَا أَفْسَدُوا وَقَتَّلُوا
- ^(٨١) عَشْرٍ مِنَ الْكَهْفِ، ^(٢) وَعِلْمٌ بِالْعَلِيِّ
- ^(٨٢) وَالْعِلْمُ وَالْإِيمَانُ أَمْنُ الْعَالَمِ
- ^(٨٣) ^(٤) وَالنَّأْيُ بِالنَّفْسِ مِنَ الدَّجَالِ
- ^(٨٤) يَنْزِلُ عَدْلًا حَكَمًا بِالشَّامِ
- ^(٨٥) مَعَ مَلَكَينَ، مِنْ عُلُوِّ جَاءِ
- ^(٨٦) مِنْهُ جُمَانٌ أَوْ يُطَاطَى قَطَرَا
- ^(٨٧) وَمُنْتَهَى نَفْسِهِ حَيْثُ يَرَى
- ^(٨٨) يَكْسِرُهُ، وَيَضَعُ الْحُرُوبَا
- ^(٨٩) وَلَيْسَ يَقْبَلُ سِوَى الْإِسْلَامِ
- ^(٩٠) مُتَّبِعًا نَبِيَّنَا الْعَدْنَانِي
- ^(٩١) وَتَذْهَبُ الشَّحْنَاءُ وَالْبَغْضَاءُ
- ^(٩٢) أَحْمَرُ رَجُلٌ وَعَرِيضُ الصَّدْرِ
- ^(٩٣) كَأَنَّمَا خَرَجَ مِنْ دِيْمَاسِ
- ^(٩٤) وَقِيلَ: سَبْعَةٌ مِنَ الْأَغْوَامِ
- ^(٩٥) مِنْ نَسْلِ يَافِثٍ وَنَسْلِ آدَمَا
- ^(٩٦) وَجُوهُهُمْ مِثْلُ الْمَجَنِّ الْمَطْرَقِ
- ^(٩٧) صُهْبُ الشَّعَافِ. بِالصَّحِيحِ فَاعْتَنِ
- ^(٩٨) وَمَا خَلَقَ بِهِمْ يَدَانِ
- ^(٩٩) وَأَقْبَلَتْ يَأْجُوجُ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ
- ^(١٠٠) حَرَّزَ إِلَى الطُّورِ عِبَادَ اللَّهِ
- ^(١٠١) وَالْقَوْمُ فِي الْبِلَادِ يَنْسِلُونَا
- ^(١٠٢) وَأَمْعَنُوا فِي تِيهِهِمْ وَأَوْغَلُوا

- وَوَجَّهُوا نُشَاهَجَهُمْ إِلَى السَّمَاءِ (١٠٣) وَرَدَّهَا اللَّهُ وَقَدْ شَيِّتَ دَمًا
 جَارَ عَيْسَى وَالْوَرَى فِي الضُّرِّ (١٠٤) إِلَى مُجِيبِ دَعْوَةِ الْمُضْطَرِّ
 فَأَرْسَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ نَغْفَا (١٠٥) يَتْرُكُهُمْ فَرْسَى، وَأَرْجَى الْوُطْفَا
 يَقْذِفُ أَجْسَامَهُمْ فِي الْبَحْرِ (١٠٦) وَيَنْعَمُ النَّاسُ بِعَيْشٍ نَضْرٍ
 مِنْهَا ^{٨١، ٨٢، ٨٣} ثَلَاثَةُ خُسُوفٍ تُرْتَقِبُ (١٠٧) فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ وَفِي أَرْضِ الْعَرَبِ
 كَذَا ^{٨٤} دُخَانٌ وَاضِحٌ يَغْشَى الْبَشَرَ (١٠٨) جَمِيعَهُمْ مُؤْمِنَهُمْ وَمَنْ كَفَرَ
 كَذَا ^{٨٥} طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا (١٠٩) عَلَامَةٌ مُفْزِعَةٌ أَعْظَمُ بِهَا
 فَلَيْسَ يُجْدِي كَافِرًا إِيمَانُهُ (١١٠) وَلَا عَصِيًّا مُسْرِفًا إِحْسَانُهُ
 ثُمَّ خُرُوجُ ^{٨٦} دَابَّةٍ فِي الْإِثْرِ (١١١) تَسِمُ بِالْإِيمَانِ أَوْ بِالْكَفْرِ
 تُكَلِّمُ النَّاسَ وَتُنْذِرُ الْبَشَرَ (١١٢) وَوَصَفُهَا مَا صَحَّ فِيهِ مِنْ خَبَرٍ
 وَآخِرُ الْآيَاتِ ^{٨٧} نَارٌ حَاشِرَةٌ (١١٣) تَسُوقُهُمْ لِلشَّامِ قَبْلَ الْآخِرَةِ
 وَالنَّاسُ فِي الْحَشْرِ عَلَى مَرَاتِبَا (١١٤) فَوْجٌ يَسِيرُ رَاغِبًا وَرَاهِبًا
 وَالثَّانِ مِنْ قِلَّةِ ظَهْرِ يَعْتَقِبُ (١١٥) أَمَّا الْبَقِيَّةُ فَمَسْحُوبٌ مُكَبٌّ
 وَالنَّارُ مَعَهُمْ بِحَيْثُ سَارُوا (١١٦) مَنْ يَتَخَلَّفُ أَكَلَتْهُ النَّارُ

الختامة

- وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي تَفَضَّلَا (١١٧) فَتَمَّ مَا قَدْ رُمْتُهُ مُكَمَّلَا
 حَاشَيْتُهُ مِنْ حَشْوٍ أَوْ طُولٍ يُمَلِّ (١١٨) خَيْرُ كَلَامٍ الْمَرْءُ مَا قَلَّ وَدَلَّ
 حَافِظْتُ جَاهِدًا عَلَى أَلْفَاظٍ مَا (١١٩) جَاءَ فَأَضْحَى مِثْلَ عَقْدٍ مُنَمَّا
 يَا رَبِّ يَا رَبِّ تَقَبَّلِ الْعَمَلِ (١٢٠) وَاغْفِرْ إِلَهِي مَا بِهِ مِنَ الْخَلَلِ
 وَلِتَجْعَلَنَّهُ خَالِصًا بِلا رِيَا (١٢١) لَوَجْهِكَ الْكَرِيمِ يَا ذَا الْكِبْرِيَا
 رَبَّاهُ يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ (١٢٢) وَكَاشِفَ الْكَرْبِ عَنِ الْمَكْرُوبِ
 ثَبِّتْ قُلُوبَنَا عَلَى الْإِيمَانِ (١٢٣) وَنَجِّنَا مِنْ شَرِّكَ الشَّيْطَانِ
 وَلَا تُزِغْ قُلُوبَنَا وَعَافِنَا (١٢٤) وَمِنْ شُرُورِ الْخَلْقِ رَبَّنَا قِنَا
 بِكَ الْعِيَاذُ يَا عَظِيمَ الطَّوْلِ (١٢٥) مِنْ كُلِّ فِتْنَةٍ وَكُلِّ هَوْلٍ
 وَهَبْ لَنَا دَوَامَ الْإِشْتِغَالِ (١٢٦) بِالْعِلْمِ وَالطَّاعَةِ كُلِّ حَالٍ
 وَاخْتِمْ لَنَا بِالْخَيْرِ وَالسَّعَادَةِ (١٢٧) وَأَوَّلِنَا الْحُسْنَى مَعَ الزِّيَادَةِ
 وَاشْمَلْ بِهَذَا مَنْ لَهُ حَقٌّ عَلَيَّ (١٢٨) وَكُلِّ مَنْ أَحْسَنَ يَا رَبِّ إِلَيَّ
 وَصَلِّينَ وَسَلِّمْنَ أَهْلَ الْكَرَمِ (١٢٩) عَلَى النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى خَيْرِ النَّسَمِ
 وَالْأَلِّ وَالْأَصْحَابِ ثُمَّ أَخْتِمُ (١٣٠) بِالْحَمْدِ وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ

الاثنين ٢٢ ربيع الآخر ١٤٤٥

المدينة النبوية

<https://t.me/drooselmia>

تقريظ منظومة أشراط الساعة

تقريظ فضيلة الشيخ خبيب بن عبد القادر الواضحي حفظه الله

طالعتُ يا مُرِّي هُذِي الحُرَّة
لدى تلمسان البلادِ الغُرَّة
إذا بها في العينِ أسنى دُرَّة
قد طوّقتُ جيدَ الأُلى من مُرَّة
في طُرّة يا حَبْذا من طُرّة
جميلةٌ من المعاني ثَرَّة
تولي النفوسَ أهناً المسرّة
وتنذر المقصّرَ المعرّة
وتعظُ الجنّادلَ المغترّة
تُذكّرُ التّوائِبَ المعترّة
عافاك ربّي ووقى المضرّة
ودمتَ فينا ما حييتَ قرّة
تعلو اليَفَاعَ كَرّةً فكَرّة

تقريظ فضيلة الشيخ حماد بن أحمد الجكني الشنقيطي حفظه الله

قد جَمَعَ الأَشْرَاطُ لِلسَّاعَةِ بَرًّا
 فقد شَفَى بالجمع والتحرير
 حَتَّمْ عَلَيْنَا حَفْظَ مَا أَشَاعَهُ
 جزاك ربك ابن طوق المري
 لا زلت في العلم رفيع القدر
 جَعَلَنَا اللَّهُ مِنَ الَّذِينَ
 ومنه في الأشراف ذا الجمع المفيد
 قَرَنَ مَا جَمَعَ مِنْهَا بِالْأَثَرِ
 نَهْمَةً كُلِّ عَالِمٍ نَحْرِيرِ
 بِالنَّظْمِ مِنْ أَشْرَاطِ يَوْمِ السَّاعَةِ
 على الذي حَقَّقْتَهُ بِمَرِّ
 تُدْنِيهِ بِالتَّقْسِيمِ أَوْ بِالسَّيْرِ
 لِأَحْسَنِ الْمَقَالِ يَتَّبِعُونَا
 عَنِتْ جَمَعَ شَيْخَنَا نَجَلٍ سَعِيدٍ

٣٠ ذو الحجة ١٤٤٤

تقريظ فضيلة الشيخ محمد بن أحمد زاروق الشاعر الشنقيطي حفظه الله

منظومة خَدَلَتْ يَسْبِيكَ نَاطِرُهَا
 لها بُرَى وَدَمَالِجٌ مِنَ الذَّهَبِ
 وشمسها إِذْ بَدَا فِي الْغَرْبِ طَالِعُهَا
 قَامَتْ قِيَامَةً أَهْلُ الْعِلْمِ وَالْأَدَبِ

٣٠ ذو الحجة ١٤٤٤

شَرَحَ

مَنْظُومَةٍ

أَشْرَاطِ السَّاعَةِ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبيِّنا مُحَمَّدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فهذه مجالسُ في مداواة أشراف الساعة^(١).

وهذا الباب قد أولاهُ النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عنايةً عظيمة؛ لذا كثرت فيه الأحاديث، ولم يخلُ منها مُصَنَّفٌ من مُصَنِّفات السُّنَّة حتى قال القاضي عياض -رحمه الله-: "والأحاديث في هذا الباب بحرٌ لا يُدرِكُ قَعْرُهُ، ولا يُنَزَفُ غَمْرُهُ"^(٢).

وذكر البرزنجي في صدر كتابه الإضاءة لأشراف الساعة^(٣) أن الأحاديث فيه لا تكاد تنحصر، وبابٌ أَكْثَرَ النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- من ذِكْرِهِ، وَعَظَّمَ من أمرِهِ، وأولاهُ كُلَّ هذه العناية حريٌّ بك أن تكون به حفيًّا.

ثم العلمُ بأشراف الساعة والتَّفَقُّهُ فيها يوقِظُ القلب من غفلته، ويحملُ على الاستعداد لليوم الآخر، وقد قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سِتًّا»^(٤) وذكر بعض أشراف الساعة؛ فالعلمُ بأشراف الساعة يحملُ على المبادرة إلى الصالحات والتزوُّد للدار الآخرة، قال تعالى: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا آلَ سَاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾ [محمد: ١٨]. قال البرزنجي^(٥): "لذا كان حقًّا على كل عالمٍ أن يُشيع أشرافها، ويُبَيِّن الأحاديث والأخبار الواردة فيها بين الأنام، ويسرُّدها مرةً بعد أخرى على العوام؛ فعسى أن

(١) أصل هذه المادَّة مجالسُ نَظَّمَهَا مركز الثُّبُل في شهر جمادى الأولى من عام ١٤٤٥ لقراءة واستشراح منظومة أشراف الساعة وقد تَمَّت بتوفيق الله في ثلاثة عشر مجلسًا ثم فُرِّغَتْ وقد اطلَّع الشارح على هذه الأوراق قبل نشرها فراجعها ونقَّح مادتها وخرَّج أحاديثها ووَثَّقَ نقولها وأعاد صياغة مواضع يسيرة منها بما يتناسب مع الكتاب المقروء.

وقد كان جُلُّ الاعتماد في النظم والشرح على كتابين هما أشراف الساعة للشيخ الدكتور يوسف بن عبدالله الوابل وأحاديث أشراف الساعة وفقهها للشيخ الدكتور محمد بن غيث أدام الله نفعهما وبارك فيهما وأجرى الخير على يدهما ثم زيدت عليهما في النظم والشرح زوائد كثيرة من غيرهما من كتب أشراف الساعة وغيرها.

(٢) (٦٥٠/١).

(٣) ص ٢٦.

(٤) أخرجه مسلم (٢٩٤٧).

(٥) الإضاءة لأشراف الساعة ص ٢٦.

ينتهوا عن بعض الذنوب، ويلين منهم بعض القلوب، وينتهوا من سَنَةِ الغفلة، ويغتنموا المهلة قبل الوهلة".

وهذه الثمرة من أعظم ثمرات العلم بأشراط الساعة، فالحديث عن أشراط الساعة يُرَقِّقُ القلوب، ويحملُ على التوبة، والانتباه من الغفلة، والمُسارعة إلى الأعمال الصالحة، وهذه هي الحكمة من تقديم الأَشراط بين يدي الساعة.

ثم إن موضوع أشراط الساعة **يندرجُ تحت الإيمان باليوم الآخر**، وهو جزء لا يتجزأ منه، فتحقيقُ الإيمان به من تحقيق الإيمان باليوم الآخر.

وهو بابٌ عظيمٌ من أبواب الدين، ففي حديث جبريل المشهور حين سأل النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عن الإسلام والإيمان والإحسان، ثم سألَه بعد ذلك عن الساعة وأماراتها، قال النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في آخر الحديث: **«هذا جبريلُ أتاكم يُعَلِّمُكُمْ دينَكُمْ»**^(١) فانظر كيف ذكر موضوع أشراط الساعة في هذا الحديث العظيم الذي فيه خلاصة الدين؛ فدل على أنه بابٌ عظيمٌ من أبواب الدين.

ثم إخبارُ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عن أمورٍ غيبيةٍ مُستقبلةٍ ووقوعها كما أخبر **من أعظم دلائل نبوته -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-**، وقد أخرج البخاري في صحيحه أحاديث من أحاديثِ أشراط الساعة، وترجم عليها بقوله: "باب علامات النبوة في الإسلام". فكلما رأى المسلم تحقّق هذه العلامات بعينه ازداد إيمانًا و يقينًا.

مثلاً: قال النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في أمارات الساعة: **«وَأَنْ تَرَى الحُفَاةَ العُرَاةَ العالةَ رِعاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوُلُونَ فِي البُنْيَانِ»**^(٢). واليومَ يوجد من كان يرعى الغنم، وهو الآن من أصحاب ناطحات السحاب!

وأخبر -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عن كثرة الهرج والفتن، وعن كثرة الزلازل، وعن ظهور الجهل، وهذا كُلُّه نراه في زماننا حتى كأن النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ينظر إلى زماننا ويَصِفُهُ.

^(١) أخرجه البخاري (٥٠)، ومسلم (٩) من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه-، وأخرجه مسلم (٨) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

^(٢) انظر تخريجه في الحاشية السابقة.

ثم من ثمرات العلم بأشراط الساعة: معرفة التعامل الشرعي مع الفتن والأشراط عند وقوعها، ومعرفة حكم الله تعالى فيها.

فمن ذلك: أنه -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أخبر أن الدجال يمكث أربعين يومًا، وَأَيَّامُهُ «يَوْمٌ كَسَنَةٍ، وَيَوْمٌ كَشْهَرٍ، وَيَوْمٌ كَجُمُعَةٍ، وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ»، فسأل الصحابة النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عن هذا اليوم «الَّذِي كَسَنَةٍ أَتَكْفِينَا فِيهِ صَلَاةٌ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ؟» أي خمس صلوات فقط لذلك اليوم؟ فقال النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «لا، اقدروا له قدره»^(١). والمعنى: أنهم يُصلون في ذلك اليوم صلاة سنة كاملة، فإذا مضى بعد طلوع الفجر قدر ما يكون بينه وبين الظهر كل يوم صلّوا الظهر، ثم إذا مضى بعده قدر ما يكون بينها وبين العصر صلّوا العصر، ثم إذا مضى بعد هذا قدر ما يكون بينها وبين المغرب صلّوا المغرب، وكذا العشاء ثم الصبح والظهر والعصر وهكذا؛ حتى ينقضي ذلك اليوم الذي هو كسنة وقد أوقعوا فيه صلوات سنة كلها مؤداة في وقتها؛ فهذا حكم شرعي خاص بذلك اليوم في آخر الزمان، ولو ترك الناس إلى اجتهداهم وربما اقتصروا على ما اعتادوه من الصلوات الخمس.

ومن ذلك: أن عيسى -عَلَيْهِ السَّلَامُ- إذا نزل في آخر الزمان لا يقبل الجزية من أهل الكتاب، وعيسى -عَلَيْهِ السَّلَامُ- إنما يحكم بشريعة نبينا -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وشريعة نبينا -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فيها قبول الجزية، لكن بَيْنَ نَبِيِّنَا -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أن الجزية توضع إذا نزل عيسى -عَلَيْهِ السَّلَامُ-؛ فلا يقبل من أحد الجزية ولا يقبل إلا الإسلام.

ومن ذلك: أن نهر الفُرات سيَحْسِرُ عن جبل من ذهب، وقد أخبر النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أنه لا يجوز أخذ شيء منه، فذلك الجبل من الذهب من الأموال المحرمة التي لا تجد لها ذكرًا في كتب الفقه!

ومن ذلك: أن النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أفاض في وصف الدجال وفتنته وما يَعَصِمُ منه، وبَيَّن صفات المهدي وما يُصاحبُ خروجه كي لا يلتبس مع أدعيائها الذين كثروا في تاريخ الأمة.

ومن أسباب العناية بعلم أشراط الساعة: شيوع مُجَانِبَةِ الصَّوَابِ فِي هَذَا الْبَابِ

(١) أخرجه مسلم (٢٩٣٧).

↪ إما بالتشكيك فيها، وإنكار ما صح عن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كإنكار نزول عيسى -عَلَيْهِ السَّلَامُ- آخر الزمان.

↪ أو بتأويل بعض الأخبار الغيبية كتأويل جبل الذهب الذي يحسر عنه الفُرات بالنفط، وتأويل أحاديث الدجال بأنه رمزٌ للخرافات والدَّجَل.

↪ أو باعتماد الأحاديث الواهية والأخبار الضعيفة، فمثلاً: أحاديث السُّفياني كُلِّها ضعيفة، فالاشتغال بتعيينه عبثٌ لا طائل تحته، وكذا الرايات السود لا يصح فيها حديث.

↪ أو بالمُسارعة إلى تنزيل الأحاديث على وقائع مُعاصرة دون النظر في استكمال الواقعة للأوصاف الواردة في الأحاديث، وقد نشبت عن ذلك فتنٌ عظيمة جرَّت الويلات عن المسلمين.

ومن ثمرات العلم بأشراط الساعة: **فتحُ باب الأمل للأمة، والاستبشار بأن العاقبة لأهل الإسلام**، فقد أخبر النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بقتال اليهود، وبشَّر بقتلهم، حتى إن الشجر والحجر ليُنَادِي: يا مسلم يا عبدالله، هذا يهوديٌ خلفي فتعال فاقتله، وأخبر بالملحمة الكبرى بين المسلمين والنصارى، وبوُحدة المسلمين، وبشَّر بفتح القُسطنطينية ورومية، وأخبر بهلاك الأمم زمن عيسى -عَلَيْهِ السَّلَامُ- إلا الإسلام.

لذا فالعالمُ بأحاديث أشراط الساعة الموقنٌ بحكمة الله تنزل الدواهي والمصائب التي تطيش لها العقول فلا تستنزله عن سماء عقله، ولا يحُلُّ لها حبوته، ولا تُزعزعُ وقاره، فمهما اذلَّهَّت الخطوب وضاحت الصدور فلا مكان للجزع، ولا للتثبُّط، فالنصرُ لأهل الإيمان والعاقبةُ لهم، والشأنُ كل الشأن في أن تعمل جاداً لنصر دين الله.

وقد كان الصحابة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ- على يقينٍ بهذه الأَشْرَاطِ، بل على أملٍ في إدراكها، كما ثبت عند أحمد^(١) عن أبي هريرة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أنه قال: «إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ طَالَتْ بِي حَيَاةٌ أَنْ أُدْرِكَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنْ عَجَلَ بِي مَوْتُ، فَمَنْ أَدْرَكَهُ فَلْيُقْرِئْهُ مِنِّي السَّلَامَ».

(١) (٧٩٧١) وصحح إسناده محققوه.

وروى ابن سعد في الطبقات^(١) عن أبي ذرٍّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أنه قال: «مَا يُؤِيسُنِي رِقَّةُ عَظْمِي، وَلَا بَيَاضُ شَعْرِي، أَنْ أَلْقَى عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ»، فانظر إلى يقينهم بهذه الأحاديث التي تُبَشِّرُ المسلمين بأن التمكين للإسلام وأهله.

فهذه بعض ثمرات العلم بأشراط الساعة، وأسباب العناية بها، والتفقه فيها.

المتن:

وَارِثَ كُلِّ مَالِكٍ وَمَا مَلَكَ	حَمْدًا لَكَ اللَّهُمَّ لَا شَرِيكَ لَكَ
عَلَى أَجَلِ الرُّسُلِ الْكِرَامِ	وَأَكْمَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ
أَزْكَى الْخَلَائِقِ فَدَتُهُ رُوحِي	نَبِينَا الْمُخْتَارِ عَذْبِ الرُّوحِ
نَظْمًا لِأَشْرَاطِ قِيَامِ السَّاعَةِ	هَذَا وَمَا رَأَيْتُ حَتَّى السَّاعَةِ
فَقَالَ: كُنْ فَكَانَ هَذَا النَّظْمُ	لِذَا دَعَوْتُ مَنْ إِلَيْهِ الْحُكْمُ

الشرح:

ابتدأ نظمهُ بحمد الله والصلاة والسلام على نبينا محمدٍ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وهي من آداب التصنيف، ثم ذكر سبب نظمهِ هذه المنظومة وهو أنه ما رأى حتى ساعة نظمها نظمًا شاملًا في أشراط السَّاعة؛ لذا سأل الله تيسير نظمها فكان هذا النظم.

الأشراط الصُّغرى

المتن:

أَوَّلُهَا مَبْعَثُ أَزْكَى الْأَنْفُسِ فَمَوْتُهُ، فَفَتْحُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ
طَاعُونَ عَمَوَاسَ، وَفَيْضُ الْمَالِ وَالْأَمْنُ فِي السَّيْرِ وَالْإِزْتِحَالِ

الشرح:

قال: (أَوَّلُهَا) أي أول الأشراط الصُّغرى (مَبْعَثُ أَزْكَى الْأَنْفُسِ).

أول أشراط الساعة مَبْعَثُهُ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وقد أخبرنا النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنَّ مَبْعَثَهُ علامةٌ من علامات الساعة، ودليلٌ على قُرب قيامها، ففي الصحيحين^(١)

^(١) (٢٣٠/٤).

من حديث أنسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أنه قال: قال رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ» قال: «وَضَمَّ السَّبَابَةَ وَالْوُسْطَى»، وقد اختلفَ في معناه على قولين:

□ فقيل: إن المعنى: أن الساعة تليه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كما تلي السبابة الوسطى، ليس بينهما إصْبَعٌ أخرى.

□ وقيل: المعنى: كما تَفْضُلُ إحداهما الأخرى.

انظر إلى المسافة بين طرف السبابة وطرف الوسطى، كأن مبعث النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عند طرف السبابة، ثم لم يبق من الدنيا إلا هذا المقدارُ اليسيرُ الذي تفضلُ به الوسطى السبابة، ويدلُّ على هذا رواية الترمذي^(٢): «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ، فما فضل إحداهما على الأخرى؟»، وفي رواية مسلم^(٣) قال شعبة: "وسمعتُ قتادة يقول في قصصه: «كفضل إحداهما على الأخرى»، فلا أدري أذكرُهُ عن أنسٍ أو قاله قتادة".

وعلى القولين في تفسير الحديث؛ فالمقصودُ بيان شدة اقتراب الساعة من مبعثه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فإن قيل: كيف يوصفُ بالقرب ما مضى على وقوعه أكثرُ من ألفٍ وأربع مئة عام؟ **فالجواب:** أن هذا أمرٌ نسبي، فما بقي من الدنيا بعد مبعث النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بالنسبة لما مضى من الدنيا قبل مبعثه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- هو بهذا المقدار اليسير، ولا ريب أن أجلَ الدنيا قد مضى أكثره وما بقي إلا أقله.

ولقرب قيام الساعة جعلها الله تعالى كغدٍ الذي هو بعد يومك، فقال تعالى: ﴿وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ [الحشر: ١٨]، وثبت عند أبي أحمد الحاكم في الأسامي والكنى^(٤)، وأبي نُعَيْمٍ في الحلية^(٥) وغيرهما عن أبي جُبَيْرَةَ بن الضَّحَّاك أن النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال:

(١) أخرجه البخاري (٦٥٠٤)، ومسلم (٢٩٥١).

(٢) (٢٢١٤) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٣) سبق تخريجه قريباً.

(٤) (١٣٤٦).

(٥) (١٦١/٤). وصحح الألباني إسناده في السلسلة الصحيحة (٨٠٨) (٤٤٨/٢).

«بُعِثْتُ فِي نَسَمِ السَّاعَةِ» وهو من النسيم، والנסيم أول هبوب الريح، والمعنى: أنه بُعث في أول أشراط الساعة.

ثم قال: (فَمَوْتُهُ) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

من أشراط الساعة: موت النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، ففي صحيح البخاري ^(١) عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ لَهُ: «اعْدُدْ سِتًّا بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ: مَوْتِي...» الحديث.

وموت النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أعظم مُصِيبَةٍ وقعت على المسلمين، أخرج أحمد ^(٢) والترمذي ^(٣) وابن ماجه ^(٤) عن أنسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أَنَّهُ قَالَ: «لَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الَّذِي دَخَلَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الْمَدِينَةَ أَضَاءَ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ، فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الَّذِي مَاتَ فِيهِ أَظْلَمَ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ، وَمَا نَفَضْنَا عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الْأَيْدِي وَإِنَّا لَفِي دَفْنِهِ حَتَّى أَنْكَرْنَا قُلُوبَنَا».

قال: (فَفَتْحُ بَيْتِ الْمُقَدَّسِ).

من أشراط الساعة: فتح بيت المقدس، ففي حديث عوف بن مالك السابق، أن النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ لَهُ: «اعْدُدْ سِتًّا بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ: مَوْتِي، ثُمَّ فَتْحُ بَيْتِ الْمُقَدَّسِ» ^(٥)، وكان فتح بيت المقدس في خلافة عُمر بن الخطاب -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- في السنة السادسة عشرة من الهجرة، فقد حاصره أبو عبيدة عامر بن الجراح -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أمير الجيوش الإسلامية بالشام، وضيَّق عليهم حتى أجابوا إلى الصُّلح، بشرط أن يقدم عليهم أمير المؤمنين عُمر بن الخطاب -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-.

^(١) (٣١٧٦).

^(٢) (١٣٨٣٠).

^(٣) (٣٦١٨).

^(٤) (١٦٣١) وصححه الألباني في تخريج فقه السيرة ص ٢١٠.

^(٥) سبق تخريجه قريباً.

فكتب أبو عبيدة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- إلى عُمر -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- بذلك، فسار عُمر -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- إليهم وصالحهم وهذا هو الفتحُ المقصود بالحديث، لقوله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «ثم فتح بيت المقدس، ثم مُوتَانُ يأخذ فيكم كَقَعاصِ الغنم»^(١)، وهو طاعون عمواس، وقد وقع في عهد عُمر -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- بعد فتح بيت المقدس، ففتح بيت المقدس المذكور في الحديث هو من الأشراف التي ظهرت وانقضت.

ومن المعلوم أنه استولى عليه اليهود بعد ذلك، ثم حرّره صلاح الدين -رَحِمَهُ اللَّهُ-، ثم رجع مرة أخرى إلى اليهود كما في زماننا، ولا بد أن يُحرّره المسلمون؛ لأن هذا وعدُ الله تعالى، كما قال تعالى لبني إسرائيل: ﴿وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا﴾ [الإسراء: ٨]، أي وإن عُدتم إلى الإفساد في الأرض عُدنا إلى الانتقام منكم وتسليط عبادٍ لنا يُخرجونكم منها، هذا جزاء الدنيا، وما عند الله من النكال أعظمُ وأشنع؛ لذا قال الله تعالى بعدها: ﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾ [الإسراء: ٨].

وسياتي إن شاء الله أن من أشراط الساعة أن يُقاتل المسلمون اليهود، قال -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «فيقتلهم المسلمون، حتى يختبئ اليهوديُّ من وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر والشجر: يا مسلم يا عبد الله هذا يهوديٌّ خلفي، فتعال فاقتله»^(٢).

ثم قال: (طَاعُونُ عَمَوَاس).

من أشراط الساعة: طاعون عمواس، وهو المقصود بقوله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في حديث عوف بن مالك السابق: «ثم مُوتَانُ» -والموتان: بضم الميم وسكون الواو: هو الموت الكثير الوقوع- يَأْخُذُ فِيكُمْ كَقَعَاصِ الْغَنَمِ»^(٣).

وقَعَاصِ الْغَنَمِ: داءٌ يأخذُ الدواب فيسيل من أنوفها شيء فتموت فجأة، وقد كان ذلك في السنة الثامنة عشرة من الهجرة، وكان أول ما نجم هذا الطاعون في عمواس، وهي في فلسطين بين القدس والرملة، ثم انتشر في أرض الشام؛ فمات فيه خلقٌ كثيرٌ من

(١) سبق تخريجه قريباً.

(٢) أخرجه مسلم (٢٩٢٢).

(٣) سبق تخريجه قريباً.

الصحابة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ- ومن غيرهم، حتى قيل: إن عدد من مات فيه بلغ خمسةً وعشرين ألفاً من المسلمين.

ومات فيه من المشهورين: أبو عُبَيْدة عامر بن الجراح أمينُ هذه الأمة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- ، وهو أميرُ الناس، ومُعَاذ بن جبل، ويزيد بن أبي سُفْيَان، وغيرهم من أشراف الصحابة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ-، وهذه كرامةٌ من الله لهم، فقد قال النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كما في الصحيحين^(١): «الطَّاعُونَ شَهَادَةٌ لِكُلِّ مُسْلِمٍ».

ثم قال: (وَفَيْضُ الْمَالِ).

من أشراط الساعة: استفاضة المال، في حديث عوف بن مالكٍ السابق، قال -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «اعْدُدْ سِتًّا بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ: مَوْتِي، ثُمَّ فَتْحُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، ثُمَّ مُوتَانُ يَأْخُذُ فِيكُمْ كَقُعَاصِ الْغَنَمِ، ثُمَّ اسْتِفَاضَةُ الْمَالِ حَتَّى يُعْطَى الرَّجُلُ مِئَةَ دِينَارٍ فَيُظِلُّ سَاخِطًا، ثُمَّ فِتْنَةٌ لَا يَبْقَى بَيْتٌ مِنَ الْعَرَبِ إِلَّا دَخَلَتْهُ».

وقد حصلت استفاضةُ المال في خلافة عُثْمَانَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- بسبب الفتوحات العظيمة، حتى كان أحدهم يُعْطَى مِئَةَ دِينَارٍ فَيَسْخَطُهَا، وَكَثُرَ الْمَالُ حَتَّى كَانَتْ الْفَرَسُ تُشْتَرَى بِوزْنِهَا، ثُمَّ وَقَعَتِ الْفِتْنَةُ الْعَامَّةُ الَّتِي لَمْ يَبْقَ بَيْتٌ مِنَ الْعَرَبِ إِلَّا دَخَلَتْهُ، وَذَلِكَ بِقَتْلِ عُثْمَانَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-.

فهذه العلامة المذكورة في حديث عوف بن مالكٍ قد وقعت في زمان عُثْمَانَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-، لِأَنَّهُ رَتَّبَ الْفِتْنَةَ بِقَتْلِ عُثْمَانَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- عَلَى اسْتِفَاضَةِ الْمَالِ بِ(ثُمَّ) الَّتِي تُفِيدُ التَّرْتِيبَ؛ فَدَلَّ عَلَى أَنَّ اسْتِفَاضَةَ الْمَالِ الْمَذْكُورَةَ فِيهِ سَابِقَةٌ لِلْفِتْنَةِ بِقَتْلِ عُثْمَانَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-.

ثم فاض المال بعد ذلك في زمن عُمر بن عبد العزيز -رَحِمَهُ اللَّهُ-، وَسَيَفِيضُ أَيْضًا فِي زَمَنِ الْفِتَنِ وَالزَّلَازِلِ قُرْبَ قِيَامِ السَّاعَةِ، كَمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ الْأَحَادِيثُ، وَسَيَفِيضُ فِي زَمَنِ الْمَهْدِيِّ، وَفِي زَمَنِ عِيسَى -عَلَيْهِ السَّلَامُ- كَمَا سَيَأْتِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

(١) أخرجه البخاري (٢٨٣٠)، ومسلم (١٩١٦).

وقد ورد في ذلك قوله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كما في الصحيحين^(١) من حديث أبي هريرة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَكْثُرَ فِيكُمْ الْمَالُ فَيَفِيضَ حَتَّى يُهِمَّ رَبُّ الْمَالِ مَنْ يَقْبَلُهُ مِنْهُ صَدَقَةً، وَيُدْعَى إِلَيْهِ الرَّجُلُ فَيَقُولُ: لَا أَرَبَ لِي فِيهِ».

وفي الصحيحين^(٢) من حديث أبي موسى الأشعري -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أن النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: «لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَطُوفُ الرَّجُلُ فِيهِ بِالصَّدَقَةِ مِنَ الذَّهَبِ، ثُمَّ لَا يَجِدُ أَحَدًا يَأْخُذُهَا مِنْهُ».

ثم قال: (وَالْأَمْنُ فِي السَّيْرِ وَالْإِرْتِحَالِ).

من أشراط الساعة: انتشار الأمن، وقد ثبت في مسند الإمام أحمد^(٣) عن أبي هريرة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أن النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَسِيرَ الرَّابِئُ بَيْنَ الْعِرَاقِ وَمَكَّةَ لَا يَخَافُ إِلَّا ضَلَالَ الطَّرِيقِ»، وقد وقع هذا في صدر الإسلام في أواخر عهد الصحابة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ- حين فُتِحَتِ الْأَمْصَارُ، وَعَمَّ الْإِسْلَامُ وَالْعَدْلُ الْبِلَادَ الَّتِي فَتَحَهَا الْمُسْلِمُونَ؛ فَقَوِيَ الْإِيمَانُ، وَانْتَشَرَ الْأَمَانُ.

وفي صحيح البخاري^(٤) من حديث عدي بن حاتم -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أنه قال: «بَيْنَا أَنَا عِنْدَ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، إِذْ أَتَاهُ رَجُلٌ فَشَكَا إِلَيْهِ الْفَاقَةَ، ثُمَّ أَتَاهُ آخَرُ فَشَكَا إِلَيْهِ قَطْعَ السَّبِيلِ، فَقَالَ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: يَا عَدِيُّ، هَلْ رَأَيْتَ الْحِيرَةَ؟ قُلْتُ: لَمْ أَرَهَا، وَقَدْ أُتْبِئْتُ عَنْهَا، قَالَ: فَإِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ لَتَرَنَّ الطَّعِينَةَ تَرْتَجِلُ مِنَ الْحِيرَةِ حَتَّى تَطُوفَ بِالْكَعْبَةِ لَا تَخَافُ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ -قُلْتُ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِي: فَأَيْنَ دُعَارُ طَيْيٍّ -الدُّعَارُ: قُطَاعُ الطَّرِيقِ- الَّذِينَ قَدْ سَعَرُوا الْبِلَادَ؟!- وَلَئِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ لَتُفْتَحَنَّ كُنُوزُ كِسْرَى، قُلْتُ: كِسْرَى بِنِ هُرْمَزَ؟ قَالَ: كِسْرَى بِنِ هُرْمَزَ، وَلَئِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ لَتَرَنَّ الرَّجُلَ يُخْرِجُ مِلءَ كَفِّهِ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ، يَطْلُبُ مَنْ يَقْبَلُهُ مِنْهُ، فَلَا يَجِدُ أَحَدًا يَقْبَلُهُ مِنْهُ ... قَالَ عَدِيُّ

(١) أخرجه البخاري (١٤١٢)، ومسلم (١٥٧).

(٢) أخرجه البخاري (١٤١٤)، ومسلم (١٠١٢).

(٣) (٨٨٣٣) وصحح إسناده محققوه.

(٤) (٣٥٩٥).

-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: فَرَأَيْتُ الظَّعِينَةَ تَرْتَحِلُ مِنَ الْحَيَرَةِ حَتَّى تَطُوفَ بِالْكَعْبَةِ لَا تَخَافُ إِلَّا اللَّهَ، وَكُنْتُ فِيمَنْ افْتَتَحَ كُنُوزَ كِسْرَى بْنِ هُرْمُزٍ، وَلَيْنَ طَالَتْ بِكُمْ حَيَاةٌ، لَتَرَوْنَّ مَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ».

نسأل الله أن يُديم الأمن والإيمان علينا وعلى المسلمين، وأن يوزعنا شُكر نِعَمِهِ.

المتن:

قِتَالُ تُرْكٍ، وَقِتَالُ الْعَجَمِ نَارُ الْحِجَازِ بِبِلَادِ الْحَرَمِ

الشرح:

قال: (قِتَالُ تُرْكٍ).

من **أشراط الساعة** التي ظهرت وانقضت: قِتَالُ التُّرْكِ، ففي الصحيحين^(١) عن أبي هريرة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أنه قال: قال رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُقَاتِلُوا التُّرْكَ، صِغَارَ الْأَعْيُنِ، حُمْرَ الْوُجُوهِ -أي أنهم بيضُ الوجوه مشوبةٌ بحُمْرة- ذُلْفَ الْأَنْوَفِ -والذَّلْفُ: صِغَرُ الْأَنْفِ- كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الْمَجَانُّ الْمُطْرَقَةُ».

الْمَجَانُّ: جمعُ مِجَنٍّ وهو التُّرْس.

وَالْمُطْرَقَةُ: هي التي أُلْبِسَتْ الْأَطْرَقَةَ مِنَ الْجُلُودِ، وهي الأغشية جمع طِرَاق وهي جلدةٌ تُقَدَّرُ على قدر التُّرْس وتُلصَقُ عليه، شَبَّهَ وجوههم بِالْمَجَانِّ لِبَسْطِهَا وتَدْوِيرِهَا، وبِالْمُطْرَقَةِ لِغِلْظِهَا وكَثَرَةِ لَحْمِهَا وِنتَوءِ وَجَنَاتِهَا، وفي لفظ مسلم^(٢): «يَلْبَسُونَ الشَّعْرَ وَيَمْشُونَ فِي الشَّعْرِ». ومعنى «يَمْشُونَ فِي الشَّعْرِ»: أنهم ينتعلون الشعر كما صرَّح به في الرواية الأخرى^(٣): «نِعَالُهُمُ الشَّعْر».

(١) أخرجه البخاري (٢٩٢٨)، ومسلم (٢٩١٢).

(٢) (٢٩١٢).

(٣) عند البخاري (٣٥٨٧)، ومسلم (٢٩١٢).

وفي حديث عمرو بن تغلب -رضي الله عنه- عند البخاري^(١) قال: قال رسول الله -صَلَّى الله عليه وسلَّم-: «**إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ تُقَاتِلُوا قَوْمًا عِرَاضَ الْوُجُوهِ كَأَنَّ وُجُوهُهُمْ الْمَجَانُّ الْمَطْرَقَةُ**».

وقد وقع قتال هؤلاء الذين وصفهم النبي -صَلَّى الله عليه وسلَّم- في أول خلافة بني أمية، وانتصر عليهم المسلمون وغنموا منهم، ووقع أيضاً بعد ذلك فقد ظهر التتار في القرن السابع الهجري وهم من التُّرك، وكان ذلك في زمن الإمام النووي -رحمه الله-، وقد قال -رحمه الله تعالى- في شرح صحيح مسلم^(٢): "قد وُجِدَ قتالُ هؤلاء التُّرك بجميع صفاتهم التي ذكرها -صَلَّى الله عليه وسلَّم- صغارُ الأعين، حُمِرَ الوجوه، ذُلِفُ الأنف، عِرَاضُ الوجوه، كَأَنَّ وُجُوهُهُمْ المِجَانُّ المَطْرَقَةُ، ينتعلون الشعر، فوجدوا بهذه الصفات كلها في زماننا، وقاتلهم المسلمون مرات".

وكلام الإمام النووي هذا تستفيد منه فائدة في تنزيل أحاديثِ أشراط الساعة على الوقائع، وهي: أنه لابد ليصح التنزيل من استكمال الواقعة للأوصاف الواردة في الأحاديث، فإن تخلفت بعض الأوصاف لم تصح المبادرة بالتنزيل.

وكان ممن قاتلهم وحثَّ على جهادهم شيخُ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-، وذكر أن من رأى هؤلاء التُّرك الذين قاتلهم المسلمون من حين خروج جنكيز خان فمن بعده لم يُحسن أن يصفهم بأحسن من هذه الصفة التي وصفهم بها رسول الله -صَلَّى الله عليه وسلَّم- في هذه الأحاديث^(٣).

وقد دخل بعد ذلك كثيرٌ من التُّرك في الإسلام لمُخَالَطَتِهِمُ الْمُسْلِمِينَ وتأثرهم بأخلاقهم، وحصل على أيديهم خيرٌ كثيرٌ للإسلام والمسلمين، وعَزَّ بِهِمُ الْإِسْلَامُ عَصُورًا طَوِيلَةً وهذا يُفَسِّرُ مَا فِي الصَّحِيحِينَ^(٤) من حديث أبي هريرة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- من قوله -صَلَّى الله عليه

(١) (٢٩٢٧).

(٢) (٣٧/١٨).

(٣) انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (١٦٢/٣).

(٤) أخرجه البخاري (٣٥٨٨)، ومسلم (٢٥٢٦).

وسلّم- بعد ذكره قتال التُّرك: «وَتَجِدُونَ مِنْ خَيْرِ النَّاسِ أَشَدَّهُمْ كَرَاهِيَةً لِهَذَا الْأَمْرِ حَتَّى يَقَعَ فِيهِ، وَالنَّاسُ مَعَادِنٌ، خِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ».

قال: (وَقِتَالُ الْعَجَمِ).

من أشراط الساعة: قتال العجم، ففي صحيح البخاري^(١) عن أبي هريرة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَقَاتِلُوا خُوزًا وَكَرْمَانًا مِنَ الْأَعَاجِمِ، حُمْرَ الْوُجُوهِ، فُطْسَ الْأَنْوَفِ -أي قصارها مع انبطاح- صِغَارَ الْأَعْيُنِ، كَأَنَّ وَجُوهَهُمُ الْمَجَانُّ الْمُطْرَقَةُ، نِعَالُهُمُ الشَّعْرُ»، وخوز وكرمان من بلاد العجم، وهما الآن في إيران، وهذا الشَّرْطُ مما ظهر وانقضى، ويُقال فيهم ما قيل في التُّرك من أنه دخل كثيرٌ منهم في الإسلام وحصل على أيديهم خيرٌ كثيرٌ للإسلام والمسلمين.

ثم قال: (نَارُ الْحِجَازِ بِبِلَادِ الْحَرَمِ).

من أشراط الساعة: ظهور نار الحجاز، كما في الصحيحين^(٢) من حديث أبي هريرة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أن رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَخْرُجَ نَارٌ مِنَ أَرْضِ الْحِجَازِ تُضِيءُ أَعْنَاقَ الْإِبِلِ بِبُصْرَى».

وبُصْرَى: مدينةٌ معروفةٌ في سورِيَّةٍ يُقال لها: حوران.

وقد ظهرت هذه النار سنة أربع وخمسين وست مئة بنواحي مدينة النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، حتى إن أهل بُصْرَى رأوا أَعْنَاقَ الْإِبِلِ في ضوء هذه النار، مع البُعد الشاسع بين بُصْرَى والمدينة، ورُؤِيَ سَنَاهَا مِنْ مَكَّةَ، وكان أهل المدينة كأن في بيوتهم المصابيح.

وقد أخبر عنها من عاصرها من العلماء كأبي شامة^(٣)، والقرطبي في التذكرة^(٤)، والنووي في شرح مسلم^(٥)، وَمَنْ بَعَدَهُمْ كَالذَّهَبِيِّ فِي تَارِيخِ الْإِسْلَامِ^(٦)، وابن كثير في البداية والنهاية^(٧)،

(١) (٣٥٩٠).

(٢) أخرجه البخاري (٧١١٨)، ومسلم (٢٩٠٢).

(٣) في تاريخه. انظر: البداية والنهاية لابن كثير (٢٩٧/٩) و(٣٢٨/١٧).

(٤) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة ص ١٢٣٦.

(٥) (٢٨/١٨).

ووصفوها: بأنها كانت نارًا عظيمة جدًا، صَحِبَتْهَا زَلْزُلٌ قَوِيَّةٌ، أَشْفَقَ مِنْهَا أَهْلُ الْمَدِينَةِ، وَخَافُوا خَوْفًا عَظِيمًا، وَاجْتَمَعُوا فِي مَسْجِدِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَمَعَهُمُ النِّسَاءُ وَالصِّبْيَانُ، وَتَابُوا جَمِيعًا، وَخَرَجُوا مِنَ الْمِظَالِمِ، وَأَعْتَقَ وَالِي الْمَدِينَةِ كُلُّ مَمَالِيكِهِ.

وكانت النار كما وصفوها ترمي بشرًا كالقصر، ولها دَوِيٌّ لَا يَدْعُهُمْ يَرْقُدُونَ.

وَكَتَبَ قَاضِي الْمَدِينَةِ إِذْ ذَاكَ رِسَالَةً إِلَى بَعْضِ أَصْحَابِهِ يَصِفُ فِيهَا مَا نَزَلَ بِهِمْ، مِمَّا جَاءَ فِيهَا قَوْلُهُ: "وَاللَّهُ يَا أَخِي إِنَّ عِيشَتَنَا الْيَوْمَ مُكَدَّرَةٌ، وَالْمَدِينَةُ قَدْ تَابَ جَمِيعُ أَهْلِهَا، وَلَا بَقِيَ يُسْمَعُ فِيهَا رَبَابٌ وَلَا دُفٌّ وَلَا شُرْبٌ".

وَلَمْ تَزَلِ النَّارُ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ تَلْتَهُبُ التَّهَابَا وَهِيَ كَالْجَبَلِ فِي الِارْتِفَاعِ إِلَى أَنْ سَكُنَتْ وَانْقَطَعَتْ بَعْدَ أَزِيدٍ مِنْ شَهْرٍ.

وهذه النار غيرُ النار التي تحشُرُ النَّاسَ إِلَى مُحْشَرِهِمْ، فَتَلُكُ تَخْرُجُ مِنْ قَعْرِ عَدْنٍ وَهِيَ آخِرُ الْأَشْرَاطِ قَبْلَ قِيَامِ السَّاعَةِ كَمَا سَيَأْتِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

هَذَا آخِرُ مَا ظَهَرَ وَانْقَضَى مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ الصُّغْرَى.

وَالْأَشْرَاطُ الصُّغْرَى ثَلَاثَةُ أَقْسَامٍ:

♦ الْقِسْمُ الْأَوَّلُ: مَا ظَهَرَ وَانْقَضَى، وَقَدْ فَرَعْنَا مِنْهُ.

♦ وَالْقِسْمُ الثَّانِي: مَا ظَهَرَ وَلَا يَزَالُ يَتَتَابَعُ.

♦ وَالْقِسْمُ الثَّالِثُ: مَا لَمْ يَظْهَرْ بَعْدَ.

(١) (١٨/٤٨).

(٢) (٣٢٨/١٧).

المتن:

وَكَثْرَةُ الْفِتَنِ وَالْمَنَائِرِ كَقَتْلِ عُثْمَانَ الْإِمَامِ الصَّابِرِ
 مُرُوقُ شَرِّ الْخَلْقِ وَالْخَلِيقَةِ وَوَقْعَةُ الْحَرَّةِ بِالْمَدِينَةِ
 سَلَامَةُ الْمُسْلِمِ فِي وَقْتِ الْفِتَنِ بِالِاتِّبَاعِ لِلنَّبِيِّ الْمُؤْتَمَنِ
 تَعَوُّدٌ مِنْ ظُفْرِهَا وَنَاجِيهَا وَتَرْكُ سَعْيِ الْمَرءِ فِي أَسْبَابِهَا
 قَفْوُ الْجَمَاعَةِ مَعَ التَّعَبُّدِ وَالصَّبْرُ مَعَ كَفِّ اللِّسَانِ وَالْيَدِ
 يَا رَبِّ سَلِّمْنَا وَحَقِّقْ أَمْنَنَا وَلْتَكْفِنَا يَا رَبِّ مَا أَهَمَّنَا

الشرح:

قال: (وَكَثْرَةُ الْفِتَنِ وَالْمَنَائِرِ).

من **أشراط الساعة**: ظهور الفتن العظيمة التي يَلْتَبِسُ فيها الحق بالباطل، ويتزلزل معها الإيمان، وهذه الفتن لا تزال تظهر في الناس إلى أن تقوم الساعة.

أخرج مسلم في صحيحه^(١) عن أبي هريرة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أن رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: «بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتْنًا كَقِطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا».

ثم أشار إلى بعض تلك الفتن فقال: (كَقَتْلِ عُثْمَانَ الْإِمَامِ الصَّابِرِ).

من الفتن: قتل الخليفة الراشد ذي النورين عثمان بن عفان -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-، وكان ذلك في السنة الخامسة والثلاثين من الهجرة، خَرَجَ أناسٌ من أهل البصرة، وأناسٌ من أهل الكوفة، وأناسٌ من أهل مصرَ يُظهرون أنهم يُريدون الحج، وقد أبطنوا الخروج على عثمان -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-، فدخلوا المدينة وحاصروا بيت عثمان -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-.

وقد ذكر النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لعثمان -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: أنه سيُصيبه بلاء، ففي الصحيحين^(٢) عن أبي موسى الأشعري -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أنه قال: «خَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى حَائِطٍ مِنْ حَوَائِطِ الْمَدِينَةِ» الحديث، وفيه: «ثُمَّ جَاءَ عُثْمَانُ فَقُلْتُ: كَمَا أَنْتَ

(١) (١١٨).

(٢) أخرجه البخاري (٧٠٩٧)، ومسلم (٢٤٠٣).

حَتَّى أَسْتَأْذِنَ لَكَ فَقَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ائْذَنْ لَهُ، وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ، مَعَهَا بَلَاءٌ يُصِيبُهُ».

وثبت عند أحمد^(١) والترمذي^(٢) وابن ماجه^(٣) أن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال له: «يا عثمانُ إِنَّ اللَّهَ -عَزَّوَجَلَّ- عَسَى أَنْ يُلْبِسَكَ قَمِيصًا، فَإِنْ أَرَادَكَ الْمُنَافِقُونَ عَلَى خَلْعِهِ فَلَا تَخْلَعُهُ حَتَّى تَلْقَانِي» قالها ثلاثًا؛ لذا صَبَرَ عثمان -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-، ونهى الصحابة عن قتال الخارجين عليه كي لا يُراق دَمٌ من أجله، وقال: «أَعَزِّمُ عَلَى كُلِّ مَنْ رَأَى أَنَّ لِي عَلَيْهِ سَمْعًا وَطَاعَةً إِلَّا كَفَّ يَدَهُ وَسِلَاحَهُ»^(٤).

وجاءه زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- فَقَالَ: «هَذِهِ الْأَنْصَارُ بِالْبَابِ، قَالُوا: إِنْ شِئْتَ أَنْ نَكُونَ أَنْصَارَ اللَّهِ مَرَّتَيْنِ» قال: «أَمَّا الْقِتَالُ فَلَا»^(٥).

ودخل ابن عمر -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- على عثمان -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-، فقال عثمان: «انظر إلى ما يقول هؤلاء، يقولون: اخلعها ولا تقتل نفسك، فقال ابن عمر -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-: "إذا خلعتها أَمْخَلَدْتُ أَنْتَ فِي الدُّنْيَا؟ فقال عثمان -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: لا، قال: فلا أرى لك أن تخلع قميصًا قمصكه الله فتكون سنة كلما كره قوم خليفتهم أو إمامهم قتلوه»^(٦).

وقال عثمان -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- لعبيده: «من أَعْمَدَ سِلَاحَهُ فَهُوَ حُرٌّ»^(٧).

ثم إنهم تسوَّروا عليه البيت فقتلوه، وهو واضعُ المصحف بين يديه -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- وأرضاه-، فمات شهيدًا صابرًا -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-، وبمقتله -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- انتشرت الفتن والأهواء وكثر الاختلاف.

(١) (٢٤٥٦٦) وصحح إسناده محققوه.

(٢) (٣٧٠٥).

(٣) (١١٢).

(٤) أخرجه نعيم بن حماد في الفتن (٤٤١).

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٧٠٨٢).

(٦) أخرجه خليفة بن خياط في تاريخه ص ١٧٠، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٥٧/٣٩).

(٧) البداية والنهاية (٢٩٨/١٠).

ثم قال: (مُروقٌ شَرُّ الخَلْقِ والخَلِيقَةِ).

من الفتن مروق شرّ الخلق والخليقة وهم الخوارج الذين خرجوا على عليٍّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- ، وكان أول ظهورهم بعد معركة صفّين واتفاق أهل العراق والشام على التحكيم بين الطائفتين. وفي أثناء رجوع عليٍّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- إلى الكوفة فارقه الخوارج، وقد كانوا في جيشه، ونزلوا قريةً قريبةً من الكوفة يُقال لها: حروراء، وإليها يُنسبون فيقال لهم: الحرورية.

فأرسل عليٌّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- إليهم ابنَ عباس -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-، فناظرهم ورجع معه بعضهم ودخلوا في طاعة علي، وأصر الباقون على ضلالهم، فقال عليٌّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- لمن لم يرجع: «بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَنْ لَا تَسْفِكُوا دَمًا حَرَامًا، أَوْ تَقْطَعُوا سَبِيلًا، أَوْ تَظْلِمُوا ذِمَّةً، فَإِنَّكُمْ إِنْ فَعَلْتُمْ فَقَدْ نَبَذْنَا إِلَيْكُمْ الْحَرْبَ عَلَى سَوَاءٍ إِنْ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ»^(١).

فسفكوا الدماء، وقطعوا السبيل، وقتلوا من اجتاز بهم من المسلمين؛ حتى إنه مرَّ بهم عَبْدُ اللَّهِ بْنُ خَبَّابِ بْنِ الْأَرْثِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- ومعه زوجته، فقتلوه وبقروا بطن زوجته عن ولدها، فلما علِمَ بذلك عليٌّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- سألهم من قتله؟ فقالوا: كلنا قتله، فتجهَّز عليٌّ للقتال، والتقى بهم في الموقعة المشهورة بالنهروان؛ فهزمهم شرَّ هزيمة.

وقد أخبر النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بخروج الخوارج، والأحاديث في خروجهم وذمهم والأمر بقتالهم كثيرةٌ جدًّا، وهي متواترةٌ عند أهل الحديث، منها ما في الصحيحين^(٢) عن عليٍّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أنه قال: سمعتُ رسولَ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يقول: «سَيَخْرُجُ قَوْمٌ فِي آخِرِ الزَّمَانِ، أَحْدَاثُ الْأَسْنَانِ، سُفَهَاءُ الْأَحْلَامِ، يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ الْبَرِيَّةِ، لَا يُجَاوِزُ إِيْمَانُهُمْ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، فَأَيْنَمَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ، فَإِنَّ فِي قَتْلِهِمْ أَجْرًا لِمَنْ قَتَلَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». ومنها ما في صحيح مسلم^(٣) عن أبي سعيدٍ الخدري -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أنه قال: قال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «تَمْرُقُ مَارِقَةٌ عِنْدَ فِرْقَةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَقْتُلُهَا أُولَى الطَّائِفَتَيْنِ بِالْحَقِّ».

(١) أخرجه أحمد (٦٥٦) وصحح إسناده ابن كثير في البداية والنهاية (٥٦٨/١٠).

(٢) أخرجه البخاري (٦٩٣٠)، ومسلم (١٠٦٦).

(٣) (١٠٦٤).

ولا يزال الخوارجُ يظهرُونَ حتى يُدركَ آخرهم الدجال، فقد أخرج ابن ماجه^(١) عن ابنِ عُمَرَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «يَنْشَأُ نَشْءٌ يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيمَهُمْ، كُلَّمَا خَرَجَ قَرْنٌ -أي كلما ظهرت طائفةٌ منهم- قُطِعَ» قَالَ ابْنُ عُمَرَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: «كُلَّمَا خَرَجَ قَرْنٌ قُطِعَ» أَكْثَرَ مِنْ عِشْرِينَ مَرَّةً قَالَ: «حَتَّى يَخْرُجَ فِي عِرَاضِهِمُ الدَّجَالُ» أي في ناحيتهم.

ثم قال: (وَوَقَعَةُ الْحَرَّةِ بِالْمَدِينَةِ).

وكانت وقعت الحرة سنة ثلاثٍ وستين، وسببها: أن كثيراً من أهل المدينة خلعوا بيعة يزيد بن معاوية -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- وخرجوا عن طاعة يزيد، وأَمَرُوا عليهم عبد الله بن حنظلة بن أبي عامر، وعبد الله بن مُطِيعِ العدوي، وقد نهاهم عن خلع يزيد بعض أهل المدينة من أفاضل الصحابة، من أشهرهم: عبد الله بن عمر -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-.

أخرج البخاري^(٢) عن نافع أنه قال: «لما خلع أهل المدينة يزيد بن معاوية جمع ابنُ عُمَرَ حَشَمَهُ وَوَلَدَهُ فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: «يُنْصَبُ لِكُلِّ غَادِرٍ لَوَاءٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَإِنَّا قَدْ بَايَعْنَا هَذَا الرَّجُلَ عَلَى بَيْعِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَإِنِّي لَا أَعْلَمُ غَدِرًا أَعْظَمَ مِنْ أَنْ يُبَايَعَ رَجُلٌ عَلَى بَيْعِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُنْصَبُ لَهُ الْقِتَالُ، وَإِنِّي لَا أَعْلَمُ أَحَدًا مِنْكُمْ خَلَعَهُ وَلَا بَايَعَ فِي هَذَا الْأَمْرِ إِلَّا كَانَتْ الْفِيصِلُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ».

وفي صحيح مسلم^(٣) عن نافع أنه قال: «جاءَ عبدُ اللَّهِ بنُ عمر -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- إِلَى عبدِ اللَّهِ بنِ مُطِيعٍ حينَ كانَ من أمرِ الحرة ما كانَ زمنَ يزيدَ بنِ معاوية، فَقَالَ عبدُ اللَّهِ بنُ مُطِيعٍ: اطْرَحُوا لِأَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَسَادَةً، فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: إِنِّي لَمْ آتِكَ لِأَجْلِسَ، أَتَيْتُكَ لِأُحَدِّثَكَ حَدِيثًا سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُهُ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: «مَنْ خَلَعَ يَدًا مِنْ طَاعَةِ لَقِيَ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا حُجَّةَ لَهُ، وَمَنْ مَاتَ وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً».

(١) (١٧٤) وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٤٥٥) (٥٨٢/٥).

(٢) (٧١١١).

(٣) (١٨٥١).

وقد كان عبد الله بن عمر -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- وأهل بيته وجماعات أهل بيت النبوة ممن لم ينقض العهد ولا بايع أحدًا بعد بيعته ليزيد.

ولما بلغ يزيد ما فعلوه من خلعه أرسل إليهم جيشًا بقيادة مسلم بن عقبة، وكانت فيه غلظة وجراءة، وأمره أن يدعو أهل المدينة ثلاثًا إلى الرجوع عن خلعه فرفضوا، فقاتلهم مسلم بن عقبة وقتل خلقًا من أهل المدينة، وأجبر من بقي من أهلها على البيعة ليزيد، وقد سعى السلف مسلم بن عقبة هذا بمُسْرَفٍ؛ لما ألحقه بأهل المدينة من قتلٍ ونهب.

ثم لما كان أمر الفتن عظيمًا وهي واقعة في هذه الأمة لا محالة والخلق مُبْتَلَوْنَ وممتحنون بها جَمَعَ ما ورد عن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- من أسباب السلامة من الفتن والنجاة منها في ثلاث أبيات فقال:

(سَلَامَةُ الْمُسْلِمِ فِي وَقْتِ الْفِتَنِ بِالِاتِّبَاعِ لِلنَّبِيِّ الْمُؤْتَمَنِ
تَعَوُّدٌ مِنْ ظُفْرِهَا وَنَابِهَا وَتَرْكُ سَعْيِ الْمَرْءِ فِي أَسْبَابِهَا
قَفْوُ الْجَمَاعَةِ مَعَ التَّعَبُّدِ وَالصَّبْرُ مَعَ كَفِّ اللِّسَانِ وَالْيَدِ)

♦ أول ما ذَكَرَ من أسباب السلامة من الفتن: اتباع النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- والتمسك بسنته، ثبت عند أبي داود^(١) والترمذي^(٢) وابن ماجه^(٣) من حديث العرياض بن سارية -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- عن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أنه قال: «فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلَّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ». فأمر بالتمسك بالسنة عند الاختلاف الكثير.

وفي حديث أبي واقد الليثي -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: «إِنَّهُ سَتَكُونُ فِتْنَةٌ، قَالُوا: فَكَيْفَ لَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ وَكَيْفَ نَصْنَعُ؟ قال: تَرْجِعُونَ إِلَى أَمْرِكُمْ

(١) (٤٦٠٧).

(٢) (٢٦٧٦).

(٣) (٤٣) وصححه الألباني في الإرواء (٢٤٥٥) (١٠٧/٨).

الأول». أخرجه الطحاوي في شرح مشكل الآثار^(١)، والطبراني في المعجم الكبير^(٢) وهو في السلسلة الصحيحة^(٣)، فأمر بلزوم السنة عند الفتنة؛ وفي ذلك دلالة على أن لزوم السنة عصمة من الفتن.

ثم قال: **(تَعُوذُ مِنْ ظُفْرِهَا وَنَابِهَا)**.

♦ السبب الثاني من أسباب السلامة من الفتن: التعوذ بالله منها، ففي صحيح مسلم^(٤) من حديث زيد بن ثابت -رضي الله عنه- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: **«تَعُوذُوا بِاللَّهِ مِنَ الْفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ»**.

ثم قال: **(وَتَرَكُ سَعْيِ الْمَرْءِ فِي أَسْبَابِهَا)**.

♦ السبب الثالث للسلامة من الفتن: اجتنابها، وترك السعي في أسبابها، ففي الصحيحين^(٥) من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- أنه قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: **«سَتَكُونُ فِتْنٌ الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ»** أي أكثر سلامة وأقل شرًا، **«وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي، وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي، مَنْ تَشَرَّفَ لَهَا»** أي انتصب لها وتعرض **«تَسْتَشْرِفُ»** أي تصرعه وتهلكه **«وَمَنْ وَجَدَ فِيهَا مَلَجًا»** أي موضعًا يلتجئ إليه ويعتزل فيه **«فَلْيَعُذْ بِهِ»** أي فليعتزل فيه.

فهذا الحديث العظيم فيه بيان عظيم خطر الفتن، والحث على تجنبها والهرب منها، وأن شرها وفتنتها تكون بحسب التعلُّق بها.

(١) (١١٨٤).

(٢) (٣٣٠٧).

(٣) (٣١٦٥) (٤٩٦/٧).

(٤) (٢٨٦٧).

(٥) أخرجه البخاري (٣٦٠١)، ومسلم (٢٨٨٦).

ثم قال: (قَفُّوا الْجَمَاعَةَ).

♦ السبب الرابع من أسباب السلامة من الفتن: لزوم الجماعة والسمع والطاعة، وقد ثبت في رواية أحمد^(١) وابن ماجه^(٢) لحديث العرياض بن سارية السابق: «وَمَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسِيرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا فَعَلَيْكُمْ بِمَا عَرَفْتُمْ مِنْ سُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ وَعَلَيْكُمْ بِالطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ، فَإِنَّمَا الْمُؤْمِنُ كَالْجَمَلِ الْأَنْفِ حَيْثَمَا قِيدَ انْقَادَ» فأمر بلزوم الجماعة عند الفتن والاختلاف الشديد.

وفي حديث حذيفة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- في الصحيحين^(٣) أنه قال: «كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَنِ الْخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةً أَنْ يُدْرِكَنِي، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ، فَجَاءَنَا اللَّهُ بِهَذَا الْخَيْرِ، فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَقُلْتُ: وَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، وَفِيهِ دَخْنٌ، قُلْتُ: وَمَا دَخْنُهُ؟ قَالَ: قَوْمٌ يَهْدُونَ بِغَيْرِ هُدًى، تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ، فَقُلْتُ: هَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: نَعَمْ، دُعَاءٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، صِفْهُمْ لَنَا، قَالَ: هُمْ مِنْ جِلْدَتِنَا، وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَمَا تَرَى إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ؟ قَالَ: تَلْزِمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ، قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةً وَلَا إِمَامًا؟ قَالَ: فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرْقَ كُلَّهَا، وَلَوْ أَنْ تَعْصَى عَلَى أَصْلِ شَجَرَةٍ حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ» وهذا أمرٌ بلزوم جماعة المسلمين وإمامهم عند الفتن.

قال النووي -رحمه الله- في شرح مسلم^(٤): "وفي حديث حذيفة هذا لزوم جماعة المسلمين وإمامهم ووجوب طاعته وإن فسق وعمل المعاصي من أخذ الأموال وغير ذلك؛ فتجب طاعته في غير معصية".

(١) (١٧١٤٢) وصححه محققوه.

(٢) (٤٣).

(٣) أخرجه البخاري (٣٦٠٦)، ومسلم (١٨٤٧).

(٤) (٢٣٧/١٢).

ثم قال: (مَعَ التَّعَبُّدِ).

♦ السبب الخامس من أسباب السلامة من الفتن: الاجتهاد في العبادة عند ظهور الفتن، ففي صحيح مسلم^(١) من حديث مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أنه قال: قال رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «الْعِبَادَةُ فِي الْهَرَجِ كَهَجْرَةِ إِلَيَّ»، وفي رواية لأحمد^(٢): «الْعِبَادَةُ فِي الْفِتْنَةِ كَالْهَجْرَةِ إِلَيَّ».

قال النووي في شرح مسلم^(٣): "المراد بالهَرَجِ هنا الْفِتْنَةُ واختلاطُ أمور الناس، وسبب كثرة فضل العبادة فيه أن الناس يغفلون عنها ويشتغلون عنها، ولا يتفرغ لها إلا الأفراد". وفي البخاري^(٤) عن أم سلمة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- أنها قالت: «اسْتَيْقَظَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لَيْلَةً فَرَجَا، يَقُولُ: سُبْحَانَ اللَّهِ، مَاذَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْخَزَائِنِ، وَمَاذَا أَنْزَلَ مِنَ الْفِتَنِ، مَنْ يُوقِظُ صَوَاحِبَ الْحُجُرَاتِ -يُرِيدُ أَزْوَاجَهُ لِكَيْ يُصَلِّينَ- رَبٌّ كَاسِيَةٌ فِي الدُّنْيَا عَارِيَةٌ فِي الْآخِرَةِ».

قال الحافظ ابن حجر -رَحِمَهُ اللَّهُ- في فتح الباري^(٥): "وفي الحديث النَّدْبُ إِلَى الدُّعَاءِ وَالتَّضَرُّعِ عِنْدَ نَزُولِ الْفِتْنَةِ، وَلَا سِيَّمَا فِي اللَّيْلِ لِرَجَاءِ وَقْتِ الْإِجَابَةِ لَتُكْشَفَ أَوْ يَسْلَمَ الدَّاعِي وَمَنْ دَعَا لَهُ".

ثم قال: (وَالصَّبْرُ).

♦ السبب السادس من أسباب السلامة من الفتن: التَّحَلِّيُّ بِالصَّبْرِ عَلَى كُلِّ الْأَحْوَالِ، ففي الصحيحين^(٦) عن أُسَيْدِ بْنِ حُضَيْرٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أن رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: «إِنكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الْحَوْضِ».

(١) (٢٩٤٨).

(٢) (٢٠٣١١).

(٣) (٨٨/١٨).

(٤) (٧٠٦٩).

(٥) (٢٣/١٣).

(٦) أخرجه البخاري (٤٣٣٠)، ومسلم (١٠٦١).

وفيهما^(١) عن أنسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أنه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: «سَتَجِدُونَ أَثَرَهُ شَدِيدَةً، فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَإِنِّي عَلَى الْحَوْضِ»، وهذا أمرٌ بالصبر حتى الممات، على الأثرة والظلم وهي نوعٌ من الفتن.

ثم قال: (مَعَ كَفِّ اللِّسَانِ وَالْيَدِ).

♦ السبب السابع من أسباب السلامة من الفتن: كف اللسان واليد، فعن عبد الله بن عمرو -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- أنه قال: قال رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «مَنْ صَمَتَ نَجَا». أخرجه أحمد^(٢) والترمذي^(٣)، وهو في السلسلة الصحيحة^(٤)، فهذا فيه كَفُّ اللسان. وعن أبي هريرة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- عن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أنه قال: «وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرِّ قَدْ اقْتَرَبَ، أَفْلَحَ مَنْ كَفَّ يَدَهُ»، أخرجه أبو داود^(٥) وأحمد^(٦) وصَحَّحَ إِسْنَادَهُ محققوه، وهذا فيه كَفُّ اليَدِ.

وثبت عند أبي داود^(٧) وابن ماجه^(٨) عن أبي موسى الأشعري -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أنه قال: قال رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ فِتْنًا كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلَمِ يُصْبِحُ الرَّجُلُ فِيهَا مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، وَيُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ، وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي، وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي، فَكَسِّرُوا قِسِيَكُمْ، وَقَطِّعُوا أوتَارَكُمْ، وَاضْرِبُوا بِسُيُوفِكُمُ الْحَجَارَةَ، فَإِنْ دُخِلَ عَلَى أَحَدِكُمْ فَلْيَكُنْ كَخَيْرِ ابْنِي آدَمَ».

(١) أخرجه البخاري (٤٣٣١)، ومسلم (١٠٥٩).

(٢) (٦٤٨١).

(٣) (٢٥٠١).

(٤) (٥٣٦)، (٧٢/٢).

(٥) (٤٢٤٩).

(٦) (٩٦٩١).

(٧) (٤٢٥٩).

(٨) (٣٩٦١) وصحح إسناده الألباني في إرواء الغليل (١٠٢/٨).

وقوله -صلى الله عليه وسلم-: **(كَسِرُوا)** و**(قَطَّعُوا)** المقصود به المبالغة في القضاء على أسباب القتال؛ قطعاً لدابر الفتن، واستشراف النفس لها.

ثم قال: **(يَا رَبِّ سَلِّمْنَا وَحَقِّقْ أَمْنَنَا وَلْتَكْفِنَا يَا رَبِّ مَا أَهَمَّنَا)** اللهم آمين.

المتن:

ظُهُورُ كَذَّابِينَ كُلُّ لَاهِ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ
مِثْلُ مُسَيْلِمَةَ الْكَذَّابِ وَابْنِ أَبِي عُبَيْدٍ الْمُرتَابِ
وَالْأَسْوَدِ الْعَنَسِيِّ، وَمِرْزَا الْمُفْتَرِي وَلَا نَبِيَّ بَعْدَ أَزْكَى الْبَشَرِ

الشرح:

من أشراط الساعة: ظهور كذابين يدعون النبوة.

في الصحيحين^(١) عن أبي هريرة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: **«لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُبْعَثَ دَجَالُونَ كَذَّابُونَ، قَرِيبٌ مِنْ ثَلَاثِينَ، كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ»**.

وثبت عند أبي داود^(٢) والترمذي^(٣) عن ثوبان -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: **«سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي ثَلَاثُونَ كَذَّابُونَ كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ لَا نَبِيَّ بَعْدِي»**. وليس المراد بالحديث من ادعى النبوة مُطلقاً؛ فإنهم يزيدون على

هذا العدد، بل لَا يُحْصَوْنَ كَثْرَةً، وإنما المراد من قامت له شوكة وكثر أتباعه واشتهر بين الناس. وقد ظهر جماعة من هؤلاء الكذابين مُدعي النبوة، منهم: **مُسَيْلِمَةُ الْكَذَّابِ** وهو أشهرهم، خرج باليمامة، وادعى النبوة في زمن النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وقد أخبر النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عنه وعن الأسود العنسي، كما في الصحيحين^(٤) من حديث أبي

^(١) أخرجه البخاري (٣٦٠٩)، ومسلم (١٥٧).

^(٢) (٤٢٥٢).

^(٣) (٢٢١٩) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٥٢/٤).

^(٤) أخرجه البخاري (٤٣٧٣)، ومسلم (٢٢٧٤).

هريرة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أن النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُ فِي يَدَيَّ سِوَارَيْنِ مِنْ ذَهَبٍ، فَأَهَمَّنِي شَأْنُهُمَا، فَأُوحِيَ إِلَيَّ فِي الْمَنَامِ أَنْ انْفُخْهُمَا، فَانْفُخْتُهُمَا فَطَارَا، فَأَوَّلَتْهُمَا كَذَابَيْنِ يَخْرُجَانِ مِنْ بَعْدِي، فَكَانَ أَحَدُهُمَا الْعَنَسِيُّ صَاحِبَ صَنْعَاءَ، وَالْآخَرُ مُسَيْلَمَةُ صَاحِبَ الْيَمَامَةِ».

وفي روايةٍ لهما^(١): «فَأَوَّلَتْهُمَا الْكَذَّابَيْنِ اللَّذَيْنِ أَنَا بَيْنَهُمَا، صَاحِبَ صَنْعَاءَ، وَصَاحِبَ الْيَمَامَةِ».

وقد كان لمسيلمة الكذاب أتباعٌ كثيرون، وكان وَقَدَ مع قومه بني حنيفةً على النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فأَسْلَمَ، ثم إنه ارتد وادعى النبوة، وعَظَّمَ شَرُّهُ باليمامة، فأرسل إليه أبو بكرٍ جيشًا بقيادة خالد بن الوليد؛ فقتل واستراح المسلمون من شره، وكان الذي قتله وحشيٌّ بن حرب؛ رماه بحربته فأصابه فقتله، وكان وحشيٌّ يقول: "قتلتُ خير الناس في الجاهلية -يعني حمزة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- وشر الناس في الإسلام"^(٢)، يعني مُسيلمة.

وأما **الأسود العنسي** الذي أخبر النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بخروجه في حديث الصحيحين السابق، فاسمُهُ عَمِلَةُ بن كعب، وقد خرج في اليمن وغلب عليها، وجعل أمره يستطير استطارة الشرر، فَفَتَنَ أهل اليمن، وارتد منهم خلقٌ كثير، ومنهم من كان يُعامله بالتَّقِيَّةِ، وقد أراح الله المسلمين من شَرِّهِ فقتل في آخر حياة النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- على المشهور، قتله فيروز الديلمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وأما **المختار بن أبي عُبَيْدٍ الثقفي** فقد كان يتظاهر بالفضل والصلاح ويكتم الفسق، ويتظاهر بطلب دم الحُسَيْن -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-، وَيُسِرُّ طلب الدنيا، وقد أخبر النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عنه، فقد أخرج مسلم عن أسماء بنت أبي بكرٍ الصديق -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- أنها قالت للحجاج بن يوسف الثقفي: «إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حَدَّثَنَا أَنَّ فِي ثَقِيفٍ كَذَّابًا وَمُبِيرًا فَأَمَّا الْكَذَّابُ فَرَأَيْنَاهُ» تعني المختار بن أبي عُبَيْدٍ «وَأَمَّا الْمُبِيرُ فَلَا إِخَالِكَ إِلَّا إِيَّاهُ».

(١) أخرجه البخاري (٤٣٧٤)، ومسلم (٢٢٧٤).

(٢) انظر: سيرة ابن هشام (٧٣/٢)، والاستيعاب (١٥٦٥/٤)، والبداية والنهاية (٣٦٤/٥).

وقد ذكر النووي في شرح صحيح مسلم^(١) أن العلماء اتفقوا على أن المراد بالكذاب المختار بن أبي عبيد، والمختار كان يدعي أنه يوحى إليه؛ فذكر ذلك لابن عباس -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- فقال: صدق المختار، قال الله -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَدِّلُوَكُمْ﴾ [الأنعام: ٢١]، ولما تبين لعبدالله بن الزبير -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- خُبْتُ مُعْتَقِد المختار بن أبي عبيد وأنه يزعم أن جبريل يأتيه بعث إليه جيشاً بقيادة أخيه مُصعب بن الزبير فقتل المختار.

ولم تنقطع هذه السلسلة من الكذابين، فقد تَنَبَّأ في القرن الماضي دَجَالُ الهند **ميرزا غلام أحمد القادياني**، وكان معروفاً عند أصحابه باختلال المزاج، وإدمان المخدرات، وقد ادعى النبوة، وأنه المسيح المنتظر، وأن عيسى -عَلَيْهِ السَّلَامُ- ليس بحيٍّ في السماء، وألغى الحج إلى مكة وحَوَّلَهُ إلى قاديان، وشبه الله -جَلَّ وَعَلَا- بخلقه، وصار له أتباع وأنصار، وانبرى له كثيرٌ من العلماء فردُّوا عليه وبيَّنوا دَجَلَهُ، وقد أخذه الله أخذ عزيزٍ مُقْتَدِر.

وهؤلاء الأربعة هم الذين ذكرهم في قوله:

(مِثْلُ مُسَيْلِمَةَ الْكَذَّابِ وَابْنِ أَبِي عُبَيْدٍ الْمُرْتَابِ
وَالْأَسْوَدِ الْعَنْسِيِّ، وَمِرْزَا الْمُفْتَرِي)

ثم قال: (وَلَا نَبِيَّ بَعْدَ أَزْكَى الْبَشَرِ) كما قال النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في حديث ثوبان السابق^(٢): «سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي ثَلَاثُونَ كَذَّابُونَ كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ لَا نَبِيَّ بَعْدِي».

📖 المتن:

وَكَثْرَةُ الشُّرْطِ وَالْمَذْمُومُ مَا
كَانَ لِتَغْذِيبِ الْعِبَادِ سُلْماً
أَمَّا إِذَا كَانَ لِبَسْطِ الْعَدْلِ
فَلَيْسَ هَذَا دَاخِلاً فِي الْعَدْلِ

الشرح:

^(١) (١٠٠/١٦).

^(٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (١٣٧٩/٤).

^(٣) سبق تخريجه قريباً.

من أشراط الساعة: كثرة الشرط، والمذموم من ذلك أعوان الظلمة الذين يسومون الناس أنواع العذاب والتنكيل، وأما الشرط الذين يُقيمون العدل بين الناس ويحافظون على أمن البلد واستقراره، فليسوا داخلين في هذه الأحاديث الواردة في الدم، وهذا معنى قوله:

(وَكثْرَةُ الشَّرْطِ وَالْمَذْمُومُ مَا كَانَ لِتَعْذِيبِ الْعِبَادِ سُلْمًا

أَمَّا إِذَا كَانَ لِبَسْطِ الْعَدْلِ فَلَيْسَ هَذَا دَاخِلًا فِي الْعَذْلِ)

دليل هذا الشرط من أشراط الساعة: ما أخرجه الإمام مسلم^(١) عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال له: «يُوشِكُ أَنْ تَأْتِيَكَ بَكْمُ مَدَّةٍ أَنْ تَرَى قَوْمًا فِي أَيْدِيهِمْ مِثْلُ أَذْنَابِ الْبَقَرِ، يَغْدُونَ فِي غَضَبِ اللَّهِ، وَيَرْوَحُونَ فِي سَخَطِ اللَّهِ».

وفي معناه ما ثبت عند الإمام أحمد في مسنده^(٢) عن أبي أمامة -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «يَكُونُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ رِجَالٌ» أو قال: «يُخْرِجُ رِجَالٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ مَعَهُمْ أَسْيَاطٌ كَأَنَّهُمْ أَذْنَابُ الْبَقَرِ، يَغْدُونَ فِي سَخَطِ اللَّهِ وَيَرْوَحُونَ فِي غَضَبِهِ».

وفي رواية للطبراني في الكبير^(٣): «سَيَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ شُرَطَةٌ يَغْدُونَ فِي غَضَبِ اللَّهِ، وَيَرْوَحُونَ فِي سَخَطِ اللَّهِ، فَإِيَّاكَ أَنْ تَكُونَ مِنْ بَطَانَتِهِمْ». وقد جاء الوعيد بالنار لهذا الصنف من الناس الذين يتسلطون على المسلمين ويُعذبونهم بغير حق، فقد أخرج الإمام مسلم في صحيحه^(٤) عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أنه قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا: قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ» الحديث.

📖 المتن:

(١) (٢٨٥٧).

(٢) (٢٢١٥٠).

(٣) (٧٦١٦).

(٤) (٢١٢٨).

غَرْبَلَةٌ وَقِلَّةُ الْأَخْيَارِ تَتَّبِعُ لِسَنَ الْكُفَّارِ
تَنَازَرُ، تَطَاوُلُ الْبُنْيَانِ تَقَارُبُ الْأَسْوَاقِ وَالزَّمَانِ

الشرح:

قال: (غَرْبَلَةٌ وَقِلَّةُ الْأَخْيَارِ)

من أشراط الساعة: ذهاب الصالحين، وقلة الأخيار، وكثرة الأشرار، فقد ثبت في مسند الإمام أحمد^(١) عن عبد الله بن عمرو -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- أنه قال: قال رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَأْخُذَ اللَّهُ شَرِيPTَهُ -أي من يختاره من أهل الخير- مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ، فَيَبْقَى فِيهَا عَجَاجَةٌ -العجاجة: الغوغاء والأراذل ومن لا خير فيه- لَا يَعْرِفُونَ مَعْرُوفًا، وَلَا يُنْكِرُونَ مُنْكَرًا».

وثبت عند أحمد^(٢) وأبي داود^(٣) وابن ماجه^(٤) عن عبد الله بن عمرو -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- أن النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: «يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يُغْرِبُونَ فِيهِ غَرْبَلَةٌ -يُغْرِبُونَ: يذهب خيارهم ويبقى شرارهم، كما أن الغربال يُنْقِي الدقيق ويُبْقِي الحثالة، وهذا معنى قوله: (غَرْبَلَةٌ وَقِلَّةُ الْأَخْيَارِ)- يَبْقَى مِنْهُمْ حُثَالَةٌ -الحثالة: الرديء من كل شيء، والمراد يبقى شرارهم وأراذلهم- قَدْ مَرَجَتْ عَهْدُهُمْ، وَأَمَانَتُهُمْ -أي اختلطت واختلقت وفسدت؛ فلا يُعْرِفُ الْأَمِينُ مِنَ الْخَائِنِ وَلَا الْبَرُّ مِنَ الْفَاجِرِ- وَاخْتَلَفُوا فَكَانُوا هَكَذَا، وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَمَا الْمَخْرَجُ مِنْ ذَلِكَ؟ قَالَ: تَأْخُذُونَ مَا تَعْرِفُونَ، وَتَدْعُونَ مَا تُنْكِرُونَ، وَتُقْبِلُونَ عَلَى أَمْرِ خَاصَّتِكُمْ، وَتَدْعُونَ أَمْرَ عَامَّتِكُمْ».

ثم قال: (تَتَّبِعُ لِسَنَ الْكُفَّارِ).

من أشراط الساعة: اتباع سنن الأمم الماضية من اليهود والنصارى والإعجاب بما عندهم والتشبه بهم وتقليدُهم والافتتانُ بهم، وهذا مصداق ما أخبر به النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ

(١). (٦٩٦٤).

(٢). (٧٠٤٩).

(٣). (٤٣٤٢).

(٤). (٣٩٥٧).

عليه وسلّم-، ففي صحيح البخاري^(١) عن أبي هريرة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- عن النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أنه قال: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَأْخُذَ أُمَّتِي بِأَخْذِ الْقُرُونِ قَبْلَهَا، شِبْرًا بِشِبْرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَفَارِسَ وَالرُّومَ؟ فَقَالَ: وَمَنِ النَّاسُ إِلَّا أَوْلَئِكَ».

وفي الصحيحين^(٢) عن أبي سعيد الخدري -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أنه قال: قال رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «لَتَتَّبِعَنَّ سَنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَاتَّبَعْتُمُوهُمْ، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: فَمَنْ؟».

والمراد بالشِّبْر والذِّرَاع: التمثيلُ لشدة موافقتهم وتقليدهم في كل كبيرة وصغيرة؛ من أزيائهم وقصات شعورهم، والتحدث بلغاتهم من غير حاجة، إلى مُحَاكَاةِهم العمياء في أعيادهم وتفكيرهم وأخلاقهم وحياتهم وإن بلغت من الضيق والالتواء والرداءة مبلغ جُحْر الضَّبِّ، ولهذا مُثِّلَ به؛ فإن جُحْر الضَّبِّ شديد الضيق والرداءة والخُبث وبتن الريح.

وليس هذا عامًّا لجميع الأمة، فقد أخبر النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: أنه لا تزال طائفةٌ مِنْ أُمَّتِهِ ظاهرين على الحقِّ حتى تقوم الساعة^(٣)، فسيبقى في الأمة قومٌ متمسكون بهديه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- على الإسلام المحض الخالص من الشُّوب، نسأل الله أن يجعلنا منهم.

قال: (تَنَافُرٌ)

من أشراط الساعة: وقوع التناكرين الناس، فقد ثبت في مسند الإمام أحمد^(٤) عن حذيفة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أنه قال: «سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَنِ السَّاعَةِ؟ فَقَالَ: عَلِمْتُهَا عِنْدَ رَبِّي، لَا يُجَلِّمُهَا لَوْفَتِهَا إِلَّا هُوَ، وَلَكِنْ أَخْبِرْكُمْ بِمَشَارِطِهَا وَمَا يَكُونُ بَيْنَ يَدَيْهَا، إِنَّ بَيْنَ يَدَيْهَا فِتْنَةٌ وَهَرَجًا. قالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! الْفِتْنَةُ قَدْ عَرَفْنَاهَا، فَالْهَرَجُ مَا هُوَ؟ قَالَ بِلِسَانِ الْحَبَشَةِ: الْقَتْلُ، وَيُلْقَى بَيْنَ النَّاسِ التَّنَافُرُ، فَلَا يَكَادُ أَحَدٌ أَنْ يَعْرِفَ أَحَدًا».

(١) (٧٣١٩).

(٢) أخرجه البخاري (٧٣٢٠)، ومسلم (٢٦٦٩).

(٣) أخرجه البخاري (٧٣١١)، ومسلم (١٩٢٠).

(٤) (٢٣٣٠٦) وصححه محققوه.

فوق التناكر بين الناس واشتغال كلِّ بنفسه من أشراط الساعة، فلا يُؤدّي حقّ جارٍ، ولا تُراعى حُرمة قريب، ولا يُحفظ وُدُّ ذي وُدٍّ. والخير باقي في هذه الأمة، لكنَّ أشراط الساعة لا بد من وقوعها، فالخير في إدبار والشرُّ في إقبال، والواجبُ على المسلم الاعتصام بالله والتمسكُ بدينه، وتصبير النفس على مرضاة الله ﴿وَمَنْ يَعْتَصِم بِاللهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٠١].

ثم قال: **(تَطَاوُلُ الْبُنْيَانِ).**

من أشراط الساعة: التّطاولُ في البُنْيَانِ، ففي الصحيحين^(١) من حديث أبي هريرة - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- في حديث جبريل الطويل: **«وَإِذَا تَطَاوَلَ رِجَاءُ الْبَنِيَانِ، فَذَاكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا»**، وفي صحيح مسلم^(٢) من حديث عُمر - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-: **«وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِجَاءَ الشَّيْءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ»**.

ولم تكن إطالة البناء ورفعُه أمرًا معروفًا في زمن النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وإنما حصل التطاول في البنيان والترافع فيه والمُباهاة والتفاخرُ بعد ذلك حين بُسِطت على الناس الدنيا حتى صار أهل البادية من رُعاة الغنم يبنون الأبنية ذات الطوابق المتعددة، ويتطاولون فيها، وقد ظهر هذا جليًّا في عصرنا، حتى وصل بهم الأمرُ إلى أن بنوا ناطحات السحاب.

والتطاول في البُنْيَانِ إن كان اشتغالا بالدنيا وانغماسًا فيها فهو مذموم، وقد قال خَبَّابٌ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- كما في البخاري^(٣) -وروي من طُرُقٍ مرفوعا^(٤):- **«إِنَّ الْمُسْلِمَ لَيُؤْجَرُ فِي كُلِّ شَيْءٍ يُنْفِقُهُ، إِلَّا فِي شَيْءٍ يَجْعَلُهُ فِي هَذَا التُّرَابِ»** أي الذي يوضع في البُنْيَانِ، وهو محمولٌ على ما زاد عن الحاجة.

(١) أخرجه البخاري (٥٠)، ومسلم (٩) واللفظ له.

(٢) (٨).

(٣) (٥٦٧٢).

(٤) انظر السلسلة الصحيحة (٨٠٠/٦).

وأما إن لم يكن التطاول اشتغالاً بالدنيا ولا انغماساً فيها؛ فليس بمذموم، وليس كلُّ شيءٍ أخبر النَّبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أنه من أشراط الساعة يكون مذموماً أو مُحَرَّمًا، فمن أشراط الساعة مبعثه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وفتحُ بيت المقدس، وصدقُ رؤيا المؤمن.

ثم قال: (تَقَارُبُ الْأَسْوَاقِ).

من أشراط الساعة: تقارب الأسواق، فقد ثبت في مسند الإمام أحمد^(١) عن أبي هريرة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أن رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَظْهَرَ الْفِتْنُ وَيَكْثُرَ الْكَذِبُ وَتَتَقَارَبَ الْأَسْوَاقُ وَتَتَقَارَبَ الزَّمَانُ**» الحديث.

وتقاربُ الأسواق المذكورُ في الحديث يشملُ التقاربَ الحِسِّيَّ والمعنوي، فالتقاربُ الحِسِّيُّ يلاحظُهُ كلُّ أحد، فقد كَثُرَتِ الأسواقُ في زماننا كثرةً عجيبة، حتى إنه ليكادُ لا يخلو حيٌّ من سوق، وقد أصبح لا يفصلُ بين السوق والسوق إلا المسافة اليسيرة، ولا يبعدُ أن يدخل في ذلك أيضًا سرعةُ الوصول إلى الأسواق بوسائل النقل الحديثة.

ويشملُ التقاربَ المعنوي، وهو حصولُ المشتري على ما يُريدُ من أسواق جميع أنحاء العالم في مُدَّةٍ يسيرة؛ فتستطيعُ وأنت في بيتك عن طريق الشبكة العنكبوتية أن تنظر في صور السلع وأسعارها من موقع الشركة التي تُريدُ أن تشتري منها، وتطلبُ بوسائل الاتصال الحديثة من أقصى أقطار العالم، وتدفعُ بالبطاقة البنكية، وبعد يومين يُطرقُ عليك بابك، وتُسَلِّمُ السلعة؛ فالتقاربُ في الأسواق المذكور في الحديث يشملُ التقاربَ الحسي، والتقاربَ المعنوي.

قال: (تَقَارُبُ الْأَسْوَاقِ وَالزَّمَانِ).

من أشراط الساعة: تقاربُ الزمان، في صحيح البخاري^(٢) عن أبي هريرة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أنه قال: قال رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقْبَضَ الْعِلْمُ، وَتَكْثُرَ الزَّلَازِلُ، وَتَتَقَارَبَ الزَّمَانُ**».

(١) (١٠٧٢٤) وصح إسناده محققه.

(٢) (١٠٣٦).

وأصل الحديث في الصحيحين^(١) دون قوله: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ**».

وقد جاء تفسيرُ تقارب الزمان في مسند الإمام أحمد^(٢) عن أبي هريرة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أنه قال: قال رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَتَقَارَبَ الزَّمَانُ، فَتَكُونَ السَّنَةُ كَالشَّهْرِ، وَيَكُونَ الشَّهْرُ كَالْجُمُعَةِ، وَتَكُونَ الْجُمُعَةُ كَالْيَوْمِ، وَيَكُونَ الْيَوْمُ كَالسَّاعَةِ، وَتَكُونَ السَّاعَةُ كَاخْتِرَاقِ السَّعْفَةِ**».

وللعلماء في تفسير تقارب الزمان أقوالٌ كثيرة تزيد على ثمانية أقوال، أقواها قولان:

القول الأول: أن المراد: تقاربُ الزمان المعنوي بقلة البركة في الوقت، قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري^(٣): "الذي تضمنه الحديث قد وجد في زماننا هذا، فإننا نجدُ من سرعة مَرِّ الأيام ما لم نكن نجدُهُ في العصر الذي قبل عصرنا هذا"، ونقل^(٤) عن القاضي عياض والنووي وغيرهما أن هذا القول أظهرُ وأكثرُ فائدةً وأوفقُ لبقية الأحاديث. والقول الآخر: أن المراد قِصَرُ الزمان الحسي وسرعته سرعةً حقيقية، وهو ظاهرُ رواية الإمام أحمد السابقة للحديث^(٥): «**فَتَكُونَ السَّنَةُ كَالشَّهْرِ، وَيَكُونَ الشَّهْرُ كَالْجُمُعَةِ، وَتَكُونَ الْجُمُعَةُ كَالْيَوْمِ، وَيَكُونَ الْيَوْمُ كَالسَّاعَةِ، وَتَكُونَ السَّاعَةُ كَاخْتِرَاقِ السَّعْفَةِ**» وهذا لم يقع إلى الآن.

ويؤيده ما جاء أن أيام الدجال تطولُ حتى يكون اليومُ كالسنة وكالشهر وكالجمعة في الطول، فكما أن الأيام تطول فإنها تقصرُ، وذلك لاختلال نظام العالم في آخر الزمان وقُرب زوال الدنيا.

وقيل في تفسير تقارب الزمان: إن المراد ما يكون في زمن المهدي وعيسى -عَلَيْهِ السَّلَامُ- من استلذاذ الناس للعيش وتوفر الأمن وغلبة العدل، وذلك أن الناس يستقصرون أيام الرخاء وإن طالَت، وتطولُ عليهم مدة الشدة وإن قصُرت.

(١) أخرجه البخاري (٦٠٣٧)، ومسلم (١٥٧) ولفظ مسلم: «يتقارب الزمان، ويقبض العلم، وتظهر الفتن، ويلقى الشح، ويكثر الهرج».

(٢) (١٠٩٤٣) وصح إسناده محققه.

(٣) (١٦/١٣).

(٤) (١٧/١٣).

(٥) سبق تخريجه قريباً.

وقيل: إن المراد تقارب أحوال أهل الزمان في قلة الدين.

وقيل: إن المراد تقارب أهل الزمان بسبب توفر وسائل النقل والاتصال.

وأقوى الأقوال كما سبق أن يكون المراد قلة البركة في الوقت، أو أن تقصر مدة الأيام قصرًا حسيًا حقيقيًا، وعلى هذا التفسير الأخير يكون هذا الشرط من الأشراف التي لم تظهر بعد.

المتن:

وَأَنْ يَشِيعَ فِي الْأَنَامِ الشَّرُّ فَحُشٌّ قَطِيعَةٌ وَزُورٌ خَمْرٌ
شِرْكٌ تَشَبُّبٌ وَشُحٌّ جَهْلٌ زِنَى رَبًّا مَعَارِفٌ وَقَتْلٌ
زَلَزَلٌ تِجَارَةٌ وَكُتُبٌ تَشَدُّقٌ سُوءُ الْجَوَارِ الْكِذْبُ

الشرح:

ذكر في هذه الأبيات الثلاثة تسعة عشر شرطًا: قال: (وَأَنْ يَشِيعَ فِي الْأَنَامِ الشَّرُّ).

من أشراط الساعة: أن يشيع الشر، وترتفع الأشرار، ويقل الخير، وتوضع الأخيار،

ثبت عند الطبراني في مسند الشاميين^(١) والحاكم في المستدرک^(٢) عن عبد الله بن عمرو -

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- أن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: «إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ تُرْفَعَ

الأشرار، وتوضع الأخيار» وإذا رُفِعَ الأشرار شاع الشر في الناس وقل الخير، ولا يزال الشر

وأهله في ازدياد حتى لا يبقى إلا شرار الخلق وعليهم تقوم الساعة كما سيأتي إن شاء الله.

قال: (فَحُشٌّ).

من أشراط الساعة: ظهور الفحش وانتشاره بين الناس.

والفحش: كل ما اشتد قبحه من المعاصي من قول أو فعل.

(١) (٤٨٢).

(٢) (٨٦٦١) وهو في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٢٨٢١) (٧٧٤/٦).

أخرج أحمد^(١) والحاكم^(٢) عن عبد الله بن عمرو -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- أن رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَظْهَرَ الْفُحْشُ وَالتَّفَاحُشُ، وَقَطِيعَةُ الرَّحِمِ، وَسُوءُ الْمَجَاوَرَةِ**».

وقد وقع ما أخبر به النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فقد ظهر الفُحْشُ في الأقوال والأفعال، وسرى في كثيرٍ من الناس، وقد أخرج مسلم^(٣) عن عائشة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- أن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: «**إِنَّ اللَّهَ لَا يَحِبُّ الْفُحْشَ وَالتَّفَحُّشَ**»، وقال ابن مسعود -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: «**الْأَمُّ خُلِقَ الْمُؤْمِنِ الْفُحْشُ**»^(٤).
قال: (قطيعة).

من أشراط الساعة: قطيعة الرحم، وقد دل على ذلك حديثُ عبد الله بن عمرو السابق^(٥): «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَظْهَرَ الْفُحْشُ وَالتَّفَاحُشُ، وَقَطِيعَةُ الرَّحِمِ، وَسُوءُ الْمَجَاوَرَةِ**».

وقطيعةُ الرحمِ مما عمَّ وطَمَّ، وقد صار كثيرٌ من تواصلِ الناس من أجل الدنيا فهي التي تجمعهم وهي التي تُفَرِّقهم، وتمضي السنوات على الأقارب وهم في بلدٍ واحدٍ بلا تواصلٍ ولا تزاور، وقد حذر الله من قطيعة الرحم فقال: ﴿**فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ (٢٢) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ**﴾ [محمد: ٢٢-٢٣].

وفي الصحيحين^(٦) عن جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- عن النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أنه قال: «**لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعُ رَحِمٍ**».

(١) (٦٥١٤).

(٢) (٢٥٣) وهو في السلسلة الصحيحة (٢٢٣٨) (٢٨٠/٥).

(٣) (١١).

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت (٣٢٥).

(٥) سبق تخريجه قريباً.

(٦) أخرجه البخاري (٥٩٨٤)، ومسلم (٢٥٥٦).

♦ ثم قال: (وزور).

من أشراف الساعة: شهادة الزور، ثبت عند أحمد في المسند^(١) عن عبد الله بن مسعود -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «إِنْ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ: تَسْلِيمَ الْخَاصَّةِ» إِلَى أَنْ قَالَ: «وَشَهَادَةَ الزُّورِ، وَكِتْمَانَ شَهَادَةِ الْحَقِّ».

وشهادة الزور: هي الكذب في الشهادة، وهي من أكبر الكبائر، كما في الصحيحين عن أبي بكر -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أَنَّهُ قَالَ: «كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَقَالَ: «أَلَا أَنْبِئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكِبَائِرِ-قَالَهَا ثَلَاثًا- الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ-أَوْ قَالَ- وَقَوْلُ الزُّورِ، وَكَانَ مُتَكِنًا فَجَلَسَ فَمَا زَالَ يُكْرِزُهَا حَتَّى قُلْنَا: لَيْتَهُ سَكَتَ».

وإنما كانت من أكبر الكبائر؛ لأنها سببٌ في إتلاف النفوس والأموال، وفي الظلم والجور، وإضاعة الحقوق، وتحليل ما حرم الله، وتحريم ما أحل الله؛ فلا تجوز الشهادة إلا بعلمٍ وحق كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمَنَا﴾ [يوسف: ٨١]، وقال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزُّحُف: ٨٦].

ولا يجوز أيضاً كتمان الشهادة، قال تعالى: ﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ إِيَّاكُمْ لِقَلْبُهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

♦ ثم قال: (خمر).

من أشراف الساعة: أن يظهر شرب الخمر ويشيع، في الصحيحين^(٢) عن أنس -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «مِنْ أَشْرَافِ السَّاعَةِ أَنْ يُرْفَعَ الْعِلْمُ وَيَثْبُتَ الْجَهْلُ وَيُشْرَبَ الْخَمْرُ» أَي شُرْبًا فَاشِيًا، وَهَذَا فِي زَمَانِنَا ظَاهِرٌ، بَلْ قَدْ اسْتَحَلَّهُ طَائِفَةٌ مِنَ النَّاسِ، وَقَدْ جَاءَ الْوَعِيدُ الشَّدِيدُ فَيَمْنُ فَعَلَ ذَلِكَ بِالْإِهْلَاكِ وَالْمَسْخِ، فَعَنْ أَبِي عَامِرٍ أَوْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: «لَيَكُونَنَّ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ يَسْتَحِلُّونَ الْجَرَ وَالْحَرِيرَ وَالْخَمْرَ وَالْمَعَازِفَ وَلَيَنْزِلَنَّ أَقْوَامٌ إِلَى جَنْبِ عِلْمٍ» أَي جَبَلٍ «يَرُوحُ عَلَيْهِمْ بِسَارِحَةٍ لَهُمْ» أَي يروح عليهم راعيهم بغنمٍ لهم «يَأْتِيهِمْ -

(١) (٣٨٧٠) وهو في السلسلة الصحيحة (٦٤٧) (٢٤٦/٢).

(٢) أخرجه البخاري (٨٠)، ومسلم (٢٦٧١).

يَعْنِي الْفَقِيرَ - لِحَاجَةٍ، فيقولون: ارْجِعْ إلينا غداً؛ فَيُبَيِّتُهُمُ اللَّهُ» أي يُهْلِكُهُمْ «وَيَضَعُ الْعِلْمَ» أي يَذْكُ الْجَبَلَ وَيُوقِعُهُ عَلَى رءوسهم «وَيَمْسُخُ آخِرِينَ» أي يُغَيِّرُ خَلْقَهُمْ «قِرْدَةً وَخَنَازِيرَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ» أخرجهُ البخاري^(١).

واستحلالُ الخمرِ المذكورُ في الحديثِ فُسِّرَ باعتقادِ حِلِّ شُرْبِهَا، وفُسِّرَ بالاسترسالِ في شُرْبِهَا والتساهلِ في ذلكِ كالاسترسالِ في الحلالِ.

وقد أخبر النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أنها ستُسمى بغيرِ اسمِها، فقد روى أحمد^(٢) وابن ماجه^(٣) عن عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: **«لَتَسْتَحِلَّنَّ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي الْخَمْرَ بِاسْمٍ يَسْمُونَهَا إِيَّاهُ»**، وقد حصل مصداق ما أخبر به النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في هذه الأحاديث؛ من فُسُوقِ شُرْبِ الْخَمْرِ، واستحلالِهَا، وتسميتها بغيرِ اسمِها، فقد فشا شُرْبُهَا وشُرِبَتْ علانيةً بغيرِ نكيرٍ في كثيرٍ من البلاد، مع ما جاء في ذلك من الوعيد الشديد، والزجر والتهديد. وسُميت بغيرِ اسمِها، فقد سُميت بالمشروباتِ الروحية، وبغيرِ ذلك من الأسماء، وهذا كله من علاماتِ قُربِ قيام الساعة.

وقد صاحب ذلك في زماننا انتشارُ المُخْدِرَاتِ بأنواعِها التي دَمَرَتِ العقولَ، وَشَتَّتَتِ الْأُسْرَ، وَأَتْلَفَتِ الْأَمْوَالَ فِي مَفَاسِدَ كَثِيرَةٍ لَا تُعَدُّ وَلَا تُحصى، وقد أجمع العلماء على حُرْمَتِهَا، وحذروا من سبيلِ أهلِهَا.

♦ ثم قال: **(شِرْكٌ)**.

من أشراط الساعة: ظهورُ الشِّرْكِ في هذه الأمة كما أخبر بذلك النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، ففي الصحيحين^(١) عن أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَضْطَرِبَ أَلْيَاتُ نِسَاءٍ دَوْسٍ حَوْلَ ذِي الْخَلَصَةِ» وَذُو الْخَلَصَةِ: طَاغِيَةُ دَوْسٍ الَّتِي كَانُوا يَعْبُدُونَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ. وَالْأَلْيَاتُ: جَمْعُ أَلْيَةٍ وَهِيَ عَجِزَةٌ

(١) (٥٥٩٠).

(٢) (٢٢٧٠٩).

(٣) (٣٣٨٥) وهو في السلسلة الصحيحة (٩٠) (١٨٢/١).

الإنسان. واضطرابُ الأليّاتِ حولِ ذي الخصلة كنايةً عن عودة عبادة الأصنام والطواف حولها، وقد ثبت عند أبي داود^(٢) والترمذي^(٣) عن ثوبان -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أنه قال: قال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: **«لا تقوم الساعةُ حتى تلحق قبائلُ من أمتي بالمشرّكين، وحتى تُعبدَ قبائلُ من أمتي الأوثان»**.

وما أخبر به النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لابد أن يقع، وقد وقع كثيرٌ من ذلك، والأمرُ في ازدياد، فقد بُنيت المشاهدُ على القبور، وقُصدت لقضاء الحاجات، وقُدمت لها الندور، وأقيمت لها الأعياد، وعُبدت من دون الله.

وما أقسى قلبٍ من ينظرُ إلى تلك الجموعِ المُحتشدةِ حول القبور يهتفون باسم أمواتٍ قد تَفَتَّتْ عظامهم، وتقطعت أوصالهم؛ مُعرضين عن دعاء الحي الذي لا يموت، ثم لا يغار على حق الله الأعظم، الذي ما خُلِقَ الخلق إلا لتحقيقه وهو توحيده وإفراده بالعبادة **﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾** [الذاريات: ٥٦].

ما أقساه من قلب!

وكيف يَجْمَلُ بعينٍ أن تستبقي دموعها في محاجرها فلا تُريقها، وهي تنظر إلى أولئك الذين جعلوا الأضرحةَ مزاراتٍ يعبدونها من دون الله، يطوفون بها ويتبركون، وينذرون لأصحابها ويذبحون، مع انحناء الرؤوس وضراعة النفوس!

^(١) أخرجه البخاري (٧١١٦)، ومسلم (٢٩٠٦).

^(٢) (٤٢٥٢).

^(٣) (٢٢١٩) وصححه الألباني كما في صحيح الجامع الصغير (٧٤١٨) (١٢٣٦/٢).

فَانْظُرْ إِلَيْهِمْ قَدْ غَلَوْا وَزَادُوا
بِالشَّيْءِ وَالْأَجْرِ وَالْأَحْجَارِ
وَلِلْقَنَادِيلِ عَلَيْهِمْ أَوْقَدُوا
وَنَصَبُوا الْأَعْلَامَ وَالرَّايَاتِ
بَلْ نَحَرُوا فِي سُوحِهَا النَّحَائِرِ
وَالْتَمَسُوا الْحَاجَاتِ مِنْ
قَدْ صَادَهُمْ إِبْلِيسُ فِي فِخَاخِهِ
يَدْعُو إِلَى عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ
فَلَيْتَ شِعْرِي مَنْ أَبَاحَ ذَلِكَ
فِيَا شَدِيدَ الطَّوْلِ وَالْإِنْعَامِ
وَرَفَعُوا بِنَاءَهَا وَشَادُوا
لَا سِيِّمًا فِي هَذِهِ الْأَعْصَارِ
وَكَمْ لِيَوَاءِ فَوْقَهَا قَدْ عَقَدُوا
وَافْتَتَنُوا بِالْأَعْظَمِ الرُّفَاتِ
فِعَلَ أُولِيَ التَّسْيِيبِ وَالْبَحَائِرِ
وَاتَّخَذُوا إِلَهُهُمْ هَوَاهُمْ
بَلْ بَعْضُهُمْ قَدْ صَارَ مِنْ
بِالْمَالِ وَالنَّفْسِ وَبِاللِّسَانِ
وَأَوْرَطَ الْأُمَّةَ فِي الْمَهَالِكِ
إِلَيْكَ نَشْكُو مِحْنَةَ الْإِسْلَامِ

♦ ثم قال: (تَشَبُّبٌ).

من **أشراط الساعة: تَشَبُّبُ الْمَشِيخَةِ**، أخرج أحمد^(١) وأبو داود^(٢) عن ابن عباس -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- أنه قال: قال رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «يَكُونُ قَوْمٌ يَخْضِبُونَ فِي آخِرِ الزَّمَانِ بِالسَّوَادِ كَحَوَاصِلِ الْحَمَامِ لَا يَرِيحُونَ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ». قال الحافظ ابن حجر^(٣): "إسناده قوي إلا أنه اختُلِفَ في رفعه ووقفه، وعلى تقدير ترجيح وقفه فمثله لا يُقال بالرأي فحكمه الرفع".

وقد انتشر في زماننا صبغُ اللَّحْيِ والرُّؤُوسِ بالسَّوَادِ، وقد أخرج مسلم في صحيحه^(٤) عن جابر بن عبد الله -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- أنه قال: «أُتِيَ بَابِي فُحَافَةً يَوْمَ فَتَحِ مَكَّةَ وَرَأْسُهُ وَلَحْيَتُهُ

(١) (٢٤٧٠).

(٢) (٤٢١٢).

(٣) في فتح الباري (٤٩٩/٦).

(٤) (٢١٠٢).

كَالثَّغَامَةِ بَيَاضًا - الثَّغَامَةُ: نَبْتُ أبيضُ الزَّهْرِ وَالثَّمَرِ، شَبَّهَ بَيَاضَ الشَّيْبِ بِهِ - **فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: غَيِّرُوا هَذَا بِشْيَاءٍ، وَاجْتَنِبُوا السَّوَادَ.**

والمقصود هنا: أن تَشَبَّهَ الْمَشِيخَةَ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ، وَأَمَّا مَسْأَلَةُ حَكْمِ الصَّبْغِ بِالسَّوَادِ وَمَنَاقِشُهُ مَا وَرَدَ مِنَ الْأَحَادِيثِ فِيهِ رَوَايَةٌ وَدَرَايَةٌ؛ فَلَهَا مَحَلُّهَا مِنْ كُتُبِ الْفَقْهِ وَشُرُوحِ الْحَدِيثِ.

♦ ثم قال: (وَشُحٌّ).

من أشراف الساعة: كثرة الشُّحِّ، في الصحيحين^(١) عن أبي هريرة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- عن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أنه قال: «يَتَقَارَبُ الزَّمَانُ، وَيَنْقُصُ الْعَمَلُ، وَيُلْقَى الشُّحُّ» أي يوضع في القلوب.

وقد حذرنا النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مِنَ الشُّحِّ، وَأَخْبَرَ أَنَّهُ مَهْلَكَةٌ، فِيهِ صَحِيحٌ مُسْلِمٌ^(٢) عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «اتَّقُوا الظُّلْمَ؛ فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَاتَّقُوا الشُّحَّ؛ فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَائِهِمْ، وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ».

♦ ثم قال: (جَهْلٌ).

من أشراف الساعة: فُشُوُ الْجَهْلِ وَقَبْضُ الْعِلْمِ، في الصحيحين^(٣) عن أنس بن مالك -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أنه قال: قال رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يُرْفَعَ الْعِلْمُ وَيَثْبُتَ الْجَهْلُ». وعند البخاري^(٤) عن شَقِيقِ بْنِ سَلَمَةَ -رَحِمَهُ اللَّهُ- أنه قال: كنت مع عبد الله أي ابن مسعود وأبي موسى -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-، فقالا: قال النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ لَأَيَّامًا يَنْزِلُ فِيهَا الْجَهْلُ» -أي يتمكن الجهل في الناس- وَيُرْفَعُ فِيهَا الْعِلْمُ». ورفع العلم لا يكون بمحوه من الصدور، بل يكون بموت

(١) أخرجه البخاري (٦٠٣٧)، ومسلم (١٥٧)

(٢) (٢٥٧٨).

(٣) أخرجه البخاري (٨٠)، ومسلم (٢٦٧١).

(٤) (٧٠٦٢).

العلماء، ففي الصحيحين^(١) عن عبد الله بن عمرو -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- أنه قال: سمعتُ رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يقول: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ الْعِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوسًا جُهَالًا، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا».

والمراد بالعلم هنا: علمُ الكتاب والسُّنة، أما علوم الدنيا فإنها في ازدياد.

ومن أجل ذلك قال ابن مسعود -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: «عليكم بالعلم قبل أن يُقْبَضَ وقبضُهُ ذهابُ أهله»^(٢)، وقيل لسعيد بن جبیر -رَحِمَهُ اللَّهُ-: «مَا عَلَامَةُ هَلَاكِ النَّاسِ؟ قَالَ: إِذَا هَلَكَ عُلَمَاؤُهُمْ»^(٣) لذلك ما أحرانا أن نتمثل وصية الحسن بن علي -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- التي كان يوصي بها بنييه وبني أخيه، كان يقول لهم: «تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ فَإِنَّكُمْ صَغَارُ قَوْمِ الْيَوْمِ وَتَكُونُونَ كِبَارَهُمْ غَدًا»^(٤).

ولا يزال العلم ينقص والجهل يكثر حتى لا يعرف الناس فرائض الإسلام، ثبت عند ابن ماجه^(٥) عن حذيفة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أنه قال: قال رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «يَدْرُسُ الْإِسْلَامُ كَمَا يَدْرُسُ وَشْيُ الثَّوْبِ حَتَّى لَا يُدْرَى مَا صِيَامٌ، وَلَا صَلَاةٌ، وَلَا نُسُكٌ، وَلَا صَدَقَةٌ، وَلَيْسَرَى عَلَى كِتَابِ اللَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ- فِي لَيْلَةٍ، فَلَا يَبْقَى فِي الْأَرْضِ مِنْهُ آيَةٌ، وَتَبْقَى طَوَائِفُ مِنَ النَّاسِ الشَّيْخُ الْكَبِيرُ وَالْعَجُوزُ، يَقُولُونَ: أَدْرَكْنَا آبَاءَنَا عَلَى هَذِهِ الْكَلِمَةِ، يَقُولُونَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَنَحْنُ نَقُولُهَا، فَقَالَ لَهُ صَلَوةٌ: مَا تُغْنِي عَنْهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَهُمْ لَا يَدْرُونَ مَا صَلَاةٌ، وَلَا صِيَامٌ، وَلَا نُسُكٌ، وَلَا صَدَقَةٌ؟ فَأَعْرَضَ عَنْهُ حُذَيْفَةُ، ثُمَّ رَدَّهَا عَلَيْهِ ثَلَاثًا، كُلَّ ذَلِكَ يُعْرَضُ عَنْهُ حُذَيْفَةُ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِ فِي الثَّالِثَةِ، فَقَالَ: يَا صَلَوةُ، تُنْجِمُهُم مِنَ النَّارِ» قالها ثلاثًا. ثم لا يزال الناس كذلك في تزايدٍ من الجهل إلى أن لا يُذَكَّرَ اسْمُ اللَّهِ فِي

(١) أخرجه البخاري (١٠٠)، ومسلم (٢٦٧٣).

(٢) أخرجه معمر بن راشد في جامعه (٢٠٤٦٥)، والبيهقي في المدخل إلى السنن الكبرى (٣٨٧)، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (١٠١٧).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٧٢٠٦).

(٤) أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٤٨٤)، والخطيب البغدادي في الكفاية في علم الرواية ص ٢٢٩.

(٥) (٤٠٤٩) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٨٧) (١٧١/١).

الأرض، في صحيح مسلم^(١) عن أنسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أن رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى لَا يُقَالَ فِي الْأَرْضِ: اللَّهُ اللَّهُ» وفي رواية: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ عَلَى أَحَدٍ يَقُولُ: اللَّهُ، اللَّهُ».

♦ ثم قال: (زَنَى).

من أشراف الساعة: انتشار الزنى وفشوه، في الصحيحين^(٢) عن أنسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أنه قال: قال رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «مِنْ أَشْرَافِ السَّاعَةِ أَنْ يُرْفَعَ الْعِلْمُ، وَيَثْبُتَ الْجَهْلُ، وَيُشْرَبَ الْخَمْرُ، وَيَظْهَرَ الزِّنَى». أي يفشو الزنى وينتشر.

ولا يزال أمر الزنى يفشو ويظهر حتى يُسْتَحَلَّ، وحتى يكون ذلك في طريق الناس، في حديث البخاري السابق^(٣): «لَيَكُونَنَّ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ يَسْتَحِلُّونَ الْحِرَّ وَالْحَرِيرَ، وَالْخَمْرَ وَالْمَعَازِفَ».

والحر: الفرج، والمعنى أنهم يستحلون الزنى.

وعند أبي يعلى^(٤) عن أبي هريرة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- عن النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَفْنَى هَذِهِ الْأُمَّةُ حَتَّى يَقُومَ الرَّجُلُ إِلَى الْمَرْأَةِ فَيَفْتَرِشُهَا فِي الطَّرِيقِ فَيَكُونُ خِيَارُهُمْ يَوْمَئِذٍ مَنْ يَقُولُ: لَوْ وَارَيْتَهَا وَرَاءَ هَذَا الْحَائِطِ».

ثم في آخر الزمان إذا خلت الأرض من الإيمان وأهله، ولم يبق إلا شرار الخلق حصل ما أخبر به النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في قوله كما في صحيح مسلم^(٥) من حديث النّوَّاسِ بن سَمْعَانَ -رضي الله عنهما-: «وَيَبْقَى شَرَارُ النَّاسِ، يَتَهَارَجُونَ فِيهَا تَهَارُجَ الْخَمْرِ، فَعَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ». وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْنَى إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٢]، يدل على أن الواجب سدُّ جميع الطُّرُق المُوَصِّلَةِ إِلَيْهِ مِنْ إِطْلَاقٍ لِلْبَصَرِ، وسماعٍ للمعازف،

(١) (١٤٨).

(٢) أخرجه البخاري (٨٠)، ومسلم (٢٦٧١).

(٣) (٥٥٩٠).

(٤) (٦١٨٣) وانظر السلسلة الصحيحة (٤٨١) (٨٦٧/١).

(٥) (٢٩٣٧).

وتبرُّجٍ وسفورٍ، وخلوةٍ، وتعطُّرٍ من المرأة عند الخروج، وخضوعٍ بالقول عند التخاطب، واختلاط. وقد أخبر النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أنه لم تظهر الفاحشةُ في قومٍ قط حتى يُعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا^(١)، وأخبر -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أنه إذا ظهر الزنى والربا في قرية فقد أحلوا بأنفسهم عذاب الله^(٢)، فالزنى من أعظم الفساد في الأرض، وهو خرابٌ في الدين والدنيا؛ نسأل الله العافية والسلامة.

♦ ثم قال: (رَبًّا).

من أشراط الساعة: ظهور الربا وانتشاره، أخرج الطبراني في الأوسط^(٣) عن عبد الله بن مسعود -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- عن النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أنه قال: «بين يدي الساعة يظهر الربا والزنى والخمر»، وهو في السلسلة الصحيحة^(٤).

وفي صحيح البخاري^(٥) عن أبي هريرة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أن رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: «يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لَا يُبَالِي الْمَرْءُ مَا أَخَذَ مِنْهُ؛ أَمِنَ الْحَلَالَ أَمْ مِنَ الْحَرَامِ». وهذا أمرٌ ظاهرٌ في زماننا، فقد انتشرت المصارف القائمة على الربا، بل بلغ من شدة الظهور أن يستغرب بعض الناس تحريمه.

وقد شهد عصرنا نكباتٍ اقتصاديةً بسبب التعامل بالربا، ولم يسلم من ذلك إلا من سلِمَ من التعامل به، وقد ورد في الربا الوعيد الشديد والتحريم الأكيد، قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾ [البقرة: ٢٧٥]، أي أن المتعاملين بالربا يقومون من قبورهم يوم القيامة كما يقوم من يتخبطه الشيطان ويصرعه من الجنون ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ

(١) أخرجه ابن ماجه (٤٠١٩) وهو في السلسلة الصحيحة (١٠٦) (٢١٦/١).

(٢) أخرجه الحاكم (٢٢٦١) وصححه ووافقه الذهبي وهو في صحيح الجامع الصغير (٦٧٩) (١٧٨/١).

(٣) (٧٦٩٥).

(٤) (٣٤١٥/٢) (١٢٢٦/٧).

(٥) (٢٠٥٩).

اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا) [البقرة: ٢٧٥]. وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٢٧٨) فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [البقرة: ٢٧٨-٢٧٩]، أي تيقنوا بحربٍ من الله ورسوله، ومن كان في حربٍ من الله ورسوله فهو في خسارةٍ مُحتمة، وقد «لعن رسولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَكَلَ الرِّبَا وَمُوكَلَّهُ وَكَاتِبَهُ وَشَاهِدِيهِ وَقَالَ: هُمْ سَوَاءٌ». أخرجه مسلم^(١) من حديث جابرٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- نسأل الله السلامة والعافية.

♦ ثم قال: (مَعَارِفٌ).

من **أَشْرَاطِ السَّاعَةِ**: ظهور المعازِفِ وانتشارُها بل واستحلالها، كما في حديث البخاري^(٢) عن أبي عامرٍ أو أبي مالكٍ الأشعري -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أنه سمع النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يقول: «لَيَكُونَنَّ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ يَسْتَحِلُّونَ الْحَرَ وَالْحَرِيرَ وَالْخَمْرَ وَالْمَعَارِفَ، وَلَيَنْزِلَنَّ أَقْوَامٌ إِلَى جَنْبِ عِلْمٍ، يَرْوُحُ عَلَيْهِمْ بِسَارِحَةٍ لَهُمْ، يَأْتِيهِمْ -يَعْنِي الْفَقِيرَ- لِحَاجَةٍ، فَيَقُولُونَ: ارْجِعْ إِلَيْنَا غَدًا، فَيُبَيِّتُهُمُ اللَّهُ، وَيَضَعُ الْعِلْمَ، وَيَمْسَحُ آخِرِينَ قِرْدَةً وَخَنَازِيرَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ».

وقد قال الإمام البخاري فيه: قال هشام بن عمار، وهشام بن عمار شيخُ البخاري، قد لقيه البخاري وسمع منه، فإذا روى عنه وقال: (قال هشامُ بن عمار) كان بمنزلة قوله: (عن هشام بن عمار)، وهذا محمولٌ على الاتصال اتفاقاً.

وقد ورد الحديث موصولاً من طُرُقٍ عن هشام بن عمار عند أبي داود^(٣) وغيره، وبهذا يتبين أنَّ ابن حزم حين أعله بالانقطاعِ نُصرةً لمذهبه الباطل في المعازِف لم يصنع شيئاً، وهو -رَحِمَهُ اللهُ- كثير الوهم في الكلام على تصحيح الحديث وتضعيفه وعلى أحوال الرواة، كما ذكر ابن عبد الهادي في كتابه طبقات علماء الحديث^(٤)، وقد تتابع العلماء على رد

(١) (١٥٩٨).

(٢) (٥٥٩٠).

(٣) (٤٠٣٩).

(٤) (٣٩٤/٣).

قوله، منهم ابن القيم -رحمه الله- في إغاثة اللفهان من مصايد الشيطان^(١)، وفي تهذيب السنن^(٢).

والمقصود أن ظهور المعازف وانتشارها واستحلالها من أشراط الساعة، وقد ظهرت المعازف في زماننا وانتشرت انتشاراً عظيماً، وهذه المعازف هي رقية الزنى، ومنبت النفاق، وشرك الشيطان، وخمرة العقل، فكم من حُرّة صارت بالغناء والمعاذف من البغايا، وكم من حُرٍّ أصبح به عبداً للصبيان والصبايا، وكم من مُعافًى تعرّض له فأُمسى وقد حلت به أنواع البلايا، والعاقِلُ ينظر في العواقب، والغافل لا يرى إلا الحاضر، نسأل الله العافية.

♦ ثم قال: (وَقَتْلُ).

من أشراط الساعة: كثرة القتل، في صحيح مسلم^(٣) عن أبي هريرة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أن رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَكْثُرَ الْهَرْجُ، قَالُوا: وَمَا الْهَرْجُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: الْقَتْلُ الْقَتْلُ».

وفي مسلم^(٤) أيضاً عن أبي هريرة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أنه قال: قال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا تَذْهَبُ الدُّنْيَا حَتَّى يَأْتِيَ عَلَى النَّاسِ يَوْمٌ لَا يُدْرِي الْقَاتِلُ فِيْمَ قَتَلَ، وَلَا الْمَقْتُولُ فِيْمَ قُتِلَ».

والأحاديث في هذا الشرط كثيرة جداً، وقد وقع ما أخبر به النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فقد كثر القتل حتى لا يدري القاتل فيم قتل ولا المقتول فيم قتل.

وقد عظم الإسلام أمر الدماء، وجعل عاقبة الولوغ فيها وخيمة، يكفيك من ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣]. والقاتل قد لا يُوقَّقُ للتوبة لعظم جرمه، بل قد تضيق عليه نفسه ويضيق عليه دينه حتى ينسلخ منه -والعياذ بالله- كما عند البخاري عن ابن عمر -

(١) (٤٥٦/١).

(٢) (٥٩٥/٢).

(٣) (١٥٧).

(٤) (٢٩٠٨).

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: **«لَا يَزَالُ الْمُؤْمِنُ فِي فُسْحَةٍ مِنْ دِينِهِ»** -أي لا يزال منشراح الصدر مطمئن النفس في سعة من رحمة الله- **«مَا لَمْ يُصَبِّ دَمًا حَرَامًا»** أي لا يزال كذلك ما لم يقتل نفسًا بغير حق.

وبمعناه ما ثبت عند أبي داود^(١) عن أبي الدرداء -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: **«لَا يَزَالُ الْمُؤْمِنُ مُعْنِقًا صَالِحًا»** -أي مُسرِعًا إلى الخيرات مُوَفَّقًا إليها- **«مَا لَمْ يُصَبِّ دَمًا حَرَامًا، فَإِذَا أَصَابَ دَمًا حَرَامًا بَلَّحَ»** أي أعيا وانقطع.

والمقصود: أَنَّهُ إِذَا أَصَابَ دَمًا حَرَامًا انقطع عنه ذلك التوفيق للخير لشؤم ما ارتكبه من الإثم العظيم. وفي البخاري^(٢) عن ابن عمر -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- أَنَّهُ قَالَ: **«إِنَّ مِنْ وَرَطَاتِ الْأُمُورِ الَّتِي لَا مَخْرَجَ لِمَنْ أَوْقَعَ نَفْسَهُ فِيهَا، سَفْكُ الدَّمِ الْحَرَامِ بِغَيْرِ حِلٍّ»** يُقَالُ: وَقَعَ فُلَانٌ فِي وَرْطَةٍ إِذَا وَقَعَ فِي شَيْءٍ لَا يَنْجُو مِنْهُ.

ثم قال: **(الزَّلَازِلُ)**.

من أشراط الساعة: كثرة الزلازل، في صحيح البخاري^(٣) عن أبي هريرة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: **«لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُفْبِضَ الْعِلْمُ، وَتَكْثُرَ الزَّلَازِلُ»**.

وثبت في مسند الإمام أحمد^(٤) عن سلمة بن نُفَيْل السَّكُونِي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: **«بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ مُوتَانٌ شَدِيدٌ وَبَعْدَهُ سَنَوَاتُ الزَّلَازِلِ»**.

وقد ظهرت الزلازل، ولا تزالُ تتتابع وتكثر؛ إلا أنها بين يدي الساعة ستكون موصوفةً بالشمول والدوام، كما يدل عليه قوله: **«سَنَوَاتُ الزَّلَازِلِ»** ويدلُّ له أيضًا ما

ثبت في مسند الإمام أحمد^(١) وسُنَنُ أَبِي دَاوُدَ^(٢) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَوَالَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أَنَّهُ قَالَ: **«وَضَعَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَدَهُ عَلَى رَأْسِي -أَوْ قَالَ: عَلَى هَامَتِي-**

(١) (٤٢٧٠).

(٢) (٦٨٦٣).

(٣) (١٠٣٦).

(٤) (١٦٩٦٤) وصح إسناده الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢٨٩/٧).

فقال: يا ابن حوالة، إذا رأيت الخلافة قد نزلت الأرض المقدسة، فقد دنت الزلازل والبلايا والأمور العظام، والساعة يومئذ أقرب إلى الناس من يدي هذه من رأسك».

♦ ثم قال: (تجارة).

من أشراط الساعة: كثرة التجارة. ثبت عند الإمام أحمد في المسند^(٣) والحاكم في المستدرک^(٤) عن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: «إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ تَسْلِيمَ الْخَاصَّةِ، وَفُشُوَ التِّجَارَةِ حَتَّى تُشَارِكَ الْمَرْأَةُ زَوْجَهَا فِي التِّجَارَةِ».

وثبت عند أحمد^(٥) والنسائي^(٦) عن عمرو بن تغلب -رضي الله عنه- أنه قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يَفْشُوَ الْمَالُ وَيَكْثُرَ، وَتَفْشُوَ التِّجَارَةُ».

وقد فشيت التجارة وكثرت في زماننا، وتنافس الناس فيها، وحضَّ بعضهم بعضاً عليها، وشاركت فيها النساء.

قال الحسن البصري: "لقد أتى علينا زمانٌ إنما يُقال تاجرُ بني فلان، وكاتبُ بني فلان، ما يكون في الحي إلا التاجرُ الواحد، والكاتبُ الواحد"^(٧).

♦ ثم قال: (وكتب).

من أشراط الساعة: كثرة الكتابة وانتشارها، ثبت عند الإمام أحمد في المسند^(١) عن

(١) (٢٢٤٨٧).

(٢) (٢٥٣٥) وصح إسناده الألباني في صحيح سنن أبي داود.

(٣) (٣٨٧٠).

(٤) (٧٠٤٣) وهو في السلسلة الصحيحة (٦٤٧) (٢٤٦/٢).

(٥) (٥١٩/٣٩).

(٦) (٤٤٥٦).

(٧) التمهيد لابن عبد البر (١٣٧/١١).

ابن مسعود -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- عن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أنه قال: **«إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ تَسْلِيمَ الْخَاصَّةِ»** إلى أن قال: **«وظُهُورَ الْقَلَمِ»**.

وعنده^(١) أيضًا عن عمرو بن تغلب -رضي الله عنه- أنه قال: قال النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: **«إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يَفِيضَ الْمَالُ وَيَكْثُرَ، وَيَظْهَرَ الْقَلَمُ»**.

والمراد بظهور القلم: ظهور الكتابة وانتشارها، وظهور الكتب وكثرتها، وكثرة الكتّاب، فإن الكتابة كانت قليلة في العرب، وقد كثرت الكتابة في زماننا، وانتشرت آلات الطباعة والتصوير، ومع ذلك نَقَصَ العلم والله المستعان.

♦ ثم قال: **(تَشَدُّقٌ)**.

من أشراط الساعة: التشدُّقُ في الكلام، في مسند الإمام أحمد^(٢) وحسنه محققوه عن سعد بن أبي وقاصٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أنه قال: قال رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: **«لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَخْرُجَ قَوْمٌ يَأْكُلُونَ بِالسِّنْتِمْ كَمَا تَأْكُلُ الْبَقَرُ بِالسِّنْتِهَا»** والمعنى: أنهم يجعلون ألسنتهم وسائل أكلهم، فيمدحون الناس، ويظهرون محبتهم نفاقًا، ويُطرونهم، ويمدحون أنفسهم حتى يتوسلوا إلى أخذ الأموال منهم.

وثبت عند الإمام أحمد في المسند^(٣) وأبي داود^(٤) عن عبد الله بن عمرو -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- أنه قال: قال رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: **«إِنَّ اللَّهَ -عَزَّ وَجَلَّ- يَبْغِضُ الْبَلِيغَ مِنَ الرِّجَالِ الَّذِي يَتَخَلَّلُ بِلِسَانِهِ كَمَا تَتَخَلَّلُ الْبَاقِرَةُ بِلِسَانِهَا»**.

والمقصود: من يتشدَّق في كلامه، ويتكلَّف الكلام البليغ والتفاصيل وزخرفة القول، ولا يدخل في ذلك تحسين ألفاظ الخطب والمواظب بما يفتح الأسماع ويأسر القلوب، ويؤثر في نفس الموعوظ، ويهيجه للطاعة والعمل الصالح.

(١) (٣٨٧٠) وهو في السلسلة الصحيحة (٦٤٧) (٢٤٦/٢).

(٢) (٥١٩/٣٩).

(٣) (١٥٩٧).

(٤) (٦٥٤٣).

(٥) (٥٠٠٥) وهو في السلسلة الصحيحة (٨٨٠) (٥٤٠/٢).

♦ ثم قال: (سوء الجوار).

من أشراط الساعة: سوء الجوار، وقد سبق عند ذكر الفحش والقطيعة ما أخرجه أحمد^(١) والحاكم^(٢) عن عبد الله بن عمرو -رضي الله عنهما- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «لا تقوم الساعة حتى يظهر الفحش والتفاحش، وقطيعة الرحم، وسوء الجوار» وقد ظهر ذلك فكثير من الجيران لا يؤدي حق جاره، ولا يراعي حرمة، بل بعضهم لا يعرف جاره.

وفي الصحيحين^(٣) عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِ جَارَهُ» وفي لفظ: «فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ».

♦ ثم قال: (الكذب).

من أشراط الساعة: كثرة الكذب، وعدم التثبت في نقل الأخبار، أخرج مسلم في مقدمة الصحيح^(٤) عن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: «سَيَكُونُ فِي آخِرِ أُمَّتِي أَنْاسٌ يُحَدِّثُونَكُمْ مَا لَمْ تَسْمَعُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ، فَإِيَّاكُمْ وَإِيَاهُمْ» وفي رواية^(٥): «يَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ دَجَالُونَ كَذَّابُونَ، يَأْتُونَكُمْ مِنَ الْأَحَادِيثِ بِمَا لَمْ تَسْمَعُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ، فَإِيَّاكُمْ وَإِيَاهُمْ، لَا يُضِلُّونَكُمْ، وَلَا يَفْتِنُونَكُمْ». وأخرج مسلم في مقدمة الصحيح^(٦) أيضاً عن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- أنه قال: «إِنَّ الشَّيْطَانَ لِيَتَمَثَّلَ فِي صُورَةِ الرَّجُلِ، فَيَأْتِي الْقَوْمَ، فَيُحَدِّثُهُمُ بِالْحَدِيثِ مِنَ الْكَذِبِ، فَيَتَفَرَّقُونَ، فَيَقُولُ الرَّجُلُ مِنْهُمْ: سَمِعْتُ رَجُلًا أَعْرَفُ وَجْهَهُ، وَلَا أَدْرِي مَا اسْمُهُ يُحَدِّثُ». وهذا يدل على أن من لا يتثبت قد يحدث عن الشيطان وهو لا يدري.

(١) (٦٥١٤).

(٢) (٢٥٣) وهو في السلسلة الصحيحة (٢٢٣٨) (٢٨٠/٥).

(٣) أخرجه البخاري (٦٠١٨) ومسلم (٤٧).

(٤) (٦).

(٥) (٧).

(٦) (٧).

وأخرج مسلم في مقدمة الصحيح^(١) أيضاً عن عبد الله بن عمرو -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- أنه قال: «إِنَّ فِي الْبَحْرِ شَيَاطِينَ مَسْجُونَةً، أُوْتِقَهَا سُلَيْمَانُ، يُوشِكُ أَنْ تَخْرُجَ، فَتَقْرَأَ عَلَى النَّاسِ قُرْآنًا».

قال النووي في شرحه^(٢): "تقرأ شيئاً ليس بقرآن وتقول: إنه قرآن؛ لِتَغَرَّ بِهِ عَوَامُّ النَّاسِ".

فعلى المسلم أن يحذر من الكذب ومن نقل الأخبار دون تثبتٍ من صحتها خاصةً مع الوسائل الحديثة التي سهلت تداول الأخبار، فصار الخبرُ بضغطة زرٍّ يطير في الآفاق، وقد قال النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «كَفَى بِالْمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ» أخرجه مسلم في مقدمة صحيحه^(٣) خصوصاً إذا كان كذباً على النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-. وقد قال النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:

«إِنَّ كَذِبًا عَلَيَّ لَيْسَ كَكَذِبٍ عَلَى أَحَدٍ، مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا، فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ». أخرجه البخاري^(٤) ومسلم في مقدمة الصحيح^(٥).

المتن:

هَذَا وَمِنْ أَشْرَاطِهَا الْجَلَائِلِ
وَيُطَلَّبُ الْعِلْمُ عَلَى أَهْلِ الْبِدْعِ
رُؤْيِيضٌ فُؤَيْسِقٌ فَسَلُّ بَرَمٌ
أَجْهَلُ فِي الْعُلُومِ مِنْ هَيِّ بْنِ بَيٍّ
يُقَالُ: مَا أَظْرَفُهُ وَأَعْقَلُهُ
أَنْ يُسْنَدَ الْأَمْرُ إِلَى الْأَسَافِلِ
وَيَحْوِيَ الدُّنْيَا لُكَيْعُ بْنُ لُكْعٍ
مِنْ قِمَّةِ الرَّأْسِ لِأَخْمَصِ الْقَدَمِ
أَحْمَلُ لِلنِّفَاقِ مِنْ نَجْلِ أَبِي
وَلَا يُسَاوِي عِنْدَ رَبِّي خَرْدَلُهُ

الشرح:

(١) (٧)

(٢) (٨٠/١).

(٣) (٤).

(٤) (١٢٩١).

(٥) (٤).

قال: (هذا وَمِنْ أَشْرَاطِهَا الْجَلَالُ).

الجلال: جمع جليلة بمعنى عظيمة.

(أَنْ يُسْنَدَ الْأَمْرُ إِلَى الْأَسَافِلِ).

من أشراط الساعة: أن يرتفع الأسافل ويستأثروا بالدنيا، وهو من جملة الفتن التي

يبتلى بها أهل آخر الزمان، في صحيح البخاري^(١) عن أبي هريرة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: «إِذَا أُسْنِدَ الْأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ».

وفي مسند الإمام أحمد^(٢) وسنن ابن ماجه^(٣) عن أبي هريرة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: «إِنَّهَا سَتَأْتِي عَلَى النَّاسِ سَنُونَ خَدَاعَةٍ: يُصَدِّقُ فِيهَا الْكَاذِبُ، وَيُكَذِّبُ فِيهَا الصَّادِقُ، وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الْخَائِنُ، وَيَخُونُ فِيهَا الْأَمِينُ، وَيَنْطِقُ فِيهَا الرُّوَيْبِضَةُ، قِيلَ: وَمَا الرُّوَيْبِضَةُ؟ قَالَ: السَّفِيهَةُ يَتَكَلَّمُ فِي أَمْرِ الْعَامَةِ».

والرويبضة تصغير رابضة، وهو العاجز الذي رُبِضَ عن معالي الأمور، وقعد عن طلبها، (والهاء) فيه للمبالغة، وقد فسرهُ النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في هذا الحديث بالسفيه الذي يتكلم في أمر العامة.

قال: (وَيُطَلَّبَ الْعِلْمُ عَلَى أَهْلِ الْبِدْعِ).

من أشراط الساعة: أن يُطلب العلم على أهل البدع، وبه فسر ابن المبارك التماس

العلم عند الأصاغر الذي ورد في حديث أبي أمية الجمحي -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- الذي أخرجه ابن المبارك في الزُّهد^(٤) وهو في السلسلة الصحيحة^(٥) أن رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: «إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يُلْتَمَسَ الْعِلْمُ عِنْدَ الْأَصَاغِرِ».

(١) (٦٤٩٦).

(٢) (٧٩١٢).

(٣) (٤٠٣٦) وهو في السلسلة الصحيحة (١٨٨٧).

(٤) (٦١).

(٥) (٦٩٥) (٣٠٩/٢).

وقد قيل لابن المبارك: مَنْ الأصاغر؟ فقال: "الذين يقولون برأيهم، فأما صغيرٌ يروي عن كبيرٍ فليس بصغير" ^(١).

وقال ابن مسعودٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: «لَا يَزَالُ النَّاسُ بِخَيْرٍ مَا أَتَاهُمُ الْعِلْمُ مِنْ قَبْلِ أَكْبَرِهِمْ، فَإِذَا أَتَاهُمْ مِنْ قَبْلِ أَصَاغِرِهِمْ هَلَكُوا» ^(٢).

الأصاغر: أهل البدع وكذلك من لا علم عنده، فالجاهلٌ صغيرٌ وإن كان مُسِنَّأً، والعالمُ كبيرٌ وإن كان حَدَّثًا.

وقد قال الشاعر:

تَعْلَمُ فَلَيْسَ الْمَرْءُ يُولَدُ عَالِمًا وَلَيْسَ أَخُو عِلْمٍ كَمَنْ هُوَ جَاهِلٌ
وَأَنَّ كَبِيرَ الْقَوْمِ لَا عِلْمَ عِنْدَهُ صَغِيرٌ إِذَا التَّفَتُّ عَلَيْهِ الْمَحَافِلُ
وَأَنَّ صَغِيرَ الْقَوْمِ وَالْعِلْمُ عِنْدَهُ كَبِيرٌ إِذَا رُدَّتْ إِلَيْهِ الْمَسَائِلُ

وذكر ابن عبد البر في تقرير هذا المعنى ^(٣): أن ابن عباسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- كان يُستفتى وهو صغير، قال: "ومثلُ هذا في العلماء كثير".

فالعالمُ الشابُّ ومن نَبَغَ من صِغارِ السِّنِّ يُنتَفَعُ بهم إذا عُلِمَ منهم العلم والصلاح لكن لا يُستَقَلُّ بالأخذ عنهم، بل ينبغي أن يُحرص على من كبرت سِنُّهُ من أهل العلم، فإن الشيخ الكبير قد زالت عنه مِيعَةُ الشَّبَابِ وَحِدَّتُهُ، واستصحبَ التجربة والخبرة، ولا يستزِلُّهُ الشيطان استزلالَ الحَدَثِ فمع السِّنِّ الوقارُ والجلال والهيبة. قرر هذا المعنى ابن قُتَيْبَةَ -رَحِمَهُ اللَّهُ- ^(٤). فالعالم الشابُّ يُنتَفَعُ به لكن لا يُستَقَلُّ بالأخذ عنه، بل يُحرص على الأخذ عن العلماء الكبار، ويتعينُ هذا في الحوادث والنوازل التي تتعلق بالأُمَّة، فهذه ليس المرجعُ فيها إلا إلى العلماء الكبار في السن.

والخلاصة: أن الأصاغر هم أهل البدع ومن لا عِلْمَ عنده، أما من نَبَغَ من الشباب وعُرِفَ بالعلم والصلاح فيُنتَفَعُ به ولا يُستَقَلُّ بالأخذ عنه.

^(١) (١٠٥٢) (٦١٢/١).

^(٢) أخرجه ابن المبارك في الزهد (٨١٥)، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (١٠٥٨) (٦١٦/١).

^(٣) في جامع بيان العلم وفضله (٦١٧/١).

^(٤) في كتابه المسائل والأجوبة ص ٥٩.

ثم قال: **(وَيَحْيِي الدُّنْيَا لُكَيْعُ ابْنِ لُكَيْعٍ).**

ثبت عند أحمد في المسند^(١) والترمذي^(٢) عن حذيفة بن اليمان -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- أن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: **«لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَكُونَ أَسْعَدَ النَّاسِ بِالدُّنْيَا لُكَيْعُ ابْنِ لُكَيْعٍ»** أي لثيم ابن لثيم، واللُّكَيْعُ عند العرب اللثيمُ صغيرُ العلم والعقل.

وعند أحمد في المسند^(٣) عن أبي هريرة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: **«لَا تَذْهَبُ الدُّنْيَا حَتَّى تَصِيرَ لِلْكَيْعِ ابْنِ لُكَيْعٍ»** وفي رواية: **«لِلْكَيْعِ ابْنِ لُكَيْعٍ»** أي حتى يصير نعيم الدنيا وملأؤها والوجاهة فيها للثيم صغير العلم والعقل.

ثم قال: **(رُؤَيْبُضٌ).**

سبق هذا الوصف في حديث^(٤): **«وَيَنْطِقُ فِيهَا الرُّؤَيْبُضَةُ».**

(فُؤَيْسِقٌ)

وردَ هذا في روايةٍ عند الإمام أحمد^(٥): **«أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- سُئِلَ وَمَا الرُّؤَيْبُضَةُ؟ قَالَ: الْفُؤَيْسِقُ يَتَكَلَّمُ فِي أَمْرِ الْعَامَّةِ».**

(فَسَلٌ)

الفسل: هو الضعيف في رأيه وعقله، ورد هذا فيما أخرجه الطحاوي في شرح مشكل الآثار^(٦)، والطبراني في المعجم الأوسط^(٧) عن أبي هريرة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- مرفوعاً **«أَنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يَغْلُوَ التُّحُوتُ الْوُعُولَ قُلْنَا: وَمَا التُّحُوتُ؟ قَالَ: فَسُولُ الرِّجَالِ - الْفَسُولُ: جَمْعُ فَسَلٍ وَهُوَ كَمَا سَبَقَ ضَعِيفُ الرَّأْيِ وَالْعَقْلِ - وَأَهْلُ الْبُيُوتِ الْغَامِضَةِ،**

^(١) (٢٣٣٠٣).

^(٢) (٢٢٠٩) وهو في صحيح الجامع الصغير (٧٤٣١) (١٢٣٨/٢).

^(٣) (٨٣٢٢).

^(٤) سبق تخريجه قريباً.

^(٥) (١٣٢٩٨).

^(٦) (٣٩٣٣).

^(٧) (٧٤٨).

يُرفَعُونَ فَوْقَ صَالِحِهِمْ، وَالْوُعُولُ: أَهْلُ الْبُيُوتِ الصَّالِحَةِ»، وفي روايةٍ عند ابن حبان^(١) والحاكم^(٢): «قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الْوُعُولُ وَالتُّحُوتُ؟ قَالَ: "الْوُعُولُ: وُجُوهُ النَّاسِ وَأَشْرَافُهُمْ، وَالتُّحُوتُ: الَّذِينَ كَانُوا تَحْتَ أَقْدَامِ النَّاسِ لَا يُعْلَمُ بِهِمْ»، وهو في السلسلة الصحيحة^(٣).

والمعنى: أن التحوت هم الذين يُرفعون فيُحتفى بهم ويُصدِّرون في المجالس على حساب وجوه الناس وأشرافهم.

(بَرَمٌ).

الْبَرَمُ: الثقيل الذي لا خير فيه.

وفي المثل: "أَبْرَمًا قَرُونًا" أي هو ثقيلٌ ويأكل مع ذلك تمرتين تمرتين!

(مِنْ قِمَّةِ الرَّأْسِ لِأَخْمَصِ الْقَدَمِ).

الْأَخْمَصُ: باطن القدم الذي يرتفع عن الأرض.

فهو رَوِيضٌ فَوَيْسِقٌ فَسَلَّ بَرَمٌ مِنْ قِمَّةِ رَأْسِهِ إِلَى أَخْمَصِ قَدَمِهِ.

(أَجْهَلُ فِي الْعُلُومِ مَنْ هِيَ بِنُ بَيٍّ).

تقول العرب: إنما هو هيُّ بِنُ بَيٍّ، وهَيَّانُ بِنُ بَيَّانٍ، وطامرُ بِنُ طامرٍ، وَضُلُّ بِنُ ضُلٍّ،

وَقُلُّ بِنُ قُلٍّ والمعنى في ذلك كله أنه نكرةٌ من النكرات، غُفْلٌ من الأغفال.

(أَحْمَلُ لِلنِّفَاقِ مِنْ نَجْلِ أَبِي).

أي من عبد الله بن أبي ابن سلول كبير المنافقين.

يُقَالُ: مَا أَظْرَفُهُ وَأَعْقَلُهُ وَلَا يُسَاوِي عِنْدَ رَبِّي خَرْدَلُهُ

(١) (٦٨٤٤).

(٢) (٨٦٤٤).

(٣) (٣٢١١) (٦٣٩/٧).

في الصحيحين^(١) عن حذيفة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- في حديث قبض الأمانة أن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: «حَتَّى يُقَالَ لِلرَّجُلِ: مَا أَجْلَدُهُ؟ مَا أَظْرَفُهُ؟ مَا أَعْقَلُهُ؟ وَمَا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خُرْدٍ مِنْ إِيْمَانٍ» وهذا ظاهرٌ للعيان، غنيٌّ عن البيان، والله المُستعان.

المتن:

ظُهُورٌ مَنْ يَتَّخِذُ الْقُرْآنَا زِمَارَةً يُرْجِعُ الْأَلْحَانَا
يُقِيمُهُ إِقَامَةً السِّهَامِ وَلَيْسَ يَرْنُو لِسَوَى الْخُطَامِ
وَمَوْتُ فَجْأَةً، وَبَعْجُ مَكَّةَ وَغُرْبَةٌ أَعْظَمُ بِهَا مِنْ غُرْبَةِ
وَلَادَةُ الْأَمَّةِ رَبِّهَا، وَأَنْ يَنْتَفِخَ الْهِلَالُ آخِرَ الزَّمَنِ

الشرح:

(ظُهُورٌ مَنْ يَتَّخِذُ الْقُرْآنَا زِمَارَةً يُرْجِعُ الْأَلْحَانَا)

الزِّمَارَةُ: حِرْفَةُ الزَّمَّارِ.

(يُقِيمُهُ إِقَامَةً السِّهَامِ وَلَيْسَ يَرْنُو لِسَوَى الْخُطَامِ)

لا ينظرُ إلا إلى الدنيا.

من أشراط الساعة: أن يُتَّخَذَ الْقُرْآنُ مِزَامِيرَ، وأن تُطْلَبَ به الدنيا ويُسألَ به الناسُ، أخرج أحمد في المسند^(٢) وابن أبي غرزة الحافظ في مسند عابِس^(٣) وهو في السلسلة الصحيحة^(٤) عن عابِسِ الْغِفَارِيِّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أنه سمع النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يقول: «بَادِرُوا بِالْعَمَلِ خِصَالًا سِتًّا» وفيها قوله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «وَنَشَأُ يَتَّخِذُونَ الْقُرْآنَ مِزَامِيرَ يُقَدِّمُونَ الرَّجُلَ لَيْسَ بِأَفْقَهِيهِمْ وَلَا بِأَعْلَمِيهِمْ، مَا يُقَدِّمُونَهُ إِلَّا لِيُغْنِيَهُمْ». والمذموم من ذلك أن يُتَّخَذَ إِمَامًا لَصَوْتِهِ وَتَرْجِيْعِهِ مع أنه ليس للإمامة بموضع، وليس من

(١) أخرجه البخاري (٦٤٩٧) ومسلم (١٤٣).

(٢) (١٦٠٤٠).

(٣) (٢) ص ٢٠.

(٤) (٩٧٩) (٦٧٢/٢).

ذلك تحسين الصوت بالقراءة، بل هو مطلوب، أجمع العلماء على استحبابه، وفي الصحيحين^(١) عن أبي هريرة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أنه سمع رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يقول: «مَا أَذِنَ اللَّهُ لشيءٍ مَا أَذِنَ لِنَبِيِّ حَسَنِ الصَّوْتِ يَتَغَنَّى بِالْقُرْآنِ يَجْهَرُ بِهِ»، وقد ترجم عليه النووي بقوله: "باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن".

وثبت في مسند الإمام أحمد^(٢) عن جابر بن عبد الله -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- أنه قال: «دَخَلَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الْمَسْجِدَ فَإِذَا فِيهِ قَوْمٌ يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ فَقَالَ: اقْرَأُوا الْقُرْآنَ وَابْتَغُوا بِهِ اللَّهَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ قَوْمٌ يُقِيمُونَهُ إِقَامَةَ الْقِدْحِ -أي السهم- يَتَعَجَّلُونَهُ، وَلَا يَتَأَجَّلُونَهُ» أي يتعجلون ثوابه في الدنيا ولا يتأجلونه لطلب الأجر في الآخرة بل يؤثرون العاجلة على الآجلة، ويتأكلون ولا يتوكلون.

قال: (وَمَوْتُ فَجَاءَةٍ).

من أشراف الساعة: كثرة موت الفجأة، والمقصود به: أن يفجأ الإنسان الموت ويَبْغَتْهُ من غير مُقَدِّمات، أخرج الطبراني في الأوسط^(٣) والصغير^(٤) عن أنس بن مالك -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- رفعه إلى النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: «مِنْ اقْتِرَابِ السَّاعَةِ» وذكر أشياء منها: «أَنْ يَظْهَرَ مَوْتُ الْفَجَاءَةِ» وقد اختلف في تحسين الحديث وتضعيفه، وحسنه الألباني لشواهد في السلسلة الصحيحة^(٥).

وقد تتابع أكثر المصنِّفين على عِدِّهِ من الأشراف. وعلى تحسين الحديث فالمعدود من الأشراف: هو كثرة موت الفجأة؛ لأن موت الفجأة كان معروفاً ففي الصحيحين^(٦) عن عائشة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا-: «أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

(١) أخرجه البخاري (٧٥٤٤)، ومسلم (٧٩٢).

(٢) (١٤٨٥٥) وصححه محققوه.

(٣) (٩٣٧٦).

(٤) (١١٣٢).

(٥) (٣٧٠/٥).

(٦) أخرجه البخاري (١٣٨٨)، ومسلم (١٠٠٤).

فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ أَمِّي افْتُلِتَتْ نَفْسُهَا وَلَمْ تُوصِ، وَأَظُنُّهَا لَوْ تَكَلَّمَتْ تَصَدَّقْتُ، أَفَلَهَا أَجْرٌ إِنْ تَصَدَّقْتُ عَنْهَا، قَالَ: نَعَمْ».

وترجم عليه البخاري بقوله: "باب موت الفجأة البغثة".

وصح عند ابن أبي شيبة^(١) عن ابن مسعود -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- وعائشة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- أنهما قالَا: «مَوْتُ الْفُجَاءَةِ رَأْفَةٌ بِالْمُؤْمِنِ وَأَسْفٌ عَلَى الْفَاجِرِ».

وصح عن عُبَيْدِ بْنِ خَالِدٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- وكان من أصحاب النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عند أبي داود^(٢) أنه قال: «مَوْتُ الْفُجَاءَةِ أَخْذَةُ أَسْفٍ» وحدث به مرة فرفعه.

وَالْأَسْفُ: الغضب والانتقام.

وتوضيح كونها أخذة أسفٍ في حق الفاجر أنها من آثار غضب الله تعالى، فإنه -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- لم يتركه ليتوب ويستعد للأخرة، ولم يُمرِّضْهُ ليكون المرضُ كفارةً لذنوبه؛ كأخذه من مضى من العصاة المردة كما قال تعالى: ﴿فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٥]، هذا في حق الفاجر.

أما المؤمن التقي فهو رافعة به؛ لأنه غالباً مُستعدٌّ لحلوله فيرتاح من نصَب الدنيا، لذا كان رافعةً بالمؤمن وأسفاً على الفاجر.

والمعدود في أشراط الساعة كما سبق إنما هو كثرة موت الفجأة، وهو مُشاهدٌ في زماننا؛ ترى الرجل صحيحاً مُعافى ثم يموت فجأةً بسكتةٍ قلبية أو بحادث سيارة أو بغير ذلك مما يكون فيه الموت بلا مُقدِّمات.

ومن شعر الإمام البخاري قوله:

اغْتَنِمِ فِي الْفَرَاغِ فَضْلَ رُكُوعٍ فَعَسَى أَنْ يَكُونَ مَوْتُكَ بَغْتَةً
كَمْ صَحِيحٍ رَأَيْتُ مِنْ غَيْرِ سُقْمٍ ذَهَبَتْ نَفْسُهُ الصَّحِيحَةُ فَلْتَةً

^(١) (١٢٠٠٧) وصح إسناده الأرئوط في تحقيق سنن أبي داود (٢٦/٥).

^(٢) (٣١١٠) وصح إسناده الحافظ ابن حجر في موافقة الخبر الخبر في تخريج أحاديث المختصر (٣١٧/١) وللموقوف حكم الرفع لأن مثله لا يقال بالرأي، فكيف وقد رفعه الراوي مرة.

قال الحافظ ابن حجر في هدي الساري^(١): "قلتُ: وكان من العجائب أنه هو وقع له ذلك أو قريب منه".

ثم قال: (وَبَعِجْ مَكَّةَ).

من أشراط الساعة: بعج مكة وارتفاع بنائها حتى يعلو رؤوس الجبال.

أخرج ابن أبي شيبة^(٢) عن عبد الله بن عمرو -رضي الله عنهما- موقوفاً عليه أنه قال: «إِذَا رَأَيْتَ مَكَّةَ قَدْ بُعِجَتْ كَظَائِمَ -أَيِ حُفِرَتْ قَنَاوَاتِ مَاءِ- وَرَأَيْتَ الْبِنَاءَ يَعْلُو رُؤُوسَ الْجِبَالِ، فَاعْلَمْ أَنَّ الْأَمْرَ قَدْ أَظْلَكَ».

وقد ظهر مصداقُ هذا الأثر كما ذكر الشيخ التويجري -رحمه الله- في إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة^(٣) فقد أُجريت مياهُ العيون في جميع نواحي مكة، وعلت بيوتها رؤوسُ الجبال؛ فعلم من هذا أن أمر الساعة قد دنا وقرب كما قال: «فَاعْلَمْ أَنَّ الْأَمْرَ قَدْ أَظْلَكَ».

ثم قال: (وَعُزْبَةٌ أَعْظَمُ بِهَا مِنْ غُرْبَةٍ) أي ما أعظمها من غربة!

من أشراط الساعة: أن يعود الإسلام غريباً، أخرج مسلم^(٤) في صحيحه عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أنه قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ».

«بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا» لقلّة أهله.

«وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا» أي بقلّة من يقوم به ويُعين عليه، وإن كان أهله كثيراً.

«فَطُوبَى» أي فرح وقرّة عين، وفُسّر في هذا الحديث بالجنة وبشجرة في الجنة.

«لِلْغُرَبَاءِ» أي للقائمين بأمره في زمن الغربة.

(١) (٤٨١/١).

(٢) (٣٧٢٣٢).

(٣) (١٧٢/٢).

(٤) (١٤٥).

ثم قال: **(وَلَادَةُ الْأُمَّةِ رَبَّهَا)**.

من أشراط الساعة: ولادة الأمة ربَّها، في حديث جبريل المشهور قوله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لجبريل -عليه السلام-: **«سَأَخْبِرُكَ عَنْ أَشْرَاطِهَا، إِذَا وَلَدَتِ الْأُمَّةُ رَبَّهَا»** وفي رواية: **«رَبَّهَا فَذَلِكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا»**، متفقٌ عليه^(١) من حديث أبي هريرة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-.

وفي صحيح مسلم^(٢) من حديث عُمَرَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: **«أَنْ تَلِدَ الْأُمَّةُ رَبَّهَا»**.

وقد اختلف العلماء في معنى الحديث على أقوالٍ كثيرة، بعضها مُتداخِل، لخصها الحافظ ابن حجر^(٣) بلا تداخلٍ في أربعة أقوال:

➡ **الأول:** أن المعنى اتساعُ الإسلام واستيلاء أهله على بلاد الشِّرك، وسبي الذراري، فإذا ملك الرجلُ الجارية واستولدها كان الولدُ منها بمنزلة ربها؛ لأنه ولد سيدها، فيصير ولدُ الأمة بمنزلة ربها وسيدها، وقال النووي وغيره^(٤): "إنه قولُ الأكثرين".

➡ **والثاني:** أن تباع السادةُ أمهات أولادهم، ويكثر ذلك، فيتداول المَلَأُك المُستولدة حتى يشتريها ولدها من غير أن يشعر بذلك، وقد وقع هذا في الإسلام.

➡ **والثالث:** وهو من نمط الذي قبله أن تلد الأمة حُرًّا من غير سيدها بوطء شُبْهةٍ أو رقيقًا بنكاحٍ أو زنى، ثم تُباع الأمة في الصورتين بيعًا صحيحًا، وتدور في الأيدي حتى يشتريها ابنها أو ابنتها.

➡ **والرابع:** أن يكثر العقوق في الأولاد، فيُعَامِلُ الولدُ أُمَّهُ مُعاملةَ السيدِ أُمَّتَهُ من الإهانةِ بالسَّبِّ والضرب؛ ويشهد لهذا رواية: **«أَنْ تَلِدَ الْمَرْأَةُ رَبَّهَا»**^(٥)، فلم يُخَصَّ بالأمة،

(١) أخرجه البخاري (٥٠)، ومسلم (٩).

(٢) (٨).

(٣) في فتح الباري (١٢٢/١).

(٤) شرح النووي على مسلم (١٥٨/١)، وفتح الباري (١٢٢/١).

(٥) أخرجه ابن بطّة في الإبانة الكبرى (٦٤٠/٢).

ورجح هذا القول الحافظُ ابنُ حجر -رحمه الله-، وقال^(١): "هذا أَوْجَهُ الأَوْجِهِ عندي لعمومه، ولأنَّ المقام يدلُّ على أن المراد حالةٌ تكون -مع كونها تدلُّ على فساد الأحوال- مُستغربة، ومُحصَّلةُ الإشارةِ إلى أن الساعةَ يقربُ قيامها عند انعكاس الأمور بحيث يصير المُرَبَّى مُرَبِّيًا، والسافلُ عاليًا، وهو مُناسبٌ لقوله في العلامة الأخرى: «أن تصير الحُفَاةُ ملوكَ الأرض»^(٢)".

وأقوى هذه الأقوالِ الأوَّلُ والرابع.

ثم قال: (وَأَنْ يَنْتَفِخَ الْهَلَالُ آخِرَ الزَّمَنِ).

من أشراط الساعة: انتفاخُ الأهلة، ومعناه: كِبَرُ حجمها عند طلوعها عما هو مُعتادٌ في أول الشهر بحيث تكون واضحةً لا تحتاجُ إلى تَطَلُّب، ويُظنُّ أنه لليلتين وهو لليلةٍ واحدة. روى الطبراني في المعجم الكبير^(٣) عن عبد الله بن مسعود -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أنه قال: قال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «من اقترابِ الساعةِ انتفاخُ الأهلةِ».

وروى في المعجم الصغير^(٤) عن أبي هريرة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أنه قال: قال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «من اقترابِ الساعةِ انتفاخُ الأهلةِ، وأن يُرى الهلالُ لليلةٍ، فيقال: لليلتين». وروى في المعجم الأوسط^(٥) عن أنس بن مالك -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- عن النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أنه قال: «من اقترابِ السَّاعةِ أن يُرى الهلالُ قَبْلًا، فيُقال: لليلتين». «أن يُرى الهلالُ قَبْلًا» أي يُرى ساعةً ما يَطْلُعُ لِعِظَمِهِ ووضوحِهِ من غير أن يُتَطَلَّبَ فيُقال: لليلتين. وهذه الأحاديث يقوي بعضها بعضًا، ويُفَسِّرُ بعضها بعضًا.

(١) في فتح الباري (١/١٢٣).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (١٠) ولفظه: «وَإِذَا رَأَيْتَ الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الصَّمَّ الْبُكْمَ مُلُوكَ الْأَرْضِ فَذَلِكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا».

(٣) (١٠٤٥١).

(٤) (٨٧٧).

(٥) (٩٣٧٦).

وهذا الشَّرْطُ مما ظهرت مَبَادِيهِ وَلَمَّا تَكْتَمَلْ بَعْدَ، فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ^(١) عَنْ أَبِي الْبَخْتَرِيِّ أَنَّهُ قَالَ: «خَرَجْنَا لِلْعُمْرَةِ، فَلَمَّا نَزَلْنَا بِبَطْنِ نَخْلَةَ قَالَ: تَرَاءَيْنَا الْهِلَالَ فَقَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ: هُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ، وَقَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ: هُوَ ابْنُ لَيْلَتَيْنِ، قَالَ: فَلَقِينَا ابْنَ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-، فَقُلْنَا: إِنَّا رَأَيْنَا الْهِلَالَ، فَقَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ: هُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ، وَقَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ: هُوَ ابْنُ لَيْلَتَيْنِ، فَقَالَ: أَيُّ لَيْلَةٍ رَأَيْتُمُوهُ؟ قَالَ: فَقُلْنَا: لَيْلَةُ كَذَا وَكَذَا، فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: إِنَّ اللَّهَ مَدَّهُ لِلرُّؤْيَةِ، فَهُوَ لِلَّيْلَةِ رَأَيْتُمُوهُ».

فهؤلاء الرهط استشكلوا حال الهلال، ورأوا أنه أكبر من ابن ليلة لعلوه؛ فبين لهم ابن عباس -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- أنه ابن ليلة، وأنه لا عبرة بعلوه؛ لأن الله -عَزَّ وَجَلَّ- مَدَّهُ من أجل الرؤية، ولا تعلّق لهذه العلامة بحكم دخول الشهر، بحيث يُزَادُ في الشهر يومٌ نظرًا لحجم الهلال ويُحَسَّبُ لليلتين؛ فلا عبرة بصغر الهلال وكبره في إثبات دخول الشهر، وإنما العبرة بالرؤية.

📖 المتن:

وَرَدُّ سُنَّةٍ، تَدَاعِي الْأَمَمِ وَبَيْعُ حُكْمٍ، صِدْقُ رُؤْيَا الْمُسْلِمِ
وَالكَاسِيَاتُ الْعَارِيَاتُ، زَخْرَفَهُ فَقَدُ الْأَمَانَةِ، سَلَامُ الْمَعْرِفَةِ
وَأَنْ تَرَى بُيُوتَ رَبِّي الْبَارِي مُجْتَازًا أَوْ لِفَرْجَةِ الْكُفَّارِ

الشرح:

قال: (وَرَدُّ سُنَّةٍ).

من أشراط الساعة: رُدُّ سُنَّةِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، ثبت عند أحمد^(٢) وأبي داود^(٣) والترمذي^(٤) وابن ماجه^(٥) عن المقدام بن معديكرب -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- عن رسول الله -

(١) (١٠٨٨).

(٢) (١٧١٧٤) وصحح إسناده محققوه.

(٣) (٤٦٠٤).

(٤) (٢٦٦٤).

(٥) (١٢).

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أنه قال: «يُوشِكُ الرَّجُلُ مُتَكِنًا عَلَى أَرِيكَتِهِ -أي على سريرهِ الْمُزَيْنِ- يُحَدِّثُ بِحَدِيثٍ مِنْ حَدِيثِي، فيقول: بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ كِتَابُ اللَّهِ -عَزَّوَجَلَّ-، فما وجدنا فيه مِنْ حَلَالٍ اسْتَحْلَلْنَاهُ، وما وجدنا فيه مِنْ حَرَامٍ حَرَّمْنَاهُ» قال -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «أَلَا وَإِنَّ مَا حَرَّمَ رَسُولُ اللَّهِ مِثْلُ مَا حَرَّمَ اللَّهُ».

وفي رواية^(١): «أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ».

وقد ظهرت فرقة يُسمون بالقرآنيين؛ أرادوا أن يُشَكِّكُوا الْأُمَّةَ فِي ثَوَابَتِهَا، فَأَنْكَرُوا الْعَمَلَ بِسُنَّةِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وادَّعَوْا التَّمَسُّكَ بِمَا جَاءَ فِي الْقُرْآنِ، وَالْقُرْآنَ مِنْهُمْ بَرَاءً؛ لِأَنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ أَوْجَبَ طَاعَةَ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِيمَا يَقْرُبُ مِنْ مِئَةِ آيَةٍ: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ [التغابن: ١٢]، ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠].

بل إن القرآن الذي يدَّعون التمسك به نفى الإيمان عمن رفض طاعة الرسول -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ولم يَقْبَلْ حُكْمَهُ، قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

ثم يُسأل هؤلاء أين تجدون في القرآن ما يدل على عدد ركعات الصلوات الخمس؟ وعلى أنصبة الزكاة؟ وعلى تفصيل أعمال الحج؟ إلى غير ذلك من الأحكام التي لا يمكن معرفتها إلا بالسُّنَّة، وقولهم: "إن السنة قد دُسَّت فيها أحاديث موضوعة" مردودٌ بأن علماء هذه الأمة قد عُنُوا أَشَدَّ الْعَنَاءِ بِتَنْقِيهِ السُّنَّةِ مِنْ كُلِّ دَخِيلٍ، وَعَدُّوا الشَّكَّ فِي صَدَقِ رَأْيٍ مِنَ الرِّوَاةِ، وَاحْتِمَالَ سَهْوِهِ رَادًّا لِلْحَدِيثِ، وَقَدْ شَهِدَ أَعْدَاءُ هَذِهِ الْأُمَّةِ بِأَنَّهُ لَيْسَتْ هُنَاكَ أُمَّةٌ عُنِيَتْ بِالسَّنَدِ وَتَنْقِيحِ الْأَخْبَارِ كَهَذِهِ الْأُمَّةِ!

وما دعوى هؤلاء الاقتصار على ما جاء في القرآن إلا ذريعةٌ ليتأولوا القرآن الكريم على أهوائهم كيف شاءوا؛ ولهذا لما قِيلَ لِمُطَرِّفِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الشَّخِيرِ -رَحِمَهُ اللَّهُ-: "لا تُحَدِّثُنَا إِلَّا بِالْقُرْآنِ" قال: "والله ما نريدُ بِالْقُرْآنِ بَدَلًا، وَلَكِنْ نُرِيدُ مِنْ هُوَ أَعْلَمُ بِالْقُرْآنِ مِنَّا" يعني رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(١) لأحمد (١٧١٧) وأبي داود (٤٦٠٤).

وقد نَبَّأَنَا نَبِيُّنَا -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- من أخبار هذه الطائفة، وحدَرْنَا منهم؛ لنكون منهم على بَيِّنَةٍ.

ثم قال: **(تَدَاعِي الْأُمَمِ).**

من أشراط الساعة: تكالبُ أعداء الإسلام على الأمة الإسلامية، أخرج أبو داود^(١) وهو في السلسلة الصحيحة^(٢) عن ثوبان -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أنه قال: قال رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: **«يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ -أي يوشكُ أَنْ يدعو بعضهم بعضًا لمقاتلتكم وكسر شوكتكم وسلب دياركم وأموالكم- كما تَدَاعَى الْأَكَلَةُ -وهو جمع أكل- إِلَى قَصْعَتِهَا»** فقال قائلٌ: **وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟** قال: **«بل أنتم يومئذٍ كثير، ولكنكم غثاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ -والغثاء: ما يحمله السيل من زبد ووسخ- وَلَيَنْزِعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمْ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ، فقال قائلٌ: يا رسول الله! وما الْوَهْنُ؟** قال: **حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ».**

فإذا رَكَنَ المسلمون إلى الدنيا وملذَّاتها، وانهمكوا فيها حتى صارت أكبر همهم تكالبت الأمم على الأمة الإسلامية؛ لنهب خيراتها وثرواتها، وإخضاع شعوبها.

والمذكورُ في الحديث ظاهرٌ في هذه الأزمنة المتأخرة، والأمر لا يحتاجُ إلى علمٍ ومعرفة بعد أن شهد له الواقعُ بأبلغ بيان، ولن يَصْلُحَ آخِرُ هذه الأمة إلا بما صَلَحَ به أَوَّلُها؛ فلا يَعَصِمُ من هذا التداعي والتكالب إلا الرجوعُ إلى الدين، فهو الحاجزُ المنيعُ دون تسلط أعداء الأمة الذين مهما مكروا، فلن ينالوا من هذه الأمة إذا كانت متمسكةً بدينها، كما قال تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾** [محمد: ٧].

قال: **(وَبَيْعُ حُكْمِ).**

من أشراط الساعة: بيعُ الحكم وفسره العلماء بأن يأخذ القاضي الرشوة فيحكم لمن يدفع له المال، أخرج أحمد في مسنده^(٣) وابن أبي غرزة الحافظ في مسند عابس^(١) عن

(١) (٤٢٩٧).

(٢) (٩٥٨) (٦٤٧/٢).

(٣) (١٦٠٤٠).

عابس الغفاري -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أنه سمع النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يقول: **«بَادِرُوا بِالْعَمَلِ خِصَالًا سِتًّا»** وذكر منها **«بَيْعُ الْحُكْمِ»**.

ثم قال: **(صِدْقُ رُؤْيَا الْمُسْلِمِ)**.

من أشراط الساعة: صدق رؤيا المسلم، في الصحيحين^(١) عن أبي هريرة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أنه قال: قال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: **«إِذَا اقْتَرَبَ الزَّمَانُ لَمْ تَكُذْ تَكْذِبُ رُؤْيَا الْمُؤْمِنِ، وَرُؤْيَا الْمُؤْمِنِ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النَّبُوءَةِ»**، زاد مسلم: **«وَأَصْدَقُكُمْ رُؤْيَا: أَصْدَقُكُمْ حَدِيثًا»**.

وفي رواية عند أحمد^(٢) والترمذي^(٣): **«فِي آخِرِ الزَّمَانِ لَا تَكَادُ رُؤْيَا الْمُؤْمِنِ تَكْذِبُ»**.

قال ابن أبي جمرة -رَحِمَهُ اللهُ-^(٤): "معنى كون رؤيا المؤمن في آخر الزمان لا تكاد تكذب أنها تقع غالبًا على الوجه الذي لا يحتاج إلى تعبير، فلا يدخلها الكذب، بخلاف ما قبل ذلك فإنها قد يخفى تأويلها فيعُبرُها العابر فلا تقع كما قال، فيصدق دخول الكذب فيها بهذا الاعتبار".

والمؤمن في آخر الزمان يكون غريبًا، وَيَقِلُّ أُنْيُسُهُ وَمُعِينُهُ فَيُعَانُ بِالرُّؤْيَا الصَّادِقَةِ إِكْرَامًا لَهُ وَتَسْلِيَةً، وذلك حين يُقْبَضُ أَكْثَرُ الْعِلْمِ وَيَنْزِلُ الْجَهْلُ فَيُعَوِّضُ النَّاسَ بِالْمِرَائِي الصَّادِقَةِ الَّتِي هِيَ جُزْءٌ مِنَ النَّبُوءَةِ، وَكَلَّمَا قَرُبَ فَرَاغُ الدُّنْيَا وَأَخَذَ أَمْرُ الدِّينِ فِي الْإِضْمَحْلَالِ تَكُونُ رُؤْيَا الْمُؤْمِنِ الصَّادِقِ أَصْدَقَ.

ثم قال: **(وَالْكَاسِيَاتُ الْعَارِيَاتُ)**.

^(١) (٢) ص ٢٠ واللفظ له، وهو في السلسلة الصحيحة (٩٧٩) (٦٧٢/٢).

^(٢) أخرجه البخاري (٧٠١٧)، ومسلم (٢٢٦٣).

^(٣) (٧٦٤٢).

^(٤) (٢٢٩١).

^(٥) كما في فتح الباري (٤٠٦/١٢).

من أشراط الساعة: ظهور الكاسيات العاريات، في صحيح مسلم^(١) عن أبي هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: «صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا: قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ، وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ مُمِيلَاتٌ مَائِلَاتٌ، رُؤُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ، لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ، وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا».

وهذا الحديث من دلائل نبوته -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-؛ فإنه لعله لم يحصل في تاريخ الأمم من التبرج والسفور مثل الحاصل في عصرنا، وقد صح عن مُجاهدٍ -رحمه الله- أنه قال في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَبْرَجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ [الأحزاب: ٣٣]: "كانت المرأة تخرج تمشي بين يدي الرجال، فذلك تبرج الجاهلية"^(٢).

وذكر بعضُ المفسرين كمقاتل بن حيان -رَحِمَهُ اللَّهُ-: "أن تبرج الجاهلية الأولى: هو أن المرأة كانت تُلقي الخِمار على رأسها ولا تُشدُّه"^(٣).

وورد عن بعض السلف كابن عباسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-: "أنَّ تَبَرُّجَ الجاهلية الأولى كان بين نوحٍ وإدريس -عليهما السلام-"^(٤)، فلو كان بعد نوحٍ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- تَبَرُّجٌ عامٌّ أشدُّ منه لذكره الله مثلاً لسوئه، وقد سعى النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- هذا الصِّنفَ من النساء بالكاسيات العاريات.

🔸 الكاسيات؛ لأنهن يلبسن الثياب.

🔸 والعاريات؛ لأن ثيابهن تكشف شيئاً من البدن إظهاراً للجمال

أو لأنهن يلبسن ثياباً رفاقاً تصفُ ما تحتها

أو لأنها تُضَيِّقُ ثيابها حتى تبرز تفاصيلَ جسمها.

(١) (٢١٢٨).

(٢) أخرجه عبدالرزاق في تفسيره (٢٣٤٠) (٣٧/٣)، وانظر: تفسير ابن كثير (٤١٠/٦).

(٣) تفسير ابن كثير (٤١٠/٦).

(٤) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (٩٨/١٩).

فاللفظ يشمل هذه المعاني الثلاثة أن تكون الثياب قصيرة أو رقيقة تَشْفُ عما تحتها أو ضيقة.

ومن صفتين: أنهن مائلاتٌ مُميلاتٌ، وفي معناه أربعة أوجهٍ ذكرها النووي في شرحه^(١):

□ قيل:

مائلاتٌ أي زائغاتٌ عن طاعة الله تعالى وما يلزمهن من حفظ الفروج وغيرها.

ومميلاتٌ أي يُعَلِّمْنَ غيرهنَّ مثلَ فعلهنَّ.

□ وقيل:

مائلاتٌ أي متبختراتٌ في مشيتهن.

مميلاتٌ أي مميلاتٌ أكتافهن.

□ وقيل:

مائلاتٌ أي يَمْتَشِطْنَ المِشْطَةَ المِلاءَ وهي مِشْطَةُ البغايا معروفةٌ لهن.

ومميلاتٌ أي يَمَشُطْنَ غيرهنَّ تلك المِشْطَةَ.

□ وقيل:

مائلاتٌ إلى الرجال.

مميلاتٌ لهنَّ بما يُبدين من زينتهن وغيرها.

ومن صفتين: أن رؤوسهنَّ كأسنمة البخت المائلة أي أنهن يُعْظِمْنَ رؤوسهنَّ وذلك بجمع شَعْرِهِنَّ وَلَفَّه فوق رؤوسهنَّ؛ حتى يميل إلى ناحيةٍ من الرأس كما تَمَائِلُ أسنمة الإبل.

وقوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ، وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا**» وعيدٌ عظيمٌ لمن

كانت من هذا الصِّنف من النساء.

(١) (١٧/١٩١).

ووجودُ هذا الصِّنف من النساء في آخر الزمان يدلّ على عِظم الفساد، وأن كثيراً من الرجال لا يُبالون بعُري نساءهم، وذلك أن من استسهل الحرام لنفسه استسهله لغيره، والنساء في الغالب على شاكلة أزواجهن يتطعن بأطباعهم.

وقد ثبت في مسند الإمام أحمد^(١) عن عبد الله بن عمرو -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- أن النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: «سَيَكُونُ فِي آخِرِ أُمَّتِي رِجَالٌ يَرْكَبُونَ عَلَى سُرُوجٍ كَأَشْبَاهِ الرِّجَالِ -السُّرُوجُ: جمع سرج وهو رَحْلُ الدابة، والرِّجَالُ: جمع رَحْلٍ وهو مركبُ الرجلِ على ظهر البعير والناقة- يَنْزِلُونَ عَلَى أَبْوَابِ الْمَسْجِدِ، نِسَاؤُهُمْ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ» وفي روايةٍ للحاكم: «سَيَكُونُ فِي آخِرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ رِجَالٌ يَرْكَبُونَ عَلَى الْمِيَاثِرِ -والمياثر: سُرُوجٌ تُتَّخَذُ مِنَ الْحَرِيرِ- حَتَّى يَأْتُوا أَبْوَابَ مَسَاجِدِهِمْ، نِسَاؤُهُمْ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ».

وقد استنبط منه بعض العلماء كالتويجري -رَحِمَهُ اللَّهُ- في إتحاف الجماعة^(٢) والألباني -رَحِمَهُ اللَّهُ- في السلسلة الصحيحة^(٣) الإشارة إلى ما ظهر في زماننا من السيارات الفارهة التي تُركبُ إلى أبواب المساجد.

ثم قال: (زَخْرَفَهُ).

من أشراط الساعة: زخرفة المساجد والتباهي بها، ثبت عند أحمد في المسند^(٤) وأبي داود^(٥) وابن ماجه^(٦) عن أنسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أن رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَتَبَاهَى النَّاسُ فِي الْمَسَاجِدِ».

والتباهي: التفاخر.

وفي المساجد: أي يتباهون في بنائها.

(١) (٧٠٨٣).

(٢) (١٣٨/٢).

(٣) (٤١٥/٦).

(٤) (١٢٣٧٩).

(٥) (٤٤٩).

(٦) (٧٣٩).

وفي رواية للنسائي^(١) وابن خزيمة^(٢): «مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يَتَبَاهَى النَّاسُ فِي الْمَسَاجِدِ».

وقد نهى عُمَرُ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- عن زخرفة مسجد النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حين أمر ببنائه، قال البخاري في صحيحه^(٣): «وَأَمَرَ عُمَرُ بِنَاءِ الْمَسْجِدِ وَقَالَ: أَكِنَّ النَّاسَ مِنَ الْمَطَرِ - أَيْ اسْتَرْهُمْ وَاحْمِيَهُمْ مِنَ الْمَطَرِ - وَإِيَّاكَ أَنْ تُحْمَرَ أَوْ تُصَفَّرَ فَتَفْتِنَ النَّاسَ» أي فتفسد عليهم صلاتهم، وتوقعهم في الإثم لاشتغالهم بالألوان عن الخشوع في الصلاة.

قال البخاري^(٤): «وَقَالَ أَنَسٌ: يَتَبَاهَوْنَ بِهَا - أَيْ يَتَفَاخِرُونَ - ثُمَّ لَا يَعْمُرُونَهَا إِلَّا قَلِيلًا» أي لا يعمرونها بالصلاة والذكر والعلم إلا قليلاً.

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-^(٥): «لَتُزَخَرَفَتْهَا كَمَا زَخَرَفَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى».

والزخرفة: التزيين.

فالسُّنَّةُ في بناء المساجد ترك الزخرفة، وأما ما آل إليه الأمرُ في كثيرٍ من البلاد من المبالغة في تزويق المساجد ونقشها وتزيينها، وإحاطة الزخارف فيها بالمُصلي من كل جانب، حتى صارت كالمتاحف يتهافتُ عليها السائحون بآلات تصويرهم، فإن ذلك ليس من السنة، ناهيك عن شغل قلب المُصلي في مكانٍ هو أحوجُّ ما يكون فيه إلى التجرد من الدنيا. والمذموم؛ إنما هو زخرفتها، أما العناية بها وتنظيفها وتطعيمها فمطلوبٌ شرعاً.

ثم قال: (فَقَدْ الْأَمَانَةُ).

من أشراف الساعة: فقد الأمانة وضياؤها، في صحيح البخاري^(٦) عن أبي هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أنه قال: قال رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «إِذَا ضُيِّعَتِ الْأَمَانَةُ فَاَنْتَظِرْ

(١) (٦٨٩).

(٢) (١٣٢٢) وهو في صحيح الجامع الصغير (٥٨٩٢) (١٠٢٥/٢).

(٣) تحت ترجمة: "باب بنيان المساجد" قبل حديث (٤٤٦).

(٤) المصدر السابق.

(٥) المصدر السابق.

(٦) (٦٤٩٦).

السَّاعَةَ قَالَ: كَيْفَ إِضَاعَتُهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-؟ قَالَ: إِذَا أُسْنِدَ الْأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ» وفي روايةٍ للبخاري^(١): «إِذَا وُسِدَ الْأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ».

وقد بيّن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كيف تُرفعُ الأمانة من القلوب، ففي الصحيحين^(٢) من حديث حذيفة بن اليمان -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- أنه قال: «حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حَدِيثَيْنِ، رَأَيْتُ أَحَدَهُمَا، وَأَنَا أَنْتَظِرُ الْآخَرَ حَدَّثَنَا أَنَّ الْأَمَانَةَ نَزَلَتْ فِي جَذْرِ قُلُوبِ الرِّجَالِ -الجَذْرُ: بفتح الجيم وكسرهما: الأصل من كل شيء- ثُمَّ عَلِمُوا مِنَ الْقُرْآنِ، ثُمَّ عَلِمُوا مِنَ السُّنَّةِ، وَحَدَّثَنَا عَنْ رَفْعِهَا قَالَ: يَنَامُ الرَّجُلُ النَّوْمَةَ، فَتُقَبَّضُ الْأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ، فَيَظَلُّ أَثَرُهَا مِثْلَ أَثَرِ الْوَكْتِ -الوَكْت: هو الأثر اليسير- ثُمَّ يَنَامُ النَّوْمَةَ فَتُقَبَّضُ، فَيَبْقَى أَثَرُهَا مِثْلَ الْمَجْلِ -والمجل: هو ما يكون في الكف من أثر العمل بالأشياء الصُّلْبَةِ الخشنة، كهيئة البثر فيه ماء يسير- كَجَمَرٍ دَحْرَجْتَهُ عَلَى رِجْلِكَ فَنفِطَ -يُقال: نفِطت يده إذا صار بين الجلد واللحم ماء- فَتَرَاهُ مُنْتَبِراً -أي مُرتفعًا- وَلَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ، فَيُصْبِحُ النَّاسُ يَتَبَايَعُونَ، فَلَا يَكَادُ أَحَدٌ يُؤَدِّي الْأَمَانَةَ، فَيُقال: إِنَّ فِي بَنِي فُلَانٍ رَجُلًا أَمِينًا، وَيُقالُ لِلرَّجُلِ: مَا أَعْقَلَهُ! وَمَا أَظْرَفَهُ! وَمَا أَجْلَدَهُ! وَمَا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ خَرَدَلٍ مِنْ إِيْمَانٍ».

ثم بيّن حذيفة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- كيف نقصت الأمانة من ذلك الزمن وقد كانت وفاته -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- في أول سنة ستٍ وثلاثين بعد مقتل عثمان -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- بيسير، فأدرك بعض الزمن الذي وقع فيه التغير فوصفه.

قال: «وَلَقَدْ أَتَى عَلَيَّ زَمَانٌ وَمَا أُبَالِي أَيَّكُمْ بَايَعْتُ -أي من غير بحثٍ عن أمانة من أتعاملُ معه؛ لأن الناس كانوا على وفاءٍ بالعهود- لَئِنْ كَانَ مُسْلِمًا رَدَّهْ عَلَيَّ الْإِسْلَامَ -فدينه وأمانته تمنعه من الخيانة، وتحمله على أداء الأمانة- وَإِنْ كَانَ نَصْرَانِيًّا رَدَّهْ عَلَيَّ

(١) (٥٩).

(٢) أخرجه البخاري (٦٤٩٧) ومسلم (١٤٣).

ساعيه - أي يستخرجُ حقي منه الوالي عليه - **فَأَمَّا الْيَوْمَ فَمَا كُنْتُ أَبَايُ إِلَّا فُلَانًا وَفُلَانًا**، يعني لا وثوق لي بمن أبايع ولا بالساعي في أدائهما الأمانة، فلا أبايع إلا أفرادًا من الناس أعرفهم وأثق بهم.

ففي الحديث الإخبار بأن الأمانة في آخر الزمان ستزول حتى لا يبقى منها في القلب إلا أثرها، فيصير الرجلُ خائنًا بعد أن كان أمينًا، نسأل الله العافية.

ثم قال: **(سَلَامُ الْمَعْرِفَةِ)**.

من أشراط الساعة: أن تكون التحية للمعرفة بأن يُسَلِّمَ الرَّجُلُ عَلَى مَنْ يَعْرِفُ، ويترك من لا يعرفه لا يُسَلِّمُ عليه، أخرج أحمد في المسند^(١) عن عبد الله بن مسعود -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أنه قال: قال رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: **«إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يُسَلِّمَ الرَّجُلُ عَلَى الرَّجُلِ لَا يُسَلِّمُ عَلَيْهِ إِلَّا لِلْمَعْرِفَةِ»** وفي رواية له^(٢): **«إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ تَسْلِيمَ الْخَاصَّةِ»** أي تسليم المعارف فقط.

وهذا أمرٌ مُشَاهِدٌ في زماننا، وقد كانت مبادئه في زمن الصحابة، ففي المسند^(٣): أن رجلاً خصَّ ابن مسعود -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- دون أصحابه بالسلام، فقال ابن مسعود -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: **«صَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ»**، ف قيل له: لِمَ قُلْتَ حِينَ سَلَّمَ عَلَيْكَ الرَّجُلُ: صَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ؟ قال: **إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ، إِذَا كَانَتِ التَّحِيَّةُ عَلَى الْمَعْرِفَةِ»**.

ولا يزالُ هذا الأمرُ في ازدياد، بل تجاوزَ حالَ بعض الناس من السلام على من يعرفُ دون من لا يعرف إلى أن لا يَرُدَّ السَّلَامُ إِلَّا عَلَى مَنْ يَعْرِفُ.

وسببُ هذا غلبةُ الجهلِ بسُنَّةِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وقد أمر النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بإفشاء السلام، وأخبر أنه سببٌ لشيوع المحبة ففي صحيح مسلم^(٤) عن أبي

(١) (٣٨٤٨) وصححه محققوه.

(٢) (٣٨٧٠) وحسن إسناده محققوه.

(٣) (٣٦٦٤) وحسنه محققوه.

(٤) (٥٤).

هريرة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أنه قال: قال رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوَّلَا أَدْلُكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمْوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ».

وقد كان ابن عمر -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- كما في الموطأ^(١) يغدو على السوق فلا يمرّ بأحدٍ إلا سلّم عليه وقال: «إِنَّمَا نَغْدُو مِنْ أَجْلِ السَّلَامِ، نُسَلِّمُ عَلَى مَنْ لَقِينَا».

ثم قال:

(وَأَنْ تُرَى بُيُوتُ رَبِّي الْبَارِي مُجْتَازًا أَوْ لِفَرْجَةِ الْكُفَّارِ)

من أشراط الساعة: اتّخاذُ المساجد طُرُقًا، أخرج الحاكم في المستدرك^(٢) عن عبد الله بن مسعود -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُتَّخَذَ الْمَسَاجِدُ طُرُقًا» وهو في السلسلة الصحيحة^(٣).

وعنه -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- عند ابن خزيمة^(٤) أنه قال: سمعتُ رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وهو يقول: «إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ: أَنْ يَمْرَّ الرَّجُلُ فِي الْمَسْجِدِ، لَا يَصَلِّي فِيهِ رَكَعَتَيْنِ»، وفي روايةٍ للبخاري^(٥): «أَنْ يَجْتَازَ الرَّجُلُ الْمَسْجِدَ لَا يَصَلِّي فِيهِ».

وعند الطبراني في المعجم الأوسط^(٦) والصغير^(٧) عن أنسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- رَفَعَهُ إِلَى النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: «مِنْ اقْتِرَابِ السَّاعَةِ» وذكر أشياء منها: «أَنْ تُتَّخَذَ الْمَسَاجِدُ طُرُقًا».

وهذه الأحاديثُ يُقوي بعضها بعضًا، ووردت في الباب آثارٌ موقوفة.

(١) (٣٥٣٣).

(٢) (٨٥٩٨).

(٣) (٣٦٩/٥).

(٤) (١٣٢٦).

(٥) (١٤٥٩).

(٦) (٩٣٧٦).

(٧) (١١٣٢).

والمقصود؛ باتخاذ المساجد طُرُقًا؛ جَعَلُهَا مَمَرًا يَجْتَازُهَا النَّاسُ لِلْوُصُولِ إِلَى حَاجَتِهِمْ فَيَدْخُلُونَ مِنْ بَابٍ وَيَخْرُجُونَ مِنْ بَابٍ مِنْ غَيْرِ صَلَاةٍ، أَمَّا مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ وَصَلَّى فِيهِ رَكَعَتَيْنِ فَلَمْ يَتَّخِذِ الْمَسْجِدَ طَرِيقًا، وَكَذَلِكَ إِذَا كَانَ ذَلِكَ لَعُذْرٍ فَلَا بَأْسَ؛ كَأَن يَكُونَ الْمَسْجِدُ كَبِيرًا كَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ، وَسُلُوكُ طَرِيقٍ أُخْرَى يَشُقُّ عَلَيْهِ.

أَمَّا اسْتِطْرَاقُ الْمَسَاجِدِ وَاتِّخَاذُهَا طَرِيقًا لِلْاجْتِيَازِ فَدَاخِلٌ فِي النَّهْيِ، وَمُخَالَفٌ لَتَعْظِيمِ شَعَائِرِ اللَّهِ، وَأَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ وَأَشْنَعُ أَنْ تُتَّخَذَ بُيُوتُ اللَّهِ أَمَاكِنَ لِلْسِّيَاحَةِ وَالْفَرَجَةِ لِلْكَفَّارِ؛ فَهَذَا أَوْلَى بِالنَّهْيِ.

هذا معنى قوله:

(وَأَنْ تُرَى بُيُوتُ رَبِّي الْبَارِي مُجْتَازًا أَوْ لِفَرْجَةِ الْكُفَّارِ)

الْفَرْجَةُ بَفَتْحِ الْفَاءِ: الرَّاحَةُ مِنْ حَزْنٍ أَوْ مَرَضٍ، كَمَا قَالَ أُمِيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ:

رَبِّمَا تَكْرَهُ النَّفُوسُ مِنَ الْأَمِّ رٍ لَهْ فَرْجَةً كَحَلِّ الْعِقَالِ

وَالْفَرْجَةُ بِالضَّمِّ: فَرْجَةُ الْحَائِطِ وَنَحْوُهُ أَيْ الْفَتْحَةُ فِيهِ.

هنا تم القسمان الأولان من الأَشْرَاطِ الصُّغْرَى وهما:

- ما ظهر وانقضى.

- وما ظهر ولا يزال يتتابع.

ثم انتقل إلى القسم الثالث من الأَشْرَاطِ الصُّغْرَى وهو ما لم يظهر بعد.

📖 المتن:

عَوْدُ الْجَزِيرَةِ مُرُوجًا وَنَهْرٌ قُلُ النَّبَاتِ مَعَ كَثْرَةِ الْمَطَرِ
وَيَحْسِرُ الْفُرَاتُ جَزْمًا عَنْ جَبَلٍ مِنْ ذَهَبٍ جَمٍّ عَلَيْهِ يُفْتَتَلُ
وَقَدْ نَهَى عَنْهُ نَبِينَا لِمَا يَكُونُ مِنْ قَتْلِ وَسْفِكٍ لِلدِّمَا

الشرح:

قال: (عَوْدُ الْجَزِيرَةِ مُرُوجًا وَنَهْرٌ)

من أَشْرَاطِ السَّاعَةِ الَّتِي لَمْ تَظْهَرْ بَعْدَ: عَوْدُ أَرْضِ الْعَرَبِ مُرُوجًا وَأَنْهَارًا.

في صحيح مسلم^(١) عن أبي هريرة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: أن رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: **«لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَعُودَ أَرْضُ الْعَرَبِ مَرْجًا وَأَنْهَارًا»**.

والمروجُ: جمع مَرْج، والمرجُ: أرض ذات نباتٍ ومرعى ترعى فيها الدواب.

وفي الحديث إشارة إلى أن أرض العرب كانت مروجًا وأنهارًا، وستعود كما كانت مروجًا وأنهارًا، ويدل لهذا الشرط أيضًا ما في صحيح مسلم^(٢) من قوله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مُعَاذُ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- بتبولك: **«يُوشِكُ يَا مُعَاذُ أَنْ تَرَى مَا هَاهُنَا قَدْ مُلِيَ جَنَانًا»**.

ثم قال: **(قُلُ النَّبَاتِ مَعَ كَثْرَةِ الْمَطَرِ)**.

القُلُّ والقِلَّةُ بمعنى، وفي الحديث^(٣): **«الرِّبَا وَإِنْ كَثُرَ، فَإِنَّ عَاقِبَتَهُ إِلَى قُلٍ»** أي إلى قِلَّة.

من أشراط الساعة: قلة النبات مع كثرة المطر، ثبت في مسند الإمام أحمد^(٤) عن أبي هريرة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أنه قال: قال رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: **«لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُمَطَّرَ النَّاسُ مَطَرًا لَا تُكِنُّ مِنْهُ بِيُوتُ الْمَدَرِ-الْمَدَرُ: هو الطَّيْنُ المتماسكُ اليابس، وأهل المدر أهل القرى والأمصار- وَلَا تُكِنُّ مِنْهُ إِلَّا بِيُوتُ الشَّعَرِ»**.

وفيه^(٥) عن أنسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أنه قال: قال رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: **«لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُمَطَّرَ النَّاسُ مَطَرًا عَامًّا وَلَا تُنْبِتُ الْأَرْضُ شَيْئًا»**.

وفي صحيح مسلم^(٦) عن أبي هريرة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أن رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: **«لَيْسَتِ السَّنَةُ بَأَنْ لَا تُمَطَّرُوا، وَلَكِنَّ السَّنَةَ أَنْ تُمَطَّرُوا وَتُمْطَرُوا وَلَا تُنْبِتُ الْأَرْضُ شَيْئًا»**.

(١) (١٥٧).

(٢) (٧٠٦).

(٣) أخرجه أحمد في المسند (٤٠٢٦).

(٤) (٧٥٦٤) وصحح إسناده محققه.

(٥) (١٢٤٢٩) وصححه محققه.

(٦) (٢٩٠٤).

ورود عند الطبراني في المعجم الكبير^(١) عن عوف بن مالك -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أنه قال: قال رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «يَكُونُ أَمَامَ الدَّجَالِ سِنُونَ خَوَادِعُ يَكْثُرُ فِيهَا الْمَطَرُ، وَيَقِلُّ فِيهَا النَّبْتُ».

فمن أشراط الساعة التي لم تقع بعد: أن يُمَطَّرَ النَّاسُ مَطَرًا عَامًّا شَدِيدًا لَا يُنْبِتُ شَيْئًا، وَالْمَطَرُ سَبَبٌ فِي إنبات الأرض، ولله -سبحانه وتعالى- أن يمنع تأثير هذا السبب، فهو سبحانه خالق الأسبابِ ومُسَبِّباتها لَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ.

ثم قال:

(وَيَحْسِرُ الْفُرَاتُ جَزْمًا عَنْ جَبَلٍ مِنْ ذَهَبٍ جَمَّ عَلَيْهِ يُقْتَتَلُ وَقَدْ نَهَى عَنْهُ نَبِيُّنَا لِمَا يَكُونُ مِنْ قَتْلِ وَسَفَكِ لِلدِّمَاءِ)

من أشراط الساعة: حَسِرُ نَهْرِ الْفُرَاتِ عَنْ جَبَلٍ مِنْ ذَهَبٍ، ففي الصحيحين^(٢) عن أبي هريرة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أن رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَحْسِرَ الْفُرَاتُ -أي حتى يَكْشِفَ الْفُرَاتُ بِذَهَابِ مَائِهِ- عَنْ جَبَلٍ مِنْ ذَهَبٍ يَقْتَتِلُ النَّاسُ عَلَيْهِ، فَيُقْتَلُ مِنْ كُلِّ مِئَةِ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ، وَيَقُولُ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ: لَعَلِّي أَكُونُ أَنَا الَّذِي أَنْجُو».

وفي روايةٍ لهما^(٣): «يُوشِكُ الْفُرَاتُ أَنْ يَحْسِرَ عَنْ كَنْزٍ مِنْ ذَهَبٍ، فَمَنْ حَضَرَهُ فَلَا يَأْخُذْ مِنْهُ شَيْئًا».

وفي صحيح مسلم^(٤) عن عبد الله بن الحارث بن نوفل -رَحِمَهُ اللَّهُ- أنه قال: كُنْتُ وَاقِفًا مَعَ أَبِي بِنِ كَعْبٍ فَقَالَ: لَا يَزَالُ النَّاسُ مُخْتَلِفَةً أَعْنَاقُهُمْ فِي طَلَبِ الدُّنْيَا قَالَ: قُلْتُ: أَجَلٌ، فَقَالَ أَبِي بِنِ كَعْبٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: «يُوشِكُ الْفُرَاتُ أَنْ يَحْسِرَ عَنْ جَبَلٍ مِنْ ذَهَبٍ، فَإِذَا سَمِعَ بِهِ النَّاسُ سَارُوا إِلَيْهِ، فَيَقُولُ

(١) (١٢٥) وتشهد له الأحاديث السابقة.

(٢) أخرجه البخاري (٧١١٩)، ومسلم (٢٨٩٤).

(٣) أخرجه البخاري (٧١١٩)، ومسلم (٢٨٩٤).

(٤) (٢٨٩٥).

مَنْ عِنْدَهُ: لَئِنْ تَرَكْنَا النَّاسَ يَأْخُذُونَ مِنْهُ لَيُذْهِبَنَّ بِهِ كُلُّهُ، قَالَ: فَيَقْتَتِلُونَ عَلَيْهِ، فَيُقْتَلُ مِنْ كُلِّ مِئَةِ تِسْعَةٍ وَتِسْعُونَ».

وقد تأول بعض المتأخرين الحديث فقال: إن معنى الذهب في الحديث: النفط. وهذا التأويل ليس بشيء لأمر:

- ♦ أولاً: أن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- سماه ذهباً، والنفط ليس ذهباً.
- ♦ ثانياً: أنه خصّه بالفُرات، والنفط ظهر في أنحاء كثيرة من العالم.
- ♦ ثالثاً: أنه ذكر اقتتال الناسِ عنده حتى يُقتل من كل مئة تسعة وتسعون ولا يبقى إلا واحد، والنفط ظهر منذ عشرات السنين ولم يحصل هذا الاقتتال عنده.
- ♦ رابعاً: أنه يلزم على قوله النهي عن الأخذ من النفط، وهذا لم يقل به أحد.
- ♦ خامساً: أن الصحابة فهموا من اللفظ ظاهره، وهو أن الفُرات سيأتي عليه وقتٌ وليس فيه ماء.

أخرج الحاكم^(١) عن قيس بن أبي حازم أنه قال: «خَرَجَ حُذَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- بِظَهْرِ الْكُوفَةِ وَمَعَهُ رَجُلٌ فَالْتَفَتَ إِلَى جَانِبِ الْفُرَاتِ، فَقَالَ لِصَاحِبِهِ: كَيْفَ أَنْتُمْ يَوْمَ تَرَاهُمْ يَخْرُجُونَ -أَوْ يَخْرُجُونَ- مِنْهَا، لَا يَذُوقُونَ مِنْهَا قَطْرَةً، قَالَ رَجُلٌ: وَتَظُنُّ هَذَا يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ؟ قَالَ: مَا أَظُنُّهُ وَلَكِنْ أَعْلَمُهُ».

وسببُ نهي النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عن الأخذ منه: ما يترتبُ على ذلك من الاقتتال عنده.

وهذا قوله:

(وَيَحْسِرُ الْفُرَاتُ جَزْماً عَنْ جَبَلٍ مِنْ ذَهَبٍ جَمٍّ عَلَيْهِ يُقْتَتَلُ
وَقَدْ نَهَى عَنْهُ نَبِينَا لِمَا يَكُونُ مِنْ قَتْلِ وَسْفِكٍ لِلدِّمَا)
الْجَمُّ: الكثير ومنه: ﴿وَتُحِبُّونَ أَمْالَ حُبًّا جَمًّا﴾ [الفجر: ٢٠] أي كثيراً.

📖 المتن:

كَذَا تَمَنِّي الْمَوْتِ مِنْ بَرَحِ الْبَلَاءِ وَأَنْ تُكَلِّمَ السَّبَاعُ الْعُقَلَا
كَذَا الْجَمَادُ كَشْرَاكِ نَعْلِهِ وَفَخْذُهُ تُخْبِرُهُ عَنْ أَهْلِهِ

الشرح:

قال: (كَذَا تَمَنِّي الْمَوْتِ مِنْ بَرَحِ الْبَلَاءِ)

من أشراط الساعة: تمنى الموت من شدة البلاء والفتن.

□ في الصحيحين^(١) عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ بِقَبْرِ الرَّجُلِ فَيَقُولُ: يَا لَيْتَنِي مَكَانَهُ».

□ وفي رواية لمسلم^(٢): «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَذْهَبُ الدُّنْيَا حَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ عَلَى الْقَبْرِ فَيَتَمَرَّغُ عَلَيْهِ، وَيَقُولُ: يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَكَانَ صَاحِبِ هَذَا الْقَبْرِ، وَلَيْسَ بِهِ الدِّينُ إِلَّا الْبَلَاءُ».

□ وفي رواية لأحمد في المسند^(٣): «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ بِقَبْرِ الرَّجُلِ فَيَقُولُ: لَيْتَنِي مَكَانَهُ، مَا بِهِ حُبٌّ لِقَاءِ اللَّهِ».

فمن أشراط الساعة: أن يقع البلاء والشدة في الناس حتى يكون الموت الذي هو أعظم المصائب أهونَ عليهم مما أصابهم من البلاء؛ لشدة ما نزل بالناس من فساد الحال، فيتمنى أحدهم الموت، ليس لأنه يحب لقاء الله تدينًا، بل لما نزل به من البلاء الشديد، ويكون ذلك البلاء عامًّا حتى يتمنى الناس الموت وَيَغِيطُونَ أَهْلَ الْمَقَابِرِ.

وانظر إلى تعريف لفظ الرجل بأل التي تفيد الاستغراق في قوله -صلى الله عليه وسلم- «حَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ بِقَبْرِ الرَّجُلِ» أي حتى يمر كل رجل بقبر كل رجل، أي بقبر أي رجل يمر بقبره فيتمنى أن يكون مكانه، فيصير الموت أحبَّ إلى الناس من الحياة لما يلاقونه من شدة البلاء والفتن.

(١) أخرجه البخاري (٧١١٥)، ومسلم (١٥٧).

(٢) (١٥٧).

(٣) (١٠٨٦٦) وصحح إسناده محققوه.

وليس المراد حتى يمرّ رجلٌ بقبر رجلٍ آخر فيتمنى أن يكون مكانه؛ لأن هذا قد يقع في كل زمان.

وذكر الرجل في الحديث لا مفهوم له، فالمرأة مثله.

وقد أخبر النبي -صلى الله عليه وسلم- أن الفتن ستترادف في آخر الزمان حتى يرقق بعضها بعضاً، وأخبر بما يُنجي منها ففي صحيح مسلم^(١) عن عبدالله بن عمرو -رضي الله عنهما- أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ أُمَّتَكُمْ هَذِهِ جُعِلَ عَافِيَتُهَا فِي أَوَّلِهَا، وَسَيُصِيبُ آخِرَهَا بَلَاءٌ وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا، وَتَجِيءُ فِتْنَةٌ فَيُرَقِّقُ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَتَجِيءُ الْفِتْنَةُ فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: هَذِهِ مَهْلِكَتِي، ثُمَّ تَنْكَشِفُ، وَتَجِيءُ الْفِتْنَةُ فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: هَذِهِ هَذِهِ، فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزَخَّزَخَ عَنِ النَّارِ وَيُدْخَلَ الْجَنَّةَ، فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَلَيَأْتِ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ».

ثم قال:

(وَأَنْ تُكَلِّمَ السَّبَاعَ الْعُقَلَا

كَذَا الْجَمَادُ كَشْرَاكِ نَعْلِهِ وَفَخْذُهُ تُخْبِرُهُ عَنْ أَهْلِهِ)

من أشراط الساعة: أن تُكَلِّمَ السباع والجمادات الناس، وأن تُخبر الإنسان فخذهُ بما أحدث أهله بعده.

أخرج أحمد في المسند وصحح إسناده أحمد شاكر^(٢) عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أنه قال: «جاء ذئبٌ إلى راعي غنمٍ، فأخذ منها شاةً، فطلبه الراعي حتى انتزعها منه، قال: فصعد الذئب على تلٍّ فأفقى، واستدفر -استدفر: أصلها استشر بالشاء والمعنى أدخل ذنبه بين فخذه حتى لرق ببطنه- فقال: عَمَدَتْ إِلَى رِزْقٍ رَزَقْنِيهِ اللَّهُ -عَزَّ وَجَلَّ- انتزعتني مِنِّي. فقال الرَّجُلُ: تالله إن رأيتُ كالْيَوْمِ ذئبًا يتكلَّم! قال الذئبُ: أعجبُ من هذا رجلٌ في النَّخْلَاتِ بَيْنَ الْحَرَّتَيْنِ يُخْبِرُكُمْ بما مضى وبما هو كائنٌ بعدكم، وكان الرجلُ يهوديًا، فجاء

(١) (١٨٤٤).

(٢) (٨٠٤٩) (١٤٧/٨).

الرجل إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- وأخبره، فصَدَّقَهُ النبي -صلى الله عليه وسلم-، ثم قال: إِنَّهَا أَمَارَةٌ مِنْ أَمَارَاتِ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ، قَدْ أَوْشَكَ الرَّجُلُ أَنْ يَخْرُجَ فَلَا يَرْجِعَ حَتَّى تُحْدِثَهُ نَعْلَاهُ وَسَوْطُهُ مَا أَحْدَثَ أَهْلُهُ بَعْدَهُ».

وعند الإمام أحمد أيضاً^(١) وهو في السلسلة الصحيحة^(٢) عن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- أنه قال: «عَدَا الذِّئْبُ عَلَى شَاةٍ، فَأَخَذَهَا، فَطَلَبَهُ الرَّاعِي فَانْتَرَعَهَا مِنْهُ، فَأَقْعَى الذِّئْبُ عَلَى ذَنْبِهِ، قَالَ: أَلَا تَتَّقِي اللَّهَ؟ تَنْزِعُ مِنِّي رِزْقًا سَاقَهُ اللَّهُ إِلَيَّ؟ فَقَالَ: يَا عَجَبِي! ذِئْبٌ مُقْعٍ عَلَى ذَنْبِهِ يُكَلِّمُنِي كَلَامَ الْإِنْسِ! فَقَالَ الذِّئْبُ: أَلَا أَخْبِرُكَ بِأَعْجَبَ مِنْ ذَلِكَ؟ مُحَمَّدٌ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِيْثَرَبَ يُخْبِرُ النَّاسَ بِأَنْبَاءٍ مَا قَدْ سَبَقَ! قَالَ: فَأَقْبَلَ الرَّاعِي يَسُوقُ غَنَمَهُ حَتَّى دَخَلَ الْمَدِينَةَ، فَزَوَّاهَا -أَيَ جَمَعَهَا وَضَمَّهَا- إِلَى زَاوِيَةٍ مِنْ زَوَايَاهَا، ثُمَّ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَأَخْبَرَهُ، فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَنُودِيَ: الصَّلَاةَ جَامِعَةً، ثُمَّ خَرَجَ فَقَالَ لِلرَّاعِي: «أَخْبِرْهُمْ»، فَأَخْبَرَهُمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «صَدَقَ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُكَلِّمَ السَّبَاعُ الْإِنْسَ، وَيُكَلِّمَ الرَّجُلَ عَذْبَةً سَوْطُهُ -أَيَ طَرَفَ سَوْطِهِ- وَشِرَاكُ نَعْلِهِ -أَيَ سِيرَ نَعْلِهِ- وَيُخْبِرُهُ فَخِذُهُ بِمَا أَحْدَثَ أَهْلُهُ بَعْدَهُ»، وقد روى الترمذي في جامعه^(٣) الجزء الأخير منه.

وفي صحيح البخاري^(٤) في كلام بعض الدوابّ دون إشارة إلى موضوع أشراف الساعة حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- أنه قال: «صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- صَلَاةَ الصُّبْحِ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ، فَقَالَ: بَيْنَا رَجُلٌ يَسُوقُ بَقَرَةً إِذْ رَكِبَهَا فَضَرَبَهَا، فَقَالَتْ: إِنَّا لَمْ نُخْلَقْ لِهَذَا، إِنَّمَا خُلِقْنَا لِلْحَرْثِ، فَقَالَ النَّاسُ: سُبْحَانَ اللَّهِ! بَقَرَةٌ تَكَلِّمُ، فَقَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: فَإِنِّي أَوْمِنُ بِهَذَا أَنَا، وَأَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ -وَمَا هُمَا ثُمَّ- أَيْ لَيْسَا حَاضِرِينَ- وَبَيْنَمَا رَجُلٌ فِي غَنَمِهِ إِذْ عَدَا الذِّئْبُ، فَذَهَبَ مِنْهَا بِشَاةٍ، فَطَلَبَ حَتَّى كَانَهُ اسْتَنْقَذَهَا مِنْهُ، فَقَالَ لَهُ الذِّئْبُ هَذَا اسْتَنْقَذْتَهَا مِنِّي، فَمَنْ لَهَا يَوْمَ السَّبْعِ، يَوْمَ لَا رَاعِيَ

(١) (١١٧٩٢).

(٢) (١٢٢) (٢٤١/١).

(٣) (٢١٨١).

(٤) (٣٤٧١).

لَهَا غَيْرِي؟! فَقَالَ النَّاسُ: سُبْحَانَ اللَّهِ! ذُبُّ يَتَكَلَّمُ، فَقَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: فَإِنِّي أَوْمِنُ بِهَذَا أَنَا، وَأَبُوبَكْرٍ، وَعُمَرُ. وَمَا هُمَا ثُمَّ»، فحديث البخاري هذا فيه ذكر كلام بعض الدواب.

وحديث المسند السابق فيه أن ذلك سيكون أيضًا في آخر الزمان، وسيأتي في خبر قتال اليهود آخر الزمان قوله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «فَيَقُولُ الْحَجَرُ أَوْ الشَّجَرُ: يَا مُسْلِمُ يَا عَبْدَ اللَّهِ هَذَا يَهُودِيٌّ خَلْفِي، فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ، إِلَّا الْغَرْقَدَ، فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ الْيَهُودِ»^(١).

فمن أشراط الساعة التي ستظهر في آخر الزمان وتنتشر في الناس: أن تكلم السباع والجمادات الناس، وأن تخبرهم أفخاذهم بما أحدث أهلهم بعدهم، وهذا من عجائب أشراط الساعة المؤذنة بتغير أحوال العالم ونهاية الدنيا.

ثم قال: (قُلُّ الرِّجَالِ)

من أشراط الساعة: قلة الرجال وكثرة النساء.

في الصحيحين^(٢) عن أنس -رضي الله عنه- أنه قال: «لَأَحْدِثَنَّكُمْ حَدِيثًا لَا يُحَدِّثُكُمْ أَحَدٌ بَعْدِي، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ: أَنْ يَقِلَّ الْعِلْمُ، وَيَظْهَرَ الْجَهْلُ، وَيَظْهَرَ الزِّنَى، وَتَكْثُرَ النِّسَاءُ، وَيَقِلَّ الرِّجَالُ، حَتَّى يَكُونَ لِخَمْسِينَ امْرَأَةً الْقَيْمُ الْوَاحِدُ».

وَالْقَيْمُ: هو الذي يقوم على أمورهن. وفي الصحيحين^(٣) عن أبي موسى الأشعري -رضي الله عنه- عن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أنه قال: «لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَطُوفُ الرَّجُلُ فِيهِ بِالصَّدَقَةِ مِنَ الذَّهَبِ، ثُمَّ لَا يَجِدُ أَحَدًا يَأْخُذُهَا مِنْهُ، وَيُرَى الرَّجُلُ الْوَاحِدُ يَتَّبِعُهُ أَرْبَعُونَ امْرَأَةً يُلْذَنَ بِهِ مِنْ قِلَّةِ الرِّجَالِ».

يُلْذَنَ بِهِ: يلجأ إليه؛ ليقوم بحوائجهم ويذب عنهم.

(١) (٢٩٢٢).

(٢) أخرجه البخاري (٥٢٣١)، ومسلم (٢٦٧١).

(٣) أخرجه البخاري (١٤١٤)، ومسلم (١٠١٢).

فمن أشراط الساعة: أن يقلّ الرجال وتكثر النساء حتى يتولى الرجل الواحد القيام على أربعين امرأة أو خمسين امرأة أي على العدد الكثير من النساء.

وقد اختلف العلماء في سبب قلة الرجال وكثرة النساء:

□ فقيل: إن سبب ذلك كثرة الفتن والملاحم والحروب في آخر الزمان، فيكثر القتل في الرجال؛ لأنهم هم أهل الحرب دون النساء وتبقى النساء أرامل.

□ وقيل: إن سبب ذلك كثرة الفتوح فتكثر السبايا فيتخذ الرجل عدة موطوءات.

□ واستظهر الحافظ ابن حجر^(١) أنها علامة محضة لا بسبب، بل يُقدّر الله في آخر الزمان أن يقل ما يولد من الذكور ويكثر ما يولد من الإناث.

□ لكن يُشكّل على هذا أنه جاء في رواية لأحمد في المسند^(٢): «إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يَذْهَبَ الرِّجَالُ وَيَبْقَى النِّسَاءُ» فهذا فيه إشارة إلى أن الرجال يقلّون بسبب ذهابهم لا أن النساء تكثر فيهن ولادة الإناث، والذي يُذهِبهم هو الحروب والفتن والملاحم؛ لأن الرجال هم أهلها، وقد أخبر النبي -صلى الله عليه وسلم- عن ملاحم في آخر الزمان يذهب فيها العدد الكبير من الرجال، وقد سبق أن الناس يقتتلون على جبل الذهب الذي يحسر عنه الفرات «فَيُقْتَلُ مِنْ كُلِّ مِئَةِ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ»، ويقول كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ: لَعَلِّي أَكُونُ أَنَا الَّذِي أَنْجُو»^(٣).

وجاء في حديث الملحمة الكبرى «فَيَتَعَادُ بَنُو الْأَبِّ، كَانُوا مِئَةً، فَلَا يَجِدُونَهُ بَقِيَّ مِنْهُمْ إِلَّا الرَّجُلُ الْوَاحِدُ»^(٤).

ولا مانع من اعتبار الأسباب الثلاثة فيقل الرجال ويكثر النساء بسبب:

□ الفتن والحروب والملاحم فيكثر فيها قتل الرجال؛ لأنهم هم أهل الحرب دون النساء.

(١) انظر: فتح الباري (١/١٧٩).

(٢) (١٣٩٤٦) وصحّ إسناده محققه.

(٣) أخرجه البخاري (٧١١٩)، ومسلم (٢٨٩٤).

(٤) أخرجه مسلم (٢٨٩٩).

□ وكذلك السبي يزيد فيه عدد الإناث في المجتمع المسلم وسيكثر ذلك في آخر الزمان بسبب الملاحم.

□ ولا مانع من اعتبار ما ذكره الحافظ ابن حجر -رحمه الله-، من أنه يكثر إنجاب الإناث في آخر الزمان؛ فيحصل بهذه الأسباب ما أخبر به النبي -صلى الله عليه وسلم- من أن الرجل الواحد يكون قِيَمًا على خمسين امرأة، ويُرَى الرجل الواحد يتبعه أربعون امرأة يلذن به.

ثم قال: (فِتْنٌ دَهْيَاءُ الْأَحْلَاسُ وَالسَّرَاءُ وَالْدَّهْمَاءُ).

من أشراط الساعة: ثلاث فتن دهياء أي شديدة، وهي فتنة الأحلاس والسرائ والدهماء أو الدهيماء، فإذا حصلت هذه الفتن الثلاث فلينتظر الناس خروج الدجال من يومه أو من غده.

وعُدَّ هذه الفتن من أشراط الساعة مبنيًا على تصحيح حديثها، وهو مما اختلف فيه وقد صححه الحاكم ووافقه الذهبي^(١)، وصححه من المتأخرين أحمد شاكر^(٢) والألباني^(٣).

أخرج أحمد في المسند^(٤) وأبو داود في السنن^(٥) والحاكم في المستدرک^(٦) عن ابن عمر -رضي الله عنهما- أنه قال: «كُنَّا قُعُودًا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَذَكَرَ الْفِتَنَ فَأَكْثَرَ فِي ذِكْرِهَا حَتَّى ذَكَرَ فِتْنَةَ الْأَحْلَاسِ».

(١) انظر: مستدرک الحاكم (٨٤٤١).

(٢) انظر: مسند الإمام أحمد بتحقيق أحمد شاكر (٦١٦٨).

(٣) في السلسلة الصحيحة (٩٧٤) (٦٦٦/٢).

(٤) (٦١٦٧).

(٥) (٤٢٤٢).

(٦) (٨٤٤١).

الأحلاس: جمع جلس، والجلس: الكساء الذي فوق ظهر البعير تحت الرجل، وهذا الكساء ملازمٌ للبعير فهي فتنة تلازم الناس، وهي سوداء مظلمة مثل المجلس؛ فالفتنة شُهِت بالأحلاس للزومها ودوامها ولسوادها وظلمتها.

«فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا فِتْنَةُ الْأَحْلَاسِ؟ قَالَ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: هِيَ هَرْبٌ وَحَرْبٌ».

الهَرْبُ: الفرار أي يفر الناس بعضهم من بعض.

والحَرْبُ: ذهابُ مالِ الإنسان وأهله، وتركه لا شيء له.

«ثُمَّ فِتْنَةُ السَّرَّاءِ».

السراء: النعمة والرخاء والعافية فيُفتن بعض الناس ويتمادى في العصيان، وما أكثر ما تكون الفتنة بالنعمة والخير أضَرَّ على الإنسان من الفتنة بالشر.

«دَخَنُهَا مِنْ تَحْتِ قَدَمَيْ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي» أي أنها تثور كالدخان من تحت قدميه فهو الذي يسعى في إثارتها.

«يَزْعُمُ أَنَّهُ مِنِّي وَلَيْسَ مِنِّي وَإِنَّمَا أَوْلِيَايَ الْمُتَّقُونَ» يعني أن هذا الرجل الباعث على إثارة الفتنة من النبي -صلى الله عليه وسلم- في النسب، لكن النبي -صلى الله عليه وسلم- بريء من فعله، وليس هو من أولياء النبي -صلى الله عليه وسلم-، إنما أولياء النبي -صلى الله عليه وسلم- المتقون، وليس هو منهم.

«ثُمَّ يَصْطَلِحُ النَّاسُ عَلَى رَجُلٍ» أي يجتمعون على بيعته.

«كَوْرِكَ عَلَى ضِلْعٍ».

الْوَرَكُ: ما فوق الفخذ.

والضِّلَعُ: عظم الصدر. وهذا مثلٌ معناه أن الأمر لا يثبت له ولا يستقيم؛ لأن الضلع لا يقوم بالورك ولا يحمله؛ لضعف الضِّلْع وثقل الورك.

ويريد بذلك في الحديث أن هذا الرجل غير خليق بالملك.

«ثُمَّ فِتْنَةُ الدُّهَيْمَاءِ» وفي لفظ: «الدَّهْمَاءِ» أي التي تدهم الناس.

الدهيماء: تصغير الدهماء، والتصغير هنا للتعظيم مثل التصغير في قول لبيد -رضي الله عنه-:

وكل أناس سوف تدخل بينهم دُوَيْهِيَّةٌ تَصْفَرُّ مِنْهَا الْأَنَامِلُ

دويهيّة أي داهية عظيمة، فكذاك الدهيماء فتنة عظيمة تدهم الناس بشروها لذلك قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «ثُمَّ فِتْنَةُ الدَّهِيْمَاءِ لَا تَدْعُ أَحَدًا مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ إِلَّا لَطَمَتْهُ لَطْمَةً» والمعنى: أن أثر هذه الفتنة يعم كل الناس.

«فَإِذَا قِيلَ: انْقَضَتْ تَمَادَتْ»، يعني: إذا توهم الناس أنها انقضت زادت.

«يُصْبِحُ الرَّجُلُ فِيهَا مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، حَتَّى يَصِيرَ النَّاسُ إِلَى فُسْطَاطَيْنِ».

الفسطاط في الأصل: الخيمة والمعنى يصيرون إلى فرقتين.

«فُسْطَاطِ إِيْمَانٍ لَا نِفَاقَ فِيهِ».

فهو إيمان خالص صاف من النفاق.

«وَفُسْطَاطِ نِفَاقٍ لَا إِيْمَانَ فِيهِ فَإِذَا كَانَ ذَاكُمُ فَانْتَظِرُوا الدَّجَالَ» أي انتظروا ظهوره «مِنْ يَوْمِهِ أَوْ مِنْ غَدِهِ».

وهذه الفتن مما لم يقع بعد، نسأل الله العافية من الفتن ما ظهر منها وما بطن.

بِكَ الْعِيَاذُ يَا عَظِيمَ الطَّوْلِ مِنْ كُلِّ فِتْنَةٍ وَكُلِّ هَوْلٍ

📖 المتن:

خَرَابُ طَيِّبَةٍ فَشُوُ الرُّومِ قِتَالُهُمْ فِي الْخَبَرِ الْمَعْلُومِ

الشرح:

قال: (خَرَابُ طَيِّبَةٍ)

المدينة النبوية على ساكنها -أفضل الصلاة وأتم السلام-، تكون في آخر الزمان عامرةً بالإيمان، مصونة بحفظ الرحمن، وملجأً لأهل الإسلام؛ يَأْرِزُ إِلَيْهَا الْإِيْمَانُ كَمَا تَأْرِزُ الْحَيَةُ

إلى جُحرها، تحرسها الملائكة؛ فلا يدخلها الطاعون ولا الدجال، فهي أمان في أزمنة الفتن، حتى إذا قَرَّبَ قيام الساعة في آخر الزمان بعد الدجال وعيسى ابن مريم -عليه السلام- خَرِبَتْ وتركها أهلها ولم يغشها إلا السباع والطير.

■ في الصحيحين^(١) عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أنه قال: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: «يَتَرَكُونَ الْمَدِينَةَ عَلَى خَيْرٍ مَا كَانَتْ» يعني من العمارة وكثرة الثمار وحسن المنظر.

«لَا يَغْشَاهَا إِلَّا الْعَوَافِي -يُرِيدُ عَوَافِي السَّبَاعِ وَالطَّيْرِ-» العوافي جمع عافية، وهي التي تطلب القوت والرزق من الدواب والطير.

«وَأَخْرُجُ مَنْ يُحْشَرُ رَاعِيَانِ مِنْ مُزِينَةٍ يُرِيدَانِ الْمَدِينَةَ، يَنْعِقَانِ بَغْنَمَهُمَا» أي يصيحان.

«فَيَجِدَانِهَا وَحْشًا» أي خاليةً من الناس موحشةً ليس بها إلا الوحوش.

«حَتَّى إِذَا بَلَغَا ثَلَاثِيَةَ الْوَدَاعِ، خَرًّا عَلَى وُجُوهِهِمَا» أي سقطا ميتين وذلك حين تقوم الساعة.

■ وعند الإمام مالك في الموطأ^(٢): «لَتَتَرَكَنَّ الْمَدِينَةَ عَلَى أَحْسَنِ مَا كَانَتْ، حَتَّى يَدْخُلَ الْكَلْبُ أَوْ الذَّنْبُ فَيُعْذِّي -أي يبول دفعة بعد دفعة- عَلَى بَعْضِ سَوَارِي الْمَسْجِدِ أَوْ عَلَى الْمَنْبَرِ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَلِمَنْ تَكُونُ الثَّمَارُ ذَلِكَ الزَّمَانُ؟ قَالَ: لِلْعَوَافِي الطَّيْرِ وَالسَّبَاعِ».

■ وعند الإمام أحمد^(٣) عن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- أنه قال: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: «لَيْسَ يَرَى الرَّائِي فِي جَنَابَاتِ الْمَدِينَةِ ثُمَّ لَيَقُولُ: لَقَدْ كَانَ فِي هَذَا حَاضِرٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ كَثِيرٌ».

(١) أخرجه البخاري (١٨٧٤)، ومسلم (١٣٨٩).

(٢) (٣٣١٠) وقال الألباني في السلسلة الضعيفة (٢٩٢/٩): "الحديث صحيح دون جملة الكلب" وذكر أنه يشهد له حديث الصحيحين الذي قبله.

(٣) (١٢٤) ويشهد له حديث الصحيحين الذي قبله لذا حسنه محققو المسند.

قال النووي: "فَالظَّاهِرُ الْمُخْتَارُ: أَنَّ هَذَا التَّرِكَ لِلْمَدِينَةِ يَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ، عِنْدَ قِيَامِ السَّاعَةِ، وَتَوْضِيحُهُ قِصَّةُ الرَّاعِيَيْنِ مِنْ مُزَيَّنَةٍ فَإِنَّهُمَا يَخِرَّانِ عَلَى وُجُوهِهِمَا حِينَ تُدْرِكُهُمَا السَّاعَةُ، وَهُمَا آخِرُ مَنْ يُحْشَرُ".

فالمدينة ستكون عامرة في زمان الدجال وفي زمان عيسى -عليه السلام-، ثم يكون خرابها بعد ذلك قبل قيام الساعة.

ومن الخطأ ظنُّ أَنَّ أَشْرَاطَ السَّاعَةِ الصَّغْرَى تنقضي كلها ثم تبدأ الأَشْرَاطُ الْكُبْرَى، ليس ذلك بصحيح بل من أَشْرَاطِ السَّاعَةِ الصَّغْرَى ما يتخلل الأَشْرَاطَ الْكُبْرَى، ومنها هذا الشَّرْطُ وهو خراب المدينة؛ فإنه يكون بعد زمن الدجال وعيسى -عليه السلام- وقبل النار التي تحشر الناس إلى محشرهم.

ثم قال: **(فَشُوُ الرُّومِ قِتَالُهُمْ فِي الْخَبَرِ الْمَعْلُومِ)**

من أَشْرَاطِ السَّاعَةِ: كثرة الروم وقتالهم للمسلمين وهي الملحمة الكبرى.

أخرج مسلم في صحيحه^(١) عن المستورد بن شداد -رضي الله عنه- أنه قال: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: «تَقُومُ السَّاعَةُ وَالرُّومُ أَكْثَرُ النَّاسِ».

وفي صحيح البخاري^(٢) عن عوف بن مالك -رضي الله عنه- أنه قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «اعْدُدْ سِتًّا بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ» وذكر خمسة أَشْرَاطَ كلها سبقت ثم قال: «ثُمَّ هُدْنَةٌ -والهدنة هي الصُّلْحُ على ترك القتال بعد التحرك فيه- تَكُونُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ بَنِي الْأَصْفَرِ -وبنو الأصفر هم الروم- فَيَغْدِرُونَ فَيَأْتُونَكُمْ تَحْتَ ثَمَانِينَ غَايَةً -أي راية كما في الرواية الأخرى- تَحْتَ كُلِّ غَايَةٍ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا» فهذا يدل على كثرة الروم ويدل أيضاً على كثرة المسلمين وقوتهم، ولولا كثرة المسلمين وقوتهم ما هادنهم العدو بعد التحرك في القتال. والهدنة المذكورة جاء تفصيلها في حديث ذي مَخْبَرٍ -رضي الله عنه- رجلٍ من أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم- عند أحمد^(٣) وأبي داود^(١) وابن ماجه^(٢) قال: سمعت رسول الله -

(١) (٢٨٩٨).

(٢) (٣١٧٦).

(٣) (١٦٨٢٥) وصححه محققوه.

صلى الله عليه وسلم- يقول: «سُتُصَالِحُونَ الرُّومَ صَلَاحًا آمِنًا؛ فَتَغْزُونَ أَنْتُمْ وَهُمْ عُدُوًّا مِنْ ورائِكُمْ؛ فَتُنْصَرُونَ وَتَغْنَمُونَ وَتَسْلَمُونَ، ثُمَّ تَرْجِعُونَ حَتَّى تَنْزِلُوا بِمَرْجٍ ذِي ثُلُولٍ، فَيَرْفَعُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ النِّصْرَانِيَّةِ الصَّلِيبَ، فيقول: غَلَبَ الصَّلِيبُ، فيغضبُ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَيَدْفُقُهُ، فعِنْدَ ذَلِكَ تَغْدِرُ الرُّومُ وَتَجْمَعُ لِلْمِلْحَمَةِ».

وفي رواية عند ابن حبان^(٣): «فيقولُ قائلٌ مِنَ الرُّومِ: غَلَبَ الصَّلِيبُ» وهذه هي بداية غدرهم؛ لأن قوله: غَلَبَ الصَّلِيبُ إما لقصد نقض الصلح، وإما لإغاية المسلمين وكلاهما ينافي الصلح الآمن. قال: «ويقولُ قائلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ: بَلِ اللَّهُ غَلَبَ وَيَتَدَاوِلُونَهَا».

معنى يتداولونها: أن النصارى يكررون مقالة صاحبيهم: (غَلَبَ الصَّلِيبُ) ويردُّ عليهم أهل الإسلام بقولهم: (بَلِ اللَّهُ غَلَبَ). قال: «وصلِّيهم مِنَ الْمُسْلِمِينَ غَيْرُ بَعِيدٍ فَيُثَوِّرُ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَيَدْفُقُهُ، وَيُثَوِّرُونَ إِلَى كَاسِرِ صَلَيبِهِمْ فَيَضْرِبُونَ عُنُقَهُ، وَيُثَوِّرُ الْمُسْلِمُونَ إِلَى أَسْلِحَتِهِمْ فَيَقْتَتِلُونَ فَيُكْرِمُ اللَّهُ تِلْكَ الْعِصَابَةَ بِالشَّهَادَةِ».

وظاهر الحديث أن عدد من يشهد هذه الواقعة من المسلمين يكون قليلاً، لقوله: «فَيُكْرِمُ اللَّهُ تِلْكَ الْعِصَابَةَ بِالشَّهَادَةِ»، ويستشهدون كلهم، فيرجع الروم إلى بلادهم وقد نقضوا العهد.

قال: «فَيَأْتُونَ مَلِكَهُمْ فيقولون: كَفَيْنَاكَ جَزِيرَةَ الْعَرَبِ، فيجتمعون لِلْمِلْحَمَةِ فَيَأْتُونَ تَحْتَ ثَمَانِينَ غَايَةً تَحْتَ كُلِّ غَايَةٍ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا».

هذا بيان الهدنة وبيانُ صفةِ غدرِ الرومِ وسببِ المِلْحَمَةِ.

وقد جاء تفصيل هذه المِلْحَمَةِ فيما روى مسلم^(٤) عن يُسَيْرِ بْنِ جَابِرٍ -رضي الله عنه- أنه قال: «هَاجَتْ رِيحٌ حَمْرَاءُ بِالْكُوفَةِ، فَجَاءَ رَجُلٌ لَيْسَ لَهُ هِجِيرَى إِلَّا: يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ جَاءَتْ السَّاعَةُ -أي شأنه ودأبه ذلك- قال: فَقَعَدَ، وَكَانَ مُتَكِنًا، فَقَالَ: إِنَّ

(١) (٤٢٩٢).

(٢) (٤٠٨٩).

(٣) (٦٧٠٩) وصححه الألباني كما في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (٣٨٦/٩).

(٤) (٢٨٩٩).

السَّاعَةَ لَا تَقُومُ حَتَّى لَا يُقَسَمَ مِيرَاثُ، وَلَا يُفْرَحَ بَغَنِيمَةٍ، ثُمَّ قَالَ بِيَدِهِ هَكَذَا، وَنَحَّاهَا نَحْوَ الشَّامِ، فَقَالَ: عَدُوٌّ يَجْمَعُونَ لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ، وَيَجْمَعُ لَهُمْ أَهْلُ الْإِسْلَامِ، قُلْتُ: الرُّومَ تَعْنِي؟ قَالَ: نَعَمْ، وَتَكُونُ عِنْدَ ذَاكُمْ الْقِتَالِ رَدَّةً شَدِيدَةً».

«رَدَّةً شَدِيدَةً» بفتح الراء أي عطفة قوية، والمعنى: أنهم سيعطف بعضهم على بعض وسترفع الفتن من بينهم، كما قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «لَا يَجْمَعُ اللَّهُ -تعالى- على هذه الأمة سيفين سيفاً منها وسيفاً من عدوها»^(١).

قال: «فَيَشْتَرِطُ الْمُسْلِمُونَ شُرْطَةً -الشرطة هنا: طائفة من الجيش تُقَدَّمُ للقتال- لِلْمَوْتِ، لَا تَرْجِعُ إِلَّا غَالِبَةً، فَيَقْتَتِلُونَ حَتَّى يَحْجُزَ بَيْنَهُمُ اللَّيْلُ، فَيَفِيءُ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ، كُلُّ غَيْرِ غَالِبٍ، وَتَفْنَى الشُّرْطَةُ، ثُمَّ يَشْتَرِطُ الْمُسْلِمُونَ شُرْطَةً لِلْمَوْتِ، لَا تَرْجِعُ إِلَّا غَالِبَةً، فَيَقْتَتِلُونَ حَتَّى يَحْجُزَ بَيْنَهُمُ اللَّيْلُ، فَيَفِيءُ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ، كُلُّ غَيْرِ غَالِبٍ، وَتَفْنَى الشُّرْطَةُ، ثُمَّ يَشْتَرِطُ الْمُسْلِمُونَ شُرْطَةً لِلْمَوْتِ، لَا تَرْجِعُ إِلَّا غَالِبَةً، فَيَقْتَتِلُونَ حَتَّى يُمْسُوا، فَيَفِيءُ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ، كُلُّ غَيْرِ غَالِبٍ، وَتَفْنَى الشُّرْطَةُ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الرَّابِعِ، نَهَدَ -أي نهَضَ- وَتَقَدَّمَ -إِلَيْهِمْ بِقِيَّةِ أَهْلِ الْإِسْلَامِ، فَيَجْعَلُ اللَّهُ الدَّبْرَةَ -أي الهزيمة- عَلَيْهِمْ، فَيَقْتُلُونَ مَقْتَلَةً -إِذَا قَالَ: لَا يَرَى مِثْلَهَا، وَإِنَّمَا قَالَ: لَمْ يَرِ مِثْلَهَا- حَتَّى إِنَّ الطَّائِرَ لَيَمُرُّ بِجَنَابَتِهِمْ، فَمَا يُخَلِّفُهُمْ حَتَّى يَخْرَمَيْتًا، فَيَتَعَادُ بَنُو الْأَبِ، كَانُوا مئة، فَلَا يَجِدُونَهُ بَقِيَ مِنْهُمْ إِلَّا الرَّجُلُ الْوَاحِدُ، فَبِأَيِّ غَنِيمَةٍ يُفْرَحُ؟! أَوْ أَيْ مِيرَاثٍ يُقَسَّمُ؟! فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ سَمِعُوا بِبَأْسِ هُوَاكِبٍ مِنْ ذَلِكَ، فَجَاءَهُمُ الصَّرِيخُ: إِنَّ الدَّجَالَ قَدْ خَلَفَهُمْ فِي ذَرَارِيِّهِمْ، فَيَرْفُضُونَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ، وَيُقْبِلُونَ، فَيَبْعَثُونَ عَشْرَةَ فَوَارِسَ طَلِيعَةٍ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: إِنِّي لَأَعْرِفُ أَسْمَاءَهُمْ وَأَسْمَاءَ آبَائِهِمْ، وَالْوَانَ خِيُولِهِمْ، هُمْ خَيْرُ فَوَارِسَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ، أَوْ قَالَ: مِنْ خَيْرِ فَوَارِسَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ».

وهذه الملحمة الكبرى ستكون بالشام، وستأتي الروم إلى عُقْرِ دار المؤمنين حتى تنزل بالشام، وقد جمعوا جموعهم التي لم يسبق أن أتوا بمثلها.

(١) أخرجه أحمد (٢٣٩٨٩) وأبو داود (٤٣٠١) وهو في صحيح الجامع الصغير (٥٢٢١) (٩٢٧/٢).

أما جيش المسلمين فسيكون في دمشق كما عند أحمد^(١) وأبي دواد^(٢) من حديث أبي الدرداء -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «**إِنَّ فُسْطَاطَ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَ الْمَلْحَمَةِ فِي أَرْضِ بِالْغُوطَةِ فِي مَدِينَةٍ يُقَالُ لَهَا: دِمَشْقُ، مِنْ خَيْرِ مَدَائِنِ الشَّامِ**».

وأما الروم فسيأتون -كما سبق- إلى عقر دار المسلمين حتى ينزلوا بالشام وقد جمعوا جموعهم.

وقد جاء بيان ذلك في صحيح مسلم^(٣) في حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَنْزِلَ الرُّومُ بِالْأَعْمَاقِ أَوْ بِدَابِقِ الْأَعْمَاقِ** بين حَلَبَ وأنطاكية، ودابِق قرية قُرْبَ حَلَبَ، والأعماق ودابِق موضعان متقاربان.

قال: «**فَيَخْرُجُ إِلَيْهِمْ جَيْشٌ مِنَ الْمَدِينَةِ، مِنْ خَيْرِ أَهْلِ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ، فَإِذَا تَصَافَوْا، قَالَتِ الرُّومُ: خَلُّوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الَّذِينَ سَبَّوْا مِنَّا نُقَاتِلَهُمْ أَوْ وَبَيْنَ الَّذِينَ سَبَّوْا مِنَّا نُقَاتِلَهُمْ**».

ضَبَطَ سَبَّوْا وَسَبَّوْا وكلاهما صحيح.

وتوضيح ذلك أنه ستكون ملاحم بين المسلمين والروم قبل هذه الملحمة الكبرى يكون فيها سبايا من الروم كثير، وَيَمُنُّ اللهُ عليهم بالإسلام، ويؤيد بهم الدين، ويجاهدون الروم، وَيَسْبُونَ منهم بعد أن كانوا سبايا، فهم سَبَّوْا أولاً ثم سَبَّوْا بعد أن آمنوا، لذلك ازداد منهم غيظ الروم وقالوا للمسلمين بعد أن تصافوا للملحمة الكبرى: «**خَلُّوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الَّذِينَ سَبَّوْا مِنَّا نُقَاتِلَهُمْ، فَيَقُولُ الْمُسْلِمُونَ: لَا وَاللَّهِ لَا نُخَلِّي بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ إِخْوَانِنَا، فَيُقَاتِلُونَهُمْ، فَمِزْمٌ ثُلُثٌ لَا يَتُوبُ اللهُ عَلَيْهِمْ أَبَدًا -أي لا يُلْهِمُهُمُ التَّوْبَةَ- وَيُقْتَلُ ثُلُثُهُمْ، أَفْضَلُ الشُّهَدَاءِ عِنْدَ اللهِ، وَيَفْتَتِحُ الثُّلُثُ، لَا يُفْتَنُونَ أَبَدًا، فَيَفْتَتِحُونَ قُسْطَنْطِينِيَّةَ، فَبَيْنَمَا هُمْ يَقْتَسِمُونَ الْغَنَائِمَ، قَدْ عَلَقُوا سُيُوفَهُمْ بِالزَّيْتُونِ، إِذْ صَاحَ فِيهِمُ الشَّيْطَانُ: إِنَّ الْمَسِيحَ قَدْ خَلَفَكُمْ فِي أَهْلِيكُمْ، فَيَخْرُجُونَ، وَذَلِكَ بَاطِلٌ، فَإِذَا جَاؤُوا الشَّامَ خَرَجَ -أي خرج المسيح**

(١) (٢١٧٢٥).

(٢) (٤٢٩٨) وصححه الألباني في تخريج أحاديث فضائل الشام (١٥) ص ٣٨.

(٣) (٢٨٩٧).

الدجال- فَبَيْنَمَا هُمْ يُعِدُّونَ لِلْقِتَالِ، يُسَوُّونَ الصُّفُوفَ، إِذْ أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ، فَيَنْزِلُ عَيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ».

فهذه الملحمة تكون قبل فتح القسطنطينية وخروج الدجال ولم يصح حديث في تحديد مدة ذلك.

ويحسن هنا التنبيه إلى أمر وهو أن الذي ينبغي مراعاة الألفاظ الشرعية، والتعبير بها؛ فإنها أمان من الزلل خاصة في أبواب الفتن والملاحم والغيبات.

وقد غزت هذا الباب ألفاظ مُحدثة، من ذلك لفظ **هرمجدون** وهو لفظ كثير استعماله للتعبير عما عبرت عنه الشريعة بالملحمة، والذي ينبغي: التعبير باللفظ الشرعي، وقد قال النبي -صلى الله عليه وسلم- في تقرير عدم تغليب الألفاظ الخارجة عن الشريعة على الألفاظ الشرعية «لَا تَغْلِبَنَّكُمْ الْأَعْرَابُ عَلَى اسْمِ صَلَاتِكُمْ، فَإِنَّهَا فِي كِتَابِ اللَّهِ الْعِشَاءُ، وَإِنَّهَا تُعْتَمُ بِحِلَابِ الْإِبِلِ»^(١). واسم هرمجدون لا وجود له في ديننا لا في أحاديث صحيحة ولا ضعيفة، ويعظم الإشكال حين تُحمل نصوص الملحمة في شرعنا على ما في نصوص هرمجدون الإسرائيلية فيُظَنَّنَ شيئاً واحداً، وفرق كبير بين ما ثبت به شرعنا في خبر الملحمة وبين ما يدَّعون، فقد ثبتت الأحاديث بأن الملحمة ستكون بين أهل الإسلام وبين الروم النصارى الضالين، أما أطراف الصراع في هرمجدون فأوسع من هذا بحيث تشمل يأجوج ومأجوج عندهم، وكذلك مكان الملحمة هو -كما سبق- بالأعماق أو دابق، وهما موضعان بالشام قرب حلب، أما أصحاب هرمجدون فيدَّعون أنها في فلسطين، وقد ثبت أن الله -عَزَّ وَجَلَّ- ينصر المسلمين على أعدائهم في الملحمة، ويدَّعي أصحاب هرمجدون أن الغلبة ستكون لهم.

لذا فالألفاظ الشرعية لها حرمة، وسبيل أهل العلم والأيمان التعبير بها، وترك الألفاظ المحدثه الخارجة عن الشريعة.

📖 **المتن:**

وَفَتَحُ قُسْطَنْطِينَةَ وَرُومِيَةَ نَفِي الْمَدِينَةِ الشَّرَارِ فَادْرِيَهُ

(١) أخرجه البخاري (٥٦٣)، ومسلم (٦٤٤).

قَتْلُ الْيَهُودِ آخِرَ الزَّمَانِ خُرُوجُ جَهْجَاهٍ كَذَا الْقَحْطَانِي
 رَفْعُ الْقُرْآنِ، تَرْكُ حَجٍّ، خَسْفُ -إِنْ ظَهَرَ الْقِيَانُ- مَسْخُ قَذْفُ
 نَقْضُ عُرَى الْإِسْلَامِ حَتَّى لَا يُرَى مَنْ يَعْرِفُ اسْمَ اللَّهِ مِنْ بَيْنِ الْوَرَى
 وَيُخْرِبُ الْكَعْبَةَ دُونَ مَيْنِ الْحَبَشِيِّ ذُو السُّوَيْقَتَيْنِ
 يَسْلُبُهَا حَلِيَّتَهَا الْأَصِيلُ الْأَفْحَجُ الْأَسْوَدُ وَالْأَفِيدُعُ
 وَبَعَثُ رِيحَ يَمَنِ وَشَامِ تَقْبِضُ مَنْ كَانَ عَلَى الْإِسْلَامِ

الشرح:

قال: (وَفَتْحُ قُسْطَنْطِينِيَّةَ)

يقال: قُسْطَنْطِينِيَّةَ وقُسْطَنْطِينِيَّةَ بإسقاط ياء النسب، وقد كانت تعرف قديماً باسم بيزنطة، ثم لما مَلَكَ قُسْطَنْطِينُ الْأَكْبَرُ مَلِكُ الرُّومِ سماها قُسْطَنْطِينِيَّةَ، وهي اليوم تسمى إسطنبول، وقد كانت حصناً منيعاً، واستعصت على خلفاء المسلمين حتى فتحها محمد الفاتح، واتخذها عاصمة للدولة العثمانية، وتتابع على ذلك ملوكهم، حتى سقطت دولتهم. لكن الفتح الذي بشر به النبي -صلى الله عليه وسلم- في الأحاديث لا يمكن حمله على هذا الفتح؛ لاختلاف الأوصاف بينهما؛ لأن الأحاديث دلت على أن فتح القسطنطينية سيكون بعد الملحمة الكبرى التي سينتصر فيها المسلمون على الروم، وسيكون على يد ثلث الجيش الذين ينصرهم الله في الملحمة الكبرى، وسيكون الفتح بالتكبير والتهليل بدون سلاح، وبنو عثمان قاتلوا قتالاً شديداً طالبت مدته.

وأخبر النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه يجيئهم الصريخ بعد فتحها ويقول: إِنَّ الدَّجَالَ قَدْ خَرَجَ؛ وهذه الأوصاف كلها لم تتحقق في الفتح الأول، فالفتح المذكور في الأحاديث لم يقع إلى الآن، وهو لابد واقع.

في صحيح مسلم^(١) عن أبي هريرة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «سَمِعْتُمْ بِمَدِينَةِ جَانِبٍ مِنْهَا فِي الْبَرِّ وَجَانِبٍ مِنْهَا فِي الْبَحْرِ؟ قَالُوا: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَغْزَوْهَا سَبْعُونَ أَلْفًا مِنْ بَنِي إِسْحَاقَ، فَإِذَا جَاؤُوهَا نَزَلُوا، فَلَمْ

(١) (٢٩٢٠).

يُقَاتِلُوا بِسِلَاحٍ وَلَمْ يَزْمُوا بِسَهْمٍ، قَالُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ، فَيَسْقُطُ أَحَدُ جَانِبَيْهَا - قَالَ ثَوْرٌ - أَحَدُ رَوَاةِ الْحَدِيثِ: لَا أَعْلَمُهُ إِلَّا قَالَ: الَّذِي فِي الْبَحْرِ - ثُمَّ يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ، فَيَسْقُطُ جَانِبُهَا الْآخَرُ، ثُمَّ يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ، فَيُفَرِّجُ لَهُمْ، فَيَدْخُلُوهَا فَيَغْنَمُوا، فَبَيْنَمَا هُمْ يَقْتَسِمُونَ الْمَغَانِمَ إِذْ جَاءَهُمُ الصَّرِيخُ، فَقَالَ: إِنَّ الدَّجَالَ قَدْ خَرَجَ، فَيَتْرَكُونَ كُلَّ شَيْءٍ وَيَرْجِعُونَ».

وفي حديث الملحمة الكبرى السابق في صحيح مسلم^(١) قال -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- «وَيَفْتَتِحُ الثُّلُثُ، لَا يُفْتَنُونَ أَبَدًا - أَيِ يَنْصَرُهُمُ اللَّهُ عَلَى الرُّومِ - فَيَفْتَتِحُونَ قُسْطَنْطِينِيَّةَ، فَبَيْنَمَا هُمْ يَقْتَسِمُونَ الْغَنَائِمَ، قَدْ عَلَقُوا سُيُوفَهُمْ بِالزَّيْتُونِ، إِذْ صَاحَ فِيهِمُ الشَّيْطَانُ: إِنَّ الْمَسِيحَ قَدْ خَلَفَكُمْ فِي أَهْلِيكُمْ، فَيَخْرُجُونَ، وَذَلِكَ بَاطِلٌ، فَإِذَا جَاؤُوا الشَّامَ خَرَجَ - أَيِ الْمَسِيحِ الدَّجَالُ - فَبَيْنَمَا هُمْ يُعِدُّونَ لِلْقِتَالِ، وَيُسَوُّونَ الصُّفُوفَ، إِذْ أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ، فَيَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ». فهذا الفتح للقسطنطينية بدون قتال لم يقع بعد.

وقد ثبت عن أنس بن مالك -رضي الله عنه- عند الترمذي^(٢) أنه قال: «فَتَحُ الْقُسْطَنْطِينِيَّةُ مَعَ قِيَامِ السَّاعَةِ» أَيِ مَعَ قَرَبِ قِيَامِهَا.

وقوله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «حَتَّى يَغْزَوْهَا سَبْعُونَ أَلْفًا مِنْ بَنِي إِسْحَاقَ».

قال بعضهم: الصواب في الرواية من بني إسماعيل، أي أن العرب هم الذين سيفتحونها، لكن يُشكَلُ على هذا أنه في جميع أصول صحيح مسلم: «مِنْ بَنِي إِسْحَاقَ»، والأصل صحة ما في الأصول، ولا شك أنه سيكون في جيش المسلمين من الروم وبني إسحاق عددٌ كبير؛ لقوله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في حديث الملحمة الكبرى^(٣): «فَإِذَا تَصَافُّوا، قَالَتِ الرُّومُ: خَلُّوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الَّذِينَ سُبُّوا مِنَّا»، وفي رواية: «سَبُّوا مِنَّا نُقَاتِلُهُمْ»، فسيكون في جيش المسلمين عددٌ كبير من الروم يَمُنُّ اللَّهُ عَلَيْهِمُ بِالْإِيمَانِ وَالْجِهَادِ، وسيكون عددهم في الجيش الذي يغزو القسطنطينية سبعين ألفًا كما أخبر بذلك النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

(١) (٢٨٩٧).

(٢) (٢٢٣٩) وصححه إسناده موقوفاً الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٢٣٩/٥).

(٣) في صحيح مسلم (٢٨٩٧).

قال: (وَرُومِيَّةٌ).

من أشراط الساعة: فتح رومية ضبطها ياقوت في معجم البلدان^(١) بتخفيف الياء، وسيكون ذلك بعد فتح القسطنطينية. ورومية: هي عاصمة إيطاليا اليوم وتسمى روما.

في مسند الإمام أحمد^(٢) وهو في السلسلة الصحيحة^(٣) عن عبد الله بن عمرو- رضي الله عنهما- أنه قال: «بينما نحن حول رسول الله -صلى الله عليه وسلم- نكتب إذ سئل رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: أي المدينتين تفتح أولاً: قسطنطينية أو رومية؟ فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: مدينة هرقل تفتح أولاً يعني قسطنطينية».

وقد يكون فتح رومية في زمن عيسى -عليه السلام-؛ لأن الدجال يخرج بعد فتح القسطنطينية، وإذا خرج أعد له أهل الإسلام، وينزل عيسى -عليه السلام- في هذه الأثناء كما دل عليه حديث الملحمة الكبرى^(٤) وفيه قوله -صلى الله عليه وسلم-: «فَيَفْتَتِحُونَ قُسْطَنْطِينِيَّةً، فَبَيْنَمَا هُمْ يَقْتَسِمُونَ الْغَنَائِمَ، قَدْ عَلَقُوا سُيُوفَهُمْ بِالزَّيْتُونِ، إِذْ صَاحَ فِيهِمُ الشَّيْطَانُ: إِنَّ الْمَسِيحَ قَدْ خَلَفَكُمْ فِي أَهْلِيكُمْ، فَيَخْرُجُونَ، وَذَلِكَ بَاطِلٌ، فَإِذَا جَاؤُوا الشَّامَ خَرَجَ فَبَيْنَمَا هُمْ يُعِدُّونَ لِلْقِتَالِ يُسَوُّونَ الصُّفُوفَ، إِذْ أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ، فَيَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ».

وعيسى -عليه السلام- يمكث بعد نزوله أربعين سنة على الصحيح كما سيأتي إن شاء الله، وبعده الريح التي تقبض أرواح المؤمنين، وهو الذي سيكسر الصليب ويُبطل دين النصرانية ولا يقبل إلا الإسلام، فالمناسب في ترتيب الأحداث في الأحاديث أن يكون فتحها في زمان عيسى -عليه السلام-، والله أعلم.

ثم قال: (نَفْيُ الْمَدِينَةِ الشَّرَارِ فَادْرِيَّةٌ).

من أشراط الساعة: نفي المدينة شرارها كما ينفي الكير خبث الحديد.

(١) (١٠٠/٣).

(٢) (٦٦٤٥).

(٣) (٣٣/١) (٤).

(٤) في صحيح مسلم (٢٨٩٧).

أخرج مسلم في صحيحه^(١) عن أبي هريرة - رضي الله عنه-، أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَدْعُو الرَّجُلُ ابْنَ عَمِّهِ وَقَرِيبَهُ: هَلُمَّ إِلَى الرَّخَاءِ، هَلُمَّ إِلَى الرَّخَاءِ، وَالْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا يَخْرُجُ مِنْهُمْ أَحَدٌ رَغْبَةً عَنْهَا إِلَّا أَخْلَفَ اللَّهُ فِيهَا خَيْرًا مِنْهُ، أَلَا إِنَّ الْمَدِينَةَ كَالْكَيْرِ، تُخْرَجُ الْخَبِيثُ، لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَنْفِيَ الْمَدِينَةُ شِرَارَهَا، كَمَا يَنْفِي الْكَيْرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ».

الكير: ما ينفخ به الحداد في النار.

وخبث الحديد: وَسَخُّه الذي تخرجه النار منه. وقد حمل القاضي عياض^(٢) نفي المدينة لخبثها على زمن النبي -صلى الله عليه وسلم-؛ لأنه لم يكن يصبر على الهجرة والمقام في المدينة إلا من كان ثابت الإيمان، وأما المنافقون وجهلة الأعراب ومن آمن بلسانه ولم يؤمن بقلبه فلا يصبرون على شدة المدينة ولأوائها ولا يحتسبون أجرهم في ذلك.

وحمله النووي^(٣) على زمن الدجال، ويؤيد حمله على زمن الدجال أنه جاء في مسند الإمام أحمد^(٤) ما يُبَيِّنُ هذا الحديث وهو قوله -صلى الله عليه وسلم-: «نِعِمَّتِ الْأَرْضُ الْمَدِينَةُ إِذَا خَرَجَ الدَّجَالُ، عَلَى كُلِّ نَقَبٍ مِنْ أَنْقَابِهَا مَلَكٌ، لَا يَدْخُلُهَا -أَي لَا يَدْخُلُهَا الدَّجَالُ- فَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ، رَجَفَتِ الْمَدِينَةُ بِأَهْلِهَا ثَلَاثَ رَجَفَاتٍ، لَا يَبْقَى مُنَافِقٌ، وَلَا مُنَافِقَةٌ إِلَّا خَرَجَ إِلَيْهِ، وَأَكْثَرُ مَنْ يَخْرُجُ إِلَيْهِ النِّسَاءُ، وَذَلِكَ يَوْمُ التَّخْلِيصِ، وَذَلِكَ يَوْمُ تَنْفِي الْمَدِينَةِ الْخَبَثِ، كَمَا يَنْفِي الْكَيْرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ».

فهذا يبين أن نفي المدينة شرارها الذي هو من أشراط الساعة هو الذي سيكون في زمن الدجال.

(١) (١٣٨١).

(٢) في إكمال المعلم (٤/٥٠٠).

(٣) في شرح مسلم (٩/١٥٤).

(٤) (١٤١٢).

وَيُبَيِّنُهُ مَا فِي الصَّحِيحِينَ^(١) مِنْ قَوْلِهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «لَيْسَ مِنْ بَلَدٍ إِلَّا سَيَطُوهُ الدَّجَالُ إِلَّا مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ، لَيْسَ مِنْ نَقَابِهَا نَقَبٌ إِلَّا عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ صَافِّينَ يَحْرُسُونَهَا، ثُمَّ تَرْجُفُ الْمَدِينَةُ بِأَهْلِهَا ثَلَاثَ رَجَفَاتٍ، فَيُخْرِجُ اللَّهُ مِنْهَا كُلَّ كَافِرٍ وَمُنَافِقٍ».

ونفي المدينة خبثها حاصل في كل زمان ومن ذلك ما في صحيح البخاري^(٢) عن جابر -رضي الله عنه- أنه قال: «جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَبَايَعَهُ عَلَى الْإِسْلَامِ، فَجَاءَ مِنَ الْغَدِ مَحْمُومًا فَقَالَ: أَقْلِنِي، فَأَبَى ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَقَالَ: الْمَدِينَةُ كَالْكَبِيرِ تَنْفِي خَبْثَهَا -أي تخرج شرار الناس منها- وَيَنْصَعُ طَيْبُهَا»

النصوع: الخلوص، وشيء ناصع: خالص.

والمعنى: يطيب هواؤها وينظف لمن رغب بالسكنى فيها، لكن الذي هو من أشراط الساعة هو ما يكون في زمن خروج الدجال كما سبق لقوله -صلى الله عليه وسلم-: «**ذلك**» -يعني إذا رجفت المدينة ولم يبق فيها منافق ولا منافقة إلا خرج إلى الدجال- **يَوْمَ تَنْفِي الْمَدِينَةَ الْخَبْثَ، كَمَا يَنْفِي الْكَبِيرُ خَبْثَ الْحَدِيدِ**»^(٣).

ثم قال: **(قَتْلُ الْيَهُودِ آخِرَ الزَّمَانِ)**

من أشراط الساعة: قتال اليهود وقتلهم واستئصالهم.

في صحيح مسلم^(٤) عن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ، فَيَقْتُلُهُمُ الْمُسْلِمُونَ حَتَّى يَخْتَبِئَ الْيَهُودِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ، فَيَقُولُ الْحَجَرُ أَوْ الشَّجَرُ: يَا مُسْلِمُ يَا عَبْدَ اللَّهِ هَذَا يَهُودِيٌّ خَلْفِي، فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ، إِلَّا الْغَرْقَدَ، فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ الْيَهُودِ**».

وهذا نطقٌ حقيقيٌّ، ينطقُ الشجرُ والحجرُ ويُنادي عبادَ الله المسلمين ويدلّهم على اليهود.

(١) أخرجه البخاري (١٨٨١) ومسلم (٢٩٤٣).

(٢) (١٨٨٣).

(٣) سبق تخريجه قريباً.

(٤) (٢٩٢٢).

والقول بأنه مجازٌ عن انكشافِ اليهودِ أمامَ المسلمين، وعدمِ قدرتهم على الدفاع عن أنفسهم خلافَ ظاهر اللفظ، ولو كان مجازاً ما كان لاستثناء الغرق فائدة، فالمتعين هنا الحمل على الحقيقة. وقد أخبر النبي -صلى الله عليه وسلم- أن ذلك سيكون حين يقاتل المسلمون اليهود، ويكون اليهود جند الدجال، ويكون المسلمون جند عيسى عليه السلام. قال الحافظ ابن حجر في الفتح^(١): "المراد بقتال اليهود وقوع ذلك إذا خرج الدجال ونزل عيسى عليه السلام". وقد جاء ذلك صريحاً في أحاديث منها حديث أبي أمامة الباهلي -رضي الله عنه- أنه قال: «**خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَكَانَ أَكْثَرُ خُطْبَتِهِ حَدِيثًا حَدَّثَنَا عَنْ الدَّجَالِ وَحَذَرْنَاهُ**» فذكر خروجه ثم نزولَ عيسى -عليه السلام- لقتله وفيه: «**قال عيسى -عليه السلام-: افْتَحُوا البابَ فَيُفْتَحَ ووراءَهُ الدَّجَالُ معه سبعون ألفَ يهوديّ كلُّهم ذو سيفٍ مُحَلَّى وساجٍ -والسَّاج: الطيلسان- فإذا نظر إليه الدَّجَالُ ذاب كما يذوبُ الملحُ في الماءِ وينطلق هارباً ويقول عيسى -عليه السلام-: إِنَّ لِي فِيكَ ضَرْبَةً لَنْ تَسْبِقَنِي بِهَا فَيَدْرُكُهُ عند بابِ اللَّدِّ الشَّرْقِيِّ فَيَقْتُلُهُ فَيَهْزِمُ اللَّهُ الْيَهُودَ، فلا يبقى شيءٌ مما خلق الله يتوارى به يهوديٌّ إلا أنطق الله ذلك الشيءَ لا حَجَرٌ ولا شَجَرٌ ولا حائطٌ ولا دابةٌ إلا الغرقدة فإنها من شجرهم لا تنطقُ**» أخرجه ابن ماجه^(٢).

قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري^(٣): "أخرجه ابن ماجه مطوَّلاً وأصله عند أبي داود، ونحوه من حديث سمرة عند أحمد بإسناد حسن، وأخرجه ابن منده في كتاب الإيمان من حديث حذيفة بإسناد صحيح".

وهذا لا ينافي أن يكون قبل ذلك قتالٌ بين المسلمين واليهود ينصر الله فيه أهل الإسلام إلا أن استئصال اليهود حتى لا يبقى على الأرض منهم أحد سيكون في القتال مع الدجال.

(١) في فتح الباري (٦/٦١٠).

(٢) (٤٠٧٧).

(٣) (٦/٦١٠).

ثم قال: (خُرُجُ جَهْجَاهٍ كَذَا الْقَحْطَانِي).

من أشراط الساعة: أن يملك رجل يقال له: الجَهْجَاهُ.

أخرج مسلم في صحيحه^(١) عن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: «لَا تَذْهَبُ الْأَيَّامُ وَاللَّيَالِي -أي لا تنقطع الأيام وتأتي القيامة- حَتَّى يَمْلِكَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ: الْجَهْجَاهُ».

وقد قيل في الجَهْجَاه: إنه القحطاني، والصواب أنه غيره؛ لأنه جاء في رواية الإمام أحمد^(٢) والترمذي^(٣): «لَا يَذْهَبُ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ حَتَّى يَمْلِكَ رَجُلٌ مِنَ الْمَوَالِي يُقَالُ لَهُ: جَهْجَاهُ» والقحطاني ليس من الموالى.

وأصل الجَهْجَاهة الصياح، تقول: جَهْجَهْتُ بالسَّبْعِ إذا صحت به.

ومنها: خروج رجل من قحطان يسوق الناس بعصاه.

في الصحيحين^(٤) عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَخْرُجَ رَجُلٌ مِنْ قَحْطَانَ، يَسُوقُ النَّاسَ بِعَصَاهُ».

وقوله: (يَسُوقُ النَّاسَ بِعَصَاهُ)

قيل: هو كناية عن خشونته وعنفه وظلمه، فهو يسوق الناس بعصاه كما تُساق الإبل والماشية؛ لشدة عنفه وعدوانه.

وقيل: بل هو كناية عن استقامة الناس وانقيادهم له واتفاقهم عليه، والعصا ضُربَ بها المثل لطاعتهم له، ولا يمنع من ذلك أن يكون شديدًا على العصاة، فهو رجل صالح يحكم بالعدل.

(١) (٢٩١١).

(٢) (٨٣٦٤) وصح إسناده محققه.

(٣) (٢٢٢٨).

(٤) أخرجه البخاري (٧١١٧)، ومسلم (٢٩١٠).

وَيُؤَيِّدُ ذَلِكَ مَا أَخْرَجَهُ نُعَيْمُ بْنُ حَمَادٍ فِي كِتَابِ الْفِتَنِ ^(١) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- أَنَّهُ ذَكَرَ الْخُلَفَاءُ ثُمَّ قَالَ: «وَرَجُلٌ مِّنْ قَحْطَانٍ لَا يَرَى مِثْلَهُمْ كُلَّهُمْ صَالِحٌ» وَجَوَّدَ إِسْنَادَهُ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ فِي فَتْحِ الْبَارِيِّ ^(٢).

وَلَمْ يَرِدْ فِي الْأَحَادِيثِ مَا يُقَطَّعُ مَعَهُ بِزَمَانٍ خُرُوجِهِ.

ثُمَّ قَالَ: (رَفَعَ الْقُرْآنَ)

من أشراط الساعة: رفع القرآن العظيم من المصاحف والصدور، فلا يبقى منه آية، ثبت عند ابن ماجه ^(٣) عن حذيفة -رضي الله عنه- أنه قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «يَدْرُسُ الْإِسْلَامُ كَمَا يَدْرُسُ وَشْيُ الثَّوْبِ -يُقَالُ: دَرَسَ الرَّسْمُ إِذَا عَفَا وَانْمَحَى- حَتَّى لَا يُدْرَى مَا صِيَامٌ، وَلَا صَلَاةٌ، وَلَا نُسُكٌ، وَلَا صَدَقَةٌ، وَلَيْسَرَى عَلَى كِتَابِ اللَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ- فِي لَيْلَةٍ، فَلَا يَبْقَى فِي الْأَرْضِ مِنْهُ آيَةٌ» الْحَدِيثُ.

وَرَوَى عَبْدِ الرَّزَّاقِ ^(٤) وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ ^(٥) وَالْحَاكِمُ ^(٦) عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: «إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ الَّذِي بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ يُوشِكُ أَنْ يُرْفَعَ قَالُوا: وَكَيْفَ يُرْفَعُ وَقَدْ أَثْبَتَهُ اللَّهُ فِي قُلُوبِنَا وَأَثْبَتْنَاهُ فِي مَصَاحِفِنَا؟ قَالَ: يُسْرَى عَلَيْهِ لَيْلَةً فَيَذْهَبُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَمَا فِي مَصَاحِفِكُمْ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَلَيْنَ شِئْنَا لَنَرْجِعَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ [الإسراء: ٨٦] «.

ثُمَّ قَالَ: (تَرَكَ حَجَّ)

من أشراط الساعة: ترك حج بيت الله.

(١) (٢٦٤) و (١٢٠٤).

(٢) (٥٣٥/٦).

(٣) (٤٠٤٩).

(٤) (٥٩٨١).

(٥) (٣٠١٩٣).

(٦) (٨٥٣٨).

□ روى ابن حبان^(١) والحاكم^(٢) عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى لَا يُحَجَّ الْبَيْتُ**».

□ وفي صحيح البخاري^(٣) عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: «**لِيُحَجَّ الْبَيْتُ وَلِيُعْتَمَرَ بَعْدَ خُرُوجِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ**».

□ وفي صحيح مسلم^(٤) عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَيَمْلَأَنَّ ابْنُ مَرْيَمَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - بَفَجِّ الرُّوحَاءِ حَاجًّا أَوْ مُعْتَمِرًا أَوْ لَيْثْنَيْنِهِمَا**»، أي ليقرنن بينهما. وهذا بعد نزول عيسى - عليه السلام - من السماء في آخر الزمان، فالكعبة سيحجها الناس ويعتَمرون بها بعد خروج يأجوج ومأجوج وهلاكهم وطمانينة الناس وكثرة أرزاقهم في زمن عيسى - عليه السلام -، ثم بعد وفاته يبعث الله ريحاً طيبة يقبض بها روح كل مؤمن ومؤمنة، ثم بعد ذلك يكون خراب الكعبة على يد ذي السويقتين ويترك الحج.

أشار إلى هذا ابن كثير - رحمه الله - في البداية والنهاية^(٥).

ثم قال: (**خَسَفَ إِنْ ظَهَرَ الْقِيَانُ مَسَخٌ قَذْفٌ**)

من أشراط الساعة: ظهور الخسف والمسخ والقذف أخرج الترمذي^(٦) في جامعه عن عائشة - رضي الله عنها - أنها قالت: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «**يَكُونُ فِي آخِرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ خَسَفٌ وَمَسَخٌ وَقَذْفٌ**، قالت: قلت: يا رسول الله أَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟ قال: نعم إذا ظَهَرَ الْخَبَثُ».

(١) (٦٧٥٠).

(٢) (٨٣٩٧) وهو في السلسلة الصحيحة (٢٤٣٠) (٥٥٦/٥).

(٣) (١٥٩٣).

(٤) (١٢٥٢).

(٥) (٢٤٢/١٩).

(٦) (٢١٨٥).

وعند ابن ماجه^(١) عن ابن مسعود -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: «**بين يدي الساعة مَسْخٌ وَخَسْفٌ وَقَذْفٌ**» وكلاهما في السلسلة الصحيحة^(٢).

وعند الترمذي^(٣) وهو في صحيح الترغيب^(٤) عن عمران بن حصين -رضي الله عنهما- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «**في هذه الأمة خَسْفٌ وَمَسْخٌ وَقَذْفٌ، فقال رجلٌ من المسلمين: يا رسول الله ومتى ذلك؟ قال: إذا ظهرت القينات والمعازف وشربت الخمر**»^(٥). والقينات والقِيَان: جمع قينة، والقينة: المغنية. **الخسف**: هو الذهاب في الأرض بأن تنشق الأرض وتبتلع من عليها، يُقال: خَسَفَ اللهُ به الأرض إذا غاب به فيها.

والمسخ: تحويل الصورة إلى صورة قبيحة بأن تُحوَّل صورة الإنسان إلى صورة قردٍ أو حمارٍ أو خنزير، ويشمل أيضًا مسخ الباطن بأن يُمَحَى من قلبه الخير فلا يعرف معروفًا ولا ينكر منكرًا.

والقذف: الرمي بالحجارة من السماء.

وبكل هذه العقوبات قد عاقب الله أممًا سابقة وقال -تعالى-: ﴿وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ **بَبَعِيدٍ**﴾ [هود: ٨٣]. وهذه العقوبات قد جعلها الله نذيرًا بين يدي عذاب شديد، وتخويفًا للعباد، وعقوبة لأهل الفساد؛ كي يعتبر الناس، ويرجعوا إلى ربهم، ويعلموا أن الساعة قد أزفت، فيستعدوا لها ويبادروا بالعمل الصالح.

ثم قال:

(نَقُضُ عُرَى الْإِسْلَامِ حَتَّى لَا يُرَى مَنْ يَعْرِفُ اسْمَ اللَّهِ مِنْ بَيْنِ الْوَرَى)

(١) (٤٠٥٩).

(٢) (١٧٨٧) (٣٩٢/٤).

(٣) (٢٢١٢).

(٤) (٦٠٥/٢).

ثبت في مسند الإمام أحمد^(١) عن أبي أمامة الباهلي -رضي الله عنه- عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: «لَتُنْقَضَنَّ عُرَى الْإِسْلَامِ عُرْوَةً عُرْوَةً، فَكُلَّمَا انْتَقَضَتْ عُرْوَةٌ تَشَبَّثَ النَّاسُ بِالَّتِي تَلِيهَا، وَأُولَئِنَّ نَقْضًا الْحَكْمُ، وَآخِرُهُنَّ الصَّلَاةُ».

والمعنى: أن الناس لا يتركون الإسلام دفعة واحدة، ولكن يتركونه بالتدريج بأن يتركوا بعض أعماله، ثم بعضًا آخر إلى ألا يبقى منه شيء.

وبمعناه ما عند الإمام أحمد^(٢) عن فيروز الديلمي -رضي الله عنه- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «لَيُنْقَضَنَّ الْإِسْلَامُ عُرْوَةً عُرْوَةً كَمَا يُنْقَضُ الْحَبْلُ قُوَّةً قُوَّةً».

والقوة: الطاقة من طاقات الحبل.

وفي كتاب العقوبات^(٣) لابن أبي الدنيا عن ابن عمر -رضي الله عنهما- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيَنْتَقِضَنَّ عُرَى الْإِسْلَامِ عُرْوَةً عُرْوَةً حَتَّى لَا يُقَالَ: اللَّهُ اللَّهُ»، ويشهد له ما قبله.

ثم قال:

(وَيُخْرَبُ الْكَعْبَةُ دُونَ مَيْنِ الْحَبَشِيِّ ذُو السُّوَيْقَتَيْنِ
يَسْلُبُهَا حَلِيَّتُهَا الْأَصِيلُ الْأَفْحَجُ الْأَسْوَدُ وَالْأَفِيدُ)

من أشراط الساعة: خراب الكعبة على يد ذي السُّوَيْقَتَيْنِ من الحبشة.

قد جعل الله الكعبة قيامًا للناس تقوم بها مصالحهم الدينية من صلاة وحج وعمرة، ومصلحتهم الدنيوية بالأمن في الحرم، وجعلها مثابة للناس أي مرجعًا لهم تتعلق بها قلوبهم كلما رحلوا عنها رجعوا إليها، وجعلها أمانًا لا يُعتدى عليهم فيها، وستبقى كذلك حتى ينزل عيسى -عليه السلام-، وسيُحجُّ البيت ويُعتمَرُ بعد خروج يأجوج ومأجوج، وسيظل البيت قائمًا وعامرًا حتى يأذن الله في آخر الزمان بذهاب أهل الإيمان من الأرض، فتظهر الحبشة

(١) (٢٢١٦٠) وهو في صحيح الجامع الصغير (٥٠٧٥) (٩٠٥/٢).

(٢) (١٨٠٣٩) وحسنه محققوه.

(٣) (٣٤).

حينئذ على بيت الله الحرام الكعبة، وينقضونها حَجَرًا حَجَرًا، ويستخرجون كنزها، ولا عمران لها بعد هذا الخراب أبدًا، وخرابها إيدانٌ بخراب الدنيا وقيام الساعة.

في الصحيحين^(١) عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أنه قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: **«يُخَرَّبُ الْكَعْبَةُ ذُو السُّوَيْقَتَيْنِ مِنَ الْحَبَشَةِ»**.

والسويقتان: ثنية سويقة، والسويقة تصغير ساق أي ذو الساقين الدقيقتين.

وعند البخاري^(٢) عن ابن عباس -رضي الله عنهما- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: **«كَأَنِّي بِهِ -أَي كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ- أَسْوَدَ أَفْحَجٍ، يَقْلَعُهَا حَجَرًا حَجَرًا»**.

أفحج: من الفَحَج وهو تباعد ما بين الساقين، ويطلق على تداني صدور القدمين وتباعد العقبين.

وعند الإمام أحمد^(٣) وصححه إسناده أحمد شاكر^(٤) عن ابن عمر -رضي الله عنهما- أنه قال: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: **«يُخَرَّبُ الْكَعْبَةُ ذُو السُّوَيْقَتَيْنِ مِنَ الْحَبَشَةِ، وَيَسْلُبُهَا حَلِيَّتَهَا، وَيُجَرِّدُهَا مِنْ كِسْوَتِهَا، وَلكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ أُصِيلَعُ -تصغير أصلع وهو الذي انحسر الشعر عن رأسه- أَفِيدَعُ -تصغير أفدع، والفَدَع بالتحريك زوال المفصل عن مكانه- يَضْرِبُ عَلَيْهَا بِمِسْحَاتِهِ وَمِعْوَلِهِ»**.

وعند الإمام أحمد في مسنده^(٥) وصححه إسناده محققوه عن أبي قتادة -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: **«يُبَايِعُ لِرَجُلٍ بَيْنَ الرُّكْنِ وَالْمَقَامِ، وَلَنْ يَسْتَحِلَّ الْبَيْتَ إِلَّا أَهْلُهُ، فَإِذَا اسْتَحَلُّوه فَلَا تَسْأَلُ عَنْ هَلَكَةِ الْعَرَبِ، ثُمَّ تَأْتِي الْحَبَشَةُ فَيُخَرَّبُونَهُ خَرَابًا لَا يَعْمُرُ بَعْدَهُ أَبَدًا، وَهُمْ الَّذِينَ يَسْتَخْرِجُونَ كَنْزَهُ»**.

(١) أخرجه البخاري (١٥٩١) ومسلم (٢٩٠٩).

(٢) (١٥٩٥).

(٣) (٧٠٥٣).

(٤) في تحقيقه للمسنَد (٤٧٥/٦).

(٥) (٨١١٤).

ثم قال:

(وَبَعَثُ رِيحَ يَمَنِ وَشَامٍ تَقْبِضُ مَنْ كَانَ عَلَى الْإِسْلَامِ)

من أشراط الساعة: بعث ريح طيبة لينة باردة تقبض أرواح المؤمنين، ويكون ذلك بعد زمن الدجال وعيسى ابن مريم -عليه السلام- ويأجوج ومأجوج، بل تكون بعد الدابة وبعد طلوع الشمس من مغربها فلا يبقى في الأرض إلا شرار الخلق وعليهم تقوم الساعة.

في صحيح مسلم^(١) عن النواس بن سمعان -رضي الله عنهما- في قصة الدجال ونزول عيسى -عليه السلام- وخروج يأجوج ومأجوج قال بعد ذلك: «إِذْ بَعَثَ اللَّهُ رِيحًا طَيِّبَةً، فَتَأْخُذُهُمْ تَحْتَ آبَائِهِمْ، فَتَقْبِضُ رُوحَ كُلِّ مُؤْمِنٍ وَكُلِّ مُسْلِمٍ، وَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ، يَتَهَارَجُونَ فِيهَا تَهَارِجَ الْحُمْرِ، فَعَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ».

وفي صحيح مسلم^(٢) عن عبد الله بن عمرو -رضي الله عنهما- بعد ذكر الدجال وعيسى -عليه السلام- «ثُمَّ يَمْكُثُ النَّاسُ سَبْعَ سِنِينَ، لَيْسَ بَيْنَ اثْنَيْنِ عَدَاوَةٌ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ رِيحًا بَارِدَةً مِنْ قِبَلِ الشَّامِ، فَلَا يَبْقَى عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ أَحَدٌ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ أَوْ إِيْمَانٍ إِلَّا قَبِضَتْهُ، حَتَّى لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ دَخَلَ فِي كَبِدِ جَبَلٍ لَدَخَلَتْهُ عَلَيْهِ حَتَّى تَقْبِضَهُ».

وفي حديث عبد الله بن عمرو هذا أنها من قِبَلِ الشَّامِ.

وفي حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ رِيحًا مِنَ الْيَمَنِ أَلْيَنَ مِنَ الْحَرِيرِ، فَلَا تَدْعُ أَحَدًا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ إِيْمَانٍ إِلَّا قَبِضَتْهُ»^(٣).

وكلاهما في صحيح مسلم قال النووي في شرحه^(٤): "ويُجاب عن هذا بوجهين:

﴿أحدهما: يُحْتَمَلُ أَنَّهُمَا رِيحَانِ شَامِيَّةٌ وَيَمَانِيَّةٌ.

(١) (٢٩٣٧).

(٢) (٢٩٤٠).

(٣) أخرجه مسلم (١١٧).

(٤) (١٣٣/٢).

﴿وَيُحْتَمَلُ أَنْ مَبْدَأُهَا مِنْ أَحَدِ الْإِقْلِيمَيْنِ ثُمَّ تَصِلُ الْآخِرَ وَتَنْتَشِرُ عِنْدَهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ﴾.

وليس بين هذه الريح وقيام الساعة إلا اليسير.

ولا يعارض هذا ما في صحيح مسلم^(١) من قوله -صلى الله عليه وسلم-: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»

وفي صحيح مسلم أيضا^(٢): «ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ».

فإن (أمر الله) هنا المراد به هذه الريح فهم لا يزالون على الحق حتى تقبضهم هذه الريح قرب قيام الساعة.

المتن:

هَذَا وَمِنْ أَشْرَاطِهَا الْمَهْدِيُّ	فِي لَيْلَةٍ يُصْلِحُهُ الْعَلِيُّ
وَهُوَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ	مِنْ نَسْلِ سَيِّدِ الْوَرَى الْأَوَّاهِ
فَيَمْلَأُ الْأَرْضَ جَمِيعًا عَدْلًا	سَبْعَ سِنِينَ. وَهُوَ أَقْنَى أَجَلِي
يُقَسِّمُ الْمَالَ بِغَيْرِ عَدَدٍ	فَيَنْعَمُ النَّاسُ بِعَيْشٍ رَغَدٍ
وَقَدْ تَوَاتَرَتْ بِهِ الْأَخْبَارُ	وَأَمَنْتُ بِأَمْرِهِ الْأَخْيَارُ

(١) (١٥٦).

(٢) (١٩٢٠).

من أشراط الساعة: ظهور المهدي وهو محمد بن عبد الله، من آل بيت النبي -صلى الله عليه وسلم- وذريته، اسمه كاسم النبي -صلى الله عليه وسلم-، واسم أبيه كاسم أبي النبي -صلى الله عليه وسلم-، وهو من ذرية فاطمة بنت النبي -صلى الله عليه وسلم- ورَضِيَ الله عنها- من ولد الحسن بن عليّ -رضي الله عنهما-، وهو أجلى الجهة، أقنى الأنف.

يُخرج آخر الزمان على اختلاف من الناس، وقد مُلئت الأرض ظلمًا وجورًا، فيُصلحه الله، ويؤيد به الدين، ويملاً الأرض قسطًا وعدلاً، وتنعم الأمة في عهده نعمة لم تنعمها قط، تُخرج الأرض نباتها، وتمطر السماء قطرها، ويُعطي المال بغير عدد، ويُقيم خلافة راشدة، ويُقاتل الأعداء، ويخرج الدجال في زمانه، وينزل عيسى ابن مريم -عليه السلام- فيصلي وراء المهدي، يملك المهدي سبع سنين، وقد تواترت به الأخبار، وآمن به الأخيار إلا من شذ.

وبخروجه تبدأ الأمور العظام، وتتابع الأشرار.

قال:

(هذا ومن أشراطها المهدي في ليلة يُصلحه العلي)

أخرج أحمد^(١) وابن ماجه^(٢) وصحح إسناده أحمد شاكر^(٣) وهو في السلسلة الصحيحة^(٤) عن علي -رضي الله عنه- أنه قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: **«المهدي منّا أهل البيت يُصلحه الله في ليلة»**.

قيل: المعنى يتوب عليه ويوفقه ويُلهمه رشده بعد أن لم يكن كذلك، قاله ابن كثير^(٥)، فالعنى أنه يكون متلبسًا ببعض النقائص فيصلحه الله ويتوب عليه.

وقيل: المعنى يصلحه للخلافة وتولي قيادة المسلمين وتهيؤه لذلك.

(١). (٦٤٥).

(٢). (٤٠٨٥).

(٣). في تحقيقه للمسند (٤٤٤/١).

(٤). (٢٣٧١) (٤٨٦/٥).

(٥). (٦٢/١٩).

ثم قال:

(وَهُوَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ مِنْ نَسْلِ سَيِّدِ الْوَرَى الْأَوَاهِ)

أخرج أبو داود^(١) وصححه ابن تيمية في منهاج السُّنَّة^(٢) وهو في السلسلة الصحيحة^(٣) عن ابن مسعود -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: «لَوْلَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا يَوْمٌ، لَطَوَّلَ اللَّهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ حَتَّى يَبْعَثَ فِيهِ رَجُلًا مِنِّي أَوْ قَالَ: مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، يَواطِئُ اسْمُهُ اسْمِي، واسمُ أبيه اسمَ أبي». وأخرج أبو داود^(٤) وابن ماجه^(٥) وهو في صحيح الجامع الصغير^(٦) عن أم سلمة -رضي الله عنها- أنها قالت: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: «المَهْدِيُّ مِنْ عِثْرَتِي مِنْ وَلَدِ فَاطِمَةَ».

وعترة الرجل: نسله ورهطه الأذنون، وهم أهل بيته -صلى الله عليه وسلم-.

قال ابن كثير في المهدي^(٧): "هو محمد بن عبد الله العلوي الفاطمي الحسني".

هذا قوله:

(وَهُوَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ مِنْ نَسْلِ سَيِّدِ الْوَرَى الْأَوَاهِ)

الأواه: كثير التضرع إلى الله تعالى.

ثم قال:

(فَيَمْلَأُ الْأَرْضَ جَمِيعًا عَدْلًا سَبْعَ سِنِينَ. وَهُوَ أَقْنَى أَجْلَى)

(١) (٤٢٨٢).

(٢) (٢٥٤/٨).

(٣) (٤١/٤).

(٤) (٤٢٨٤).

(٥) (٤٠٨٦).

(٦) (٦٧٣٤) (١١٤٠/٢).

(٧) في البداية والنهاية (٦٢/١٩).

يُقَسِّمُ الْمَالَ بِغَيْرِ عَدَدٍ فَيَنْعَمُ النَّاسُ بِعَيْشٍ رَغَدٍ

أخرج أبو داود^(١) وجَوَّدَ إسناده ابن القيم في المنار المنيف^(٢)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير^(٣) عن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- أنه قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**الْمَهْدِيُّ مَنِّي؛ أَجْلَى الْجَبْهَةِ، أَقْنَى الْأَنْفِ، يَمْلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا كَمَا مِلْنَتْ جَوْرًا وَظُلْمًا، يَمْلِكُ سَبْعَ سِنِينَ**».

أجلى الجبهة أي انحسر الشعر عن مقدم رأسه.

أقنى الأنف قنا الأنف طولها ورقعة أرنبته مع حدب في وسطها.

وعن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- عند الحاكم^(٤) وهو في السلسلة الصحيحة^(٥) أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «**يَخْرُجُ فِي آخِرِ أُمَّتِي الْمَهْدِيُّ يَسْقِيهِ اللَّهُ الْغَيْثَ، وَتُخْرَجُ الْأَرْضُ نَبَاتَهَا، وَيُعْطَى الْمَالُ صَحَاحًا** -الصَّحَّاحُ بفتح الصاد: بمعنى الصحيح، والمعنى أنه يقسم المال بالسوية بين الناس- **وَتَكْثُرُ الْمَاشِيَةُ، وَتَعْظُمُ الْأُمَّةُ، يَعِيشُ سَبْعًا أَوْ ثَمَانِيًا**» يعني حججًا.

وفي بعض الروايات^(٦): «**يَمْلِكُ سَبْعَ سِنِينَ أَوْ ثَمَانَ سِنِينَ أَوْ تِسْعَ سِنِينَ**».

وللعلماء في مدة خلافته وملكه قولان؛ لاختلاف هذه الروايات.

قيل: المدة على التقريب يملك ما بين سبع سنين وتسع سنين، وقد سَلَكَ مَنْ قَالَ بِهَذَا مَسْلَكَ الْجَمْعِ.

(١) (٤٢٨٥).

(٢) ص ١٤٤.

(٣) (٦٧٣٦).

(٤) (٨٦٧٣).

(٥) (٧١١) (٣٢٨/٢).

(٦) (١١٣٢٦) وضعف إسناده محققوه.

وقيل: بل يملك سبع سنين، وقد سَلَكَ من قال بهذا مَسْلَكَ الترجيح، فرجح رواية الجزم بأنها سبع سنين، ويؤيده أنها أصح الروايات وأكثرها، ثم إن رواية الجازم مقدمة على رواية الشاك، فيكون القول بأنه يملك سبع سنين هو المعتمد.

وقد دلت هذه الأحاديث على أن الأمة في زمن المهدي تَعْظُمُ، وتمتلئ الأرض قسطاً وعدلاً، ويكثر الخير، فيُعْطَى المالُ بغير عدد، وَيَنْعَمُ الناس بالعيش الهنيء الواسع.

وفي صحيح مسلم^(١) عن جابر -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: «يَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ خَلِيفَةٌ يَقْسِمُ الْمَالَ وَلَا يَعْدُهُ».

في رواية له^(٢): «يَكُونُ فِي آخِرِ أُمَّتِي خَلِيفَةٌ يَحْثِي الْمَالَ حَثِيًّا، لَا يَعْدُهُ عَدَدًا».

وليس فيه ذكر المهدي، لكن لا مَحْمَلُ له إلا المهدي كما دلت على ذلك الأحاديث المتقدمة.

وفي الصحيحين^(٣) عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا نَزَلَ ابْنُ مَرْيَمَ فِيكُمْ، وَإِمَامُكُمْ مِنْكُمْ».

وفي صحيح مسلم^(٤) عن جابر -رضي الله عنه- أنه قال: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، قَالَ: فَيَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ -عليه السلام-، فيَقُولُ أَمِيرُهُمْ: تَعَالَى صَلِّ لَنَا، فيَقُولُ: لَا، إِنَّ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ أُمَرَاءُ تَكْرِمَةَ اللَّهِ هَذِهِ الْأُمَّةَ».

وهذا يدل على أنهم عند نزول عيسى -عليه السلام- يكون المتولي لأمر المسلمين رجلاً منهم ويدل على أنه رجل صالح؛ لأنه يحضر للصلاة ويصلي بهم ويطلب من عيسى -عليه السلام- أن يتقدم ويصلي لهم وهذه صفات رجل صالح يؤم المسلمين في ذلك الوقت.

(١) (٢٩١٤).

(٢) (٢٩١٣).

(٣) أخرجه البخاري (٣٤٤٩) ومسلم (١٥٥).

(٤) (١٥٦).

وقد جاءت الأحاديث في السنن والمسانيد وغيرها مفسرة لهذه الأحاديث التي في الصحيحين، ودالة على أن ذلك الرجل الصالح هو المهدي. والسنة يفسر بعضها بعضاً.

وعن جابر -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أنه قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «يَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ، فيَقُولُ أَمِيرُهُمُ الْمَهْدِيُّ: تَعَالَى صَلِّ بِنَا» وفيه التصريح بأن أميرهم يؤمّن المهدي.

أخرجه الحارث بن أبي أسامة في مسنده وجوّد إسناده ابن القيم في المنار المنيف^(١) وهو في السلسلة الصحيحة^(٢).

وسيتحقق في ذلك الزمان ما أخبر به النبي -صلى الله عليه وسلم- من أن آخر أمر هذه الأمة يكون خلافة على منهاج النبوة وهي الخلافة الكاملة العادلة.

أخرج أحمد في مسنده^(٣) وهو في السلسلة الصحيحة^(٤) عن حذيفة -رضي الله عنه- أنه قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «تَكُونُ النَّبُوءَةُ فِيكُمْ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا» وهذا الذي حصل، فقد رفعها الله بموت النبي صلى الله عليه وسلم.

قال: «ثُمَّ تَكُونُ خِلاَفَةٌ عَلَى مَنَاجِ النَّبُوءَةِ، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَرْفَعَهَا» وهذا عصر الخلافة الراشدة، فقد ساروا على نهج النبي -صلى الله عليه وسلم- وسيرته، وهي ثلاثون سنة بعد النبي صلى الله عليه وسلم.

قال: «ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا عَاضًا» أي يصيب الرعية فيه عسف وظلم كأنهم يُعَضُّونَ فيه عضاً.

(١) ص ١٤٨ قال ابن القيم بعد أن ساق إسناده ومثته عند الحارث بن أبي أسامة: إسناده جيد.

(٢) (٢٢٣٦) (٢٧٦/٥).

(٣) (١٨٤٠٦).

(٤) (٥) (٣٤/١).

قال: «فَيَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا» وقد وقع ذلك بعد الخلافة الراشدة، كما وقع في زمن الحجاج مثلاً من المظالم والعسف، مع مراعاة عامتهم أحكام الشرع في الجملة.

قال: «ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا جَبْرِيَّةً» أي يزداد الظلم فتكون ولاية جبرية فيها عُتُوٌّ وقهر وتَجَبُّرٌ، وهذه المراحل من حيث الجملة، وإلا فقد تتخللها أوقات يتولى فيها أهل العدل والرحمة كحال معاوية -رضي الله عنه- فإنه كان مَلِكًا؛ إلا أنه كان ذا رحمة وعلم وتقوى وعدل، وكحال عمر بن عبدالعزيز، وهكذا بين فترة وأخرى يُنْفِصُ الله على الناس فيرزقهم أن يتولى عليهم من يحبهم ويحبونه، ويدعو لهم ويدعون له كما قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «خِيَارُ أَيْمَتِكُمُ الَّذِينَ تُحِبُّونَهُمْ وَيُحِبُّونَكُمْ، وَيُصَلُّونَ عَلَيْكُمْ وَتُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ»^(١).

وقد حمل الحسن البصري قوله -صلى الله عليه وسلم-: «لَا يَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ إِلَّا الَّذِي بَعْدَهُ شَرٌّ مِنْهُ»^(٢) على الأكثر والأغلب، فقد سئل عن وجود عمر بن عبدالعزيز بعد الْحَجَّاج؟ فقال: لا بد للناس من تنفيس^(٣).

ثم بعد هذا الابتعاد عن نهج النبوة يختم الله لهذه الأمة بالخير والرحمة، ويردها إلى النهج الصحيح كما قال -صلى الله عليه وسلم- في الحديث: «ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا جَبْرِيَّةً فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةً عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ».

ويتحقق ذلك في آخر الزمان في خلافة المهدي وعيسى -عليه السلام-، فالمهدي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، وخلافته تكون بالشام، ويكون آخر خليفة قرشي، ثم يكون الأمر لعيسى -عليه السلام-، وتُسَلَّبُ قُرَيْشٌ مُلْكُهَا كما أخبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(٤).

وبنزول عيسى -عليه السلام- وصلاته خلف المهدي ينقطع ذكر المهدي في الأحاديث.

(١) أخرجه مسلم (١٨٥٥).

(٢) أخرجه البخاري (٧٠٦٨).

(٣) انظر: فتح الباري (٢١/١٣).

(٤) أخرجه ابن ماجه (٤٠٧٧) من حديث أبي أمامة الباهلي وهو في صحيح الجامع الصغير (١٣٠٢/٢) وانظر قصة المسيح الدجال للألباني ص ١١٥.

قال:

(وَقَدْ تَوَاتَرَتْ بِهِ الْأَخْبَارُ وَأَمَنْتُ بِأَمْرِهِ الْأَخْيَارُ)

الأخبار عن النبي -صلى الله عليه وسلم- في المهدي، قد نص جمعٌ من أهل العلم على أنها متواترة تواتراً معنوياً يفيد العلم القطعي بخروج المهدي في آخر الزمان.

قال الحافظ أبو الحسين الأتري (نسبة إلى أبر وهي قرية من قرى سجستان): "قد تواترت الأخبار واستفاضت عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بذكر المهدي، وأنه من أهل بيته، وأنه يملك سبع سنين، وأنه يملأ الأرض عدلاً، وأن عيسى -عليه السلام- يخرج فيساعده على قتل الدجال، وأنه يؤم هذه الأمة، ويصلي عيسى خلفه"^(١).

قال البرزنجي في كتابه الإشاعة لأشراط الساعة^(٢): "واعلم أن الأحاديث الواردة فيه على اختلاف رواياتها لا تكاد تنحصر"، وقال^(٣): "إنها بلغت حد التواتر المعنوي".

وقال السفاريني في لوامع الأنوار البهية^(٤): "وقد كثرت بخروجه الروايات، حتى بلغت حد التواتر المعنوي، وشاع ذلك بين علماء السُّنَّة؛ حتى عُدَّ من معتقداتهم" وأطال في تقرير ذلك.

وذكر الشوكاني في كتابه التوضيح في تواتر ما جاء في المهدي والدجال والمسيح^(٥) أن الأحاديث الواردة في المهدي التي أمكن الوقوف عليها منها خمسون حديثاً فيها الصحيح والحسن والضعيف وقال: "وهي متواترة بلا شك ولا شبهة بل يصدق وصف التواتر على ما هو دونها في جميع الاصطلاحات المحررة في الأصول، وأما الآثار عن الصحابة المصراحة بالمهدي فهي كثيرة أيضاً، لها حكم الرفع إذ لا مجال للاجتهاد في مثل ذلك".

(١) نقل هذا القول جمع من الأئمة منهم القرطبي في التذكرة ص ١٢٠٥، والمزري في تهذيب الكمال في أسماء الرجال (١٤٩/٢٥)، وابن القيم في المنار المنيف ص ١٤٢.

(٢) ص ١٧٥.

(٣) ص ٢١٥.

(٤) (٨٤/٢).

(٥) نقله عنه صديق حسن خان في كتابه الإذاعة ص ١١٣ والكتاني في نظم المتناثر ص ٢٢٧.

وقال مثل ذلك العلامة صديق حسن خان في كتابه الإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة^(١)، والكتاني في نظم المتناثر من الحديث المتواتر^(٢).

وقد ذكر بعض الذين حكوا تواتر أحاديث المهدي ونقل كلامهم في ذلك الشيخ عبدالمحسن العباد -حفظه الله- في كتابه في عقيدة أهل السنة والأثر في المهدي، وسقى الصحابة الذين رَووا أحاديث المهدي عن النبي -صلى الله عليه وسلم-، وسقى الأئمة الذين خَرَّجُوا الأحاديث والآثار الواردة في المهدي في كتبهم، وسقى جماعة ممن أفرد هذا الشرط من أشراط الساعة بالتأليف.

ولعلك لن تجد شرطاً من أشراط الساعة أُفردَ بالتأليف كهذا الشرط، ولعل من أهم أسباب كثرة التأليف فيه ثلاثة أسباب:

➡ **الأول:** اعتقاد الرافضة الباطل في مهديهم المزعوم.

➡ **والثاني:** ظهور بعض المشككين في أحاديث المهدي أو المنكرين لظهوره.

➡ **والثالث:** كثرة من ادعى المهديّة لنفسه على مر التاريخ، وما جَرُّوا على المسلمين من الويلات والفتن بسبب الجهل وقلة الفقه، ومحاولة افتعال واقع يمكن أن يُنزَّلوا النصوص عليه، والتسريع في تنزيل النصوص دون الرجوع لأهل العلم.

وقد ادَّعِيَت المهديّة لأناس وادَّعاها أناس لأنفسهم.

فممن ادَّعِيَت له: **علي بن أبي طالب -رضي الله عنه-** ادَّعاها له عبدُالله بن سبأ اليهوديُّ الذي ادَّعى الإسلام، وزعم أن علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- لم يُقتل، وأنه لن يموت حتى ينزل من السماء ويملك الأرض؛ فيملأها عدلاً كما ملئت جوراً.

ولما قيل للحسن بن علي بن أبي طالب -رضي الله عنهما-: إن الشيعة يزعمون أن علياً مبعوث قبل يوم القيامة قال: "كذبوا والله ما هؤلاء بشيعته، لو علمنا أنه مبعوث ما زَوَّجْنَا نساءه ولا اقتسمنا ماله".

(١) ص ١١٢.

(٢) ص ٢٢٧.

وممن ادَّعِيَتْ له: **محمد ابن الحنفية** وهو ابنُ علي بن أبي طالب، قيل له: ابن الحنفية نسبة لأمه؛ لأنها كانت من بني حنيفة، ادعى المختار بن أبي عبيد الثقفي أن محمد ابن الحنفية هو المهدي، وتابعه على ذلك كثير من الشيعة

وسُموا الكيسانية، ولما وقف محمد ابن الحنفية على ما قاله المختار تبرأ منه.

وكانت وفاة محمد ابن الحنفية سنة إحدى وثمانين.

وممن ادَّعِيَتْ له: **المهدي بن المنصور** أحد خلفاء بني العباس، وكان جوادًا محببًا إلى الناس سمحَ الخلق، زعم قومٌ أنه المهدي، واحتجوا بحديث الرايات السود، وحديث الرايات السود لا يصح^(١)، ولو صح فليس دليلًا على أنه المهدي الذي يخرج في آخر الزمان.

وكانت وفاته سنة تسع وستين ومئة.

وأما الذين ادَّعَوْها لأنفسهم فكثُرَ منهم **محمد بن عبدالله بن الحسن بن علي بن أبي طالب** من سادات بني هاشم، كان مشهورًا بالعلم والزهد حتى لُقِّبَ بالنفس الزكية، وقد سمَّاه أهل بيته بالمهدي، ولما بُويع أبو جعفر المنصور تخلف هو وأخوه إبراهيم عن الوفود عليه، فطلبهما أبو جعفر جميعًا فاخترفا، فحبس أباه وبعض أقاربه حتى ماتوا، فلما ضاق محمدٌ ذرعًا بالاختفاء ظهر واستولى على المدينة، وجرت بينهم وبين أبي جعفر حروب حتى قُتل محمد بن عبدالله.

قال ابن كثير^(٢): "تلقب بالمهدي طمعًا أن يكون هو المذكور في الأحاديث، فلم يكن به، ولا تم له ما رجاه، ولا ما تمناه، فإنا لله". وقد قُتل سنة خمس وأربعين ومئة.

وممن ادعى المهديّة **عبيدالله بن ميمون القداح**، كان جده يهوديًا من بيت مجوسي، انتسب زورًا وكذبًا إلى فاطمة بنت النبي -صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنها-.

(١) وهو ما أخرجه ابن ماجه (٤٠٨٤) عن ثوبان -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : «يقتل عند كنزكم ثلاثة، كلهم ابن خليفة، ثم لا يصير إلى واحد منهم، ثم تطلع الرايات السود من قبل المشرق، فيقتلونكم قتلا لم يقتله قوم -ثم ذكر شيئًا لا أحفظه فقال- فإذا رأيتموه فبايعوه ولو حبوا على الثلج، فإنه خليفة الله المهدي». وانظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة (٨٥) (١٩٥/١).

(٢) في البداية والنهاية (٨٤/١٠).

وتسموا بالفاطميين وإنما هم أدعياء باطنية، وسُمُّوا أيضًا بالعبيديين نسبة إلى عبيد الله المذكور، وسُمُّوا بالباطنيين؛ لأنهم يُظهرون الإسلام ويبطنون الإلحاد والكفر.

وقد عظمت غربة الإسلام ومحنته إبان ملكهم، وكان ملكهم مئتين وثمانين سنة وكسرا، ثم صاروا كأمس الزاهب، كأن لم يغنوا فيها، وقد مات عُبيدالله بن ميمون القداح سنة اثنتين وعشرين وثلاث مئة.

ومنهم **محمد بن عبدالله بن تومرت البربري** مدّعي المهديّة بالمغرب، ذكر عنه الذهبي أنه ادعى أنه حَسَنِيّ، وأنه إمامٌ معصوم، وهو بالإجماع مخصوم^(١).

وابن تومرت هو مؤسس دولة الموحدين، وكانت عقيدته خليطاً من آراء الفرق كالرافضة والمعتزلة والأشعرية والخوارج، وقد دارت بينه وبين المرابطين حروبٌ طاحنة، وقد تهور في سفك الدماء دماء أعدائه ودماء أتباعه. قال الذهبي: "دخل والله في الدماء لنيل الرياسة المردية"^(٢).

قال ابن القيم: "أما مهدي المغاربة محمد بن تومرت فإنه رجل كذاب ظالم متغلب بالباطل، مَلَكٌ بالظلم والتغلب والتحيل، فقتل النفوس، وأباح حريم المسلمين، وسبى ذراريهم، وأخذ أموالهم، وكان شراً على الملة من الحجاج بن يوسف بكثير"^(٣).

وقد كانت وفاته سنة أربع وعشرين وخمس مئة.

ومنهم **محمد أحمد بن عبدالله** مدّعي المهديّة بالسودان، وهو ينتسب إلى آل البيت، هاجرت أسرته قديماً إلى السودان واستوطنوا هناك، وقد بزغ ذكره ووقعت له حروب كثيرة مع الدولة العثمانية من جهة ومع الإنجليز من جهة أخرى، وقد انتصر فيها حتى سمع به القاصي والداني، وأخذ عليه دعواه أنه المهدي مع أنه لا تنطبق عليه صفات المهدي، ودعواه التلقّي المباشر عن النبي -صلى الله عليه وسلم- في اليقظة، فكان ينسب

(١) انظر: العبر في خبر من غير (٤٢١/٢).

(٢) (٥٤١/١٩).

(٣) المنار المنيف ص ١٥٤.

أقواله إلى النبي -صلى الله عليه وسلم-، وكان يُلزم الناس بدعوته بل يُكفرهم ويقَاتلهم عليها.

وقد كانت وفاته سنة اثنتين وثلاث مئة وألف.

ومنهم **محمد بن عبد الله القحطاني** وكان قد اقتحم جماعة المسجد الحرام في مُستَهَلِّ سنة أربع مئة وألف أثناء تأدية المصلين صلاة الفجر، وأعلنوا مهديهم المزعوم.

وقد انتهكوا عدة حرّات: انتهكوا حرمة البلد الحرام، وانتهكوا حرمة المسجد الحرام وعطلوا الصلاة فيه أيامًا، وانتهكوا حرمة الشهر الحرام؛ لأن ذلك وقع في شهر الله المحرم، وانتهكوا حرمة دماء المسلمين.

وقد اعتمدوا في إثبات مهديهم على الرؤى، ومتى كانت الرؤى تثبت بها الأحكام؟!

أما الرؤى والكشف والإلهام فليس منها تُؤخذ الأحكام

فضلاً أن تُستباح بها الدماء، وقد انتهت هذه الفتنة بقتل مدعي المهديّة ومن معه وأراح الله المسلمين من شرهم.

وقد ظهر كثير ممن ادعى المهديّة لكنّ عامتهم ممن أصابهم مرض في عقولهم، ولم يكن لكثير منهم أتباع أو ذكر.

ثم أشار إلى كلمة جليّة لسفيان الثوري أتبعها ببصيرة في أزمنة الفتن.

المتن:

وَإِنْ عَلَى بَابِكَ جَا الْمَهْدِيُّ	لَا تَتَّبِعْهُ قَالَهُ الثَّوْرِيُّ
حَتَّى تَرَى اجْتِمَاعَهُمْ عَلَيْهِ	وَرَدَّهُمْ أُمُورَهُمْ إِلَيْهِ
وَهَذِهِ بَصِيرَةٌ فِي الْفِتَنِ	وَهِيَ لُزُومُ الْحِلْمِ وَالتَّبَيُّنِ
فَمَا أَوْى شَيْءٌ إِلَى شَيْءٍ كَمَا	حِلْمٌ أَوْى إِلَى صُدُورِ الْعُلَمَاءِ
وَأَنْ تَكُونَ تَابِعًا فِي الْخَيْرِ	خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَكُونَ رَأْسَ ضَيْرٍ
وَكَاثِبِ الْعَرَبِ تَكْنِي الْعَجَلَةَ	أَمْ النَّدَامَاتِ فَبَيْسَ الدَّغْلَةَ
فَالزَّمْ أَخِيَّ غَزَزَ أَهْلَ الْعِلْمِ	وَلَا تَحِدْ عَنْ فَهْمِهِمْ وَالْحُكْمِ

وَاحْذَرُ مِنَ الْبِدَارِ بِالتَّنْزِيلِ وَكُلُّهُ لِلْعَالِمِ بِالتَّأْوِيلِ

الشرح:

قال:

(وَإِنْ عَلَى بَابِكَ جَا الْمَهْدِيُّ لَا تَتَّبِعُهُ قَالَهُ الثَّوْرِيُّ
حَتَّى تَرَى اجْتِمَاعَهُمْ عَلَيْهِ وَرَدَّهُمْ أُمُورَهُمْ إِلَيْهِ)

أخرج أبو نعيم في حلية الأولياء^(١) عن حفص بن غياث أنه قال: قلت لسفيان الثوري: يا أبا عبد الله إن الناس قد أكثروا في المهدي فما تقول فيه؟ قال: "إِنْ مَرَّ الْمَهْدِيُّ عَلَى بَابِكَ فَلَا تَكُنْ مِنْهُ فِي شَيْءٍ حَتَّى يَجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَيْهِ".

وكلمة سفيان الثوري هذه بصيرةٌ في الفتن، وقاعدة رصينة، وأصل ومنهج في زمن كثير فيه العبث بالمغيبات وأشراط الساعة كأنه يقول له: لا بد من لزوم الحلم والتأني والتبين في الأمر، حتى يُتحقق أنه هو المهدي حقًا، وعلامة ذلك اجتماع الناس عليه. ومن تتبع أخبار مدعي المهديّة، وما حصل بسببهم من فساد في الأرض وإراقة للدماء علم جلاله كلمة سفيان الثوري هذه.

قال:

(وَهَذِهِ بَصِيرَةٌ فِي الْفِتَنِ وَهِيَ لُزُومُ الْحِلْمِ وَالتَّبَيُّنِ
فَمَا أَوَى شَيْءٌ إِلَى شَيْءٍ كَمَا حِلْمٌ أَوَى إِلَى صُدُورِ الْعُلَمَاءِ)

عقد بهذا ما أخرجه الدارمي في مسنده^(٢) عن عطاء -رحمه الله- أنه قال: "مَا أَوَى شَيْءٌ إِلَى شَيْءٍ أَزَيْنَ مِنْ حِلْمٍ إِلَى عِلْمٍ".

قال:

(وَأَنْ تَكُونَ تَابِعًا فِي الْخَيْرِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَكُونَ رَأْسَ ضَيْرٍ)

(١) (٣١/٧).

(٢) (٤٧٠/١).

عقد بهذا ما أخرجه ابن أبي شيبه في المصنف^(١)، والبيهقي في شعب الإيمان^(٢) عن ابن مسعود -رضي الله عنه- أنه قال: **"إنها ستكون هناتٌ، وأمورٌ مُشبهاتٌ، فعليك بالتؤدة، فتكون تابعا في الخير خيرٌ من أن تكون رأسا في الشر"**.

قال:

(وَكَانَتِ الْعَرَبُ تَكْنِي الْعَجَلَةَ أُمَّ النَّدَامَاتِ فَبِئْسَ الدَّغْلَةُ)

هذا من قول أبي حاتم ابن حبان البستي في روضة العقلاء^(٣): "وكانت العرب تكني العجلة أمَّ الندامات".

(فَبِئْسَ الدَّغْلَةُ) الدَّغْلُ: الفساد، أي بنست الخصلة الفاسدة.

قال:

(فَالزَّمْ أُخِيَّ غَرَزَ أَهْلَ الْعِلْمِ وَلَا تَحِدْ عَنْ فَهْمِهِمْ وَالْحُكْمِ)

فالعلماء هم سفينة نوح، من تخلف عنها ولا سيما في أزمنة الفتن فهو من المغرقين، والفتن إذا أقبلت تشبهت فلم يعرفها إلا العلماء، وإذا أدبرت عرفها الناس كلهم، والأشراط والملاحم من هذا القبيل، قال الشاعر:

تَبَيَّنْ أَعْجَازُ الْأُمُورِ مَوَاضِيًّا وَتُقْبِلُ أَشْبَاهًا عَلَيْكَ صُدُورُهَا

وقال آخر:

لَوْ أَنَّ صُدُورَ الْأُمْرِ يَبْدُونَ لِلْفَتَى كَأَعْقَابِهِ لَمْ تُلْفِهِ يَتَنَدَّمُ

وقال آخر:

بَصِيرٌ بِأَعْقَابِ الْأُمُورِ بِرَأْيِهِ كَأَنَّ لَهُ فِي الْيَوْمِ عَيْنًا عَلَى غَدٍ

فأهل العلم هم أهل البصيرة النافذة الذين نور الله قلوبهم فميزوا الحق من الباطل

(١) (٣٧١٨٨).

(٢) (٩٨٨٦).

(٣) ص ٢١٦.

وَإِذَا لَمْ تَرَ الْهَيْلَالَ فَسَلِّمْ لِلْأُنَاسِ رَأَوْهُ بِالْأَبْصَارِ

قال الله - تعالى -: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَدَّعُوا بِهِ سُلُوكَ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلَّهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣]، فالالتحام بالعلماء، والصدور عن قولهم وتوجيههم، وقاية من الفتن، وعصمة من الزيغ والضلال.

(فَالزَّمْ أَخِي غَرَزَ أَهْلَ الْعِلْمِ وَلَا تَحِدْ عَنْ فَهْمِهِمْ وَالْحُكْمِ

وَاحْذَرْ مِنَ الْبِدَارِ بِالتَّنْزِيلِ وَكُلُّهُ لِلْعَالِمِ بِالتَّأْوِيلِ)

فالتأني في الحكم والتنزيل، والرجوع إلى العلماء أصل من أصول التعامل مع نصوص الفتن وأشراط الساعة.

المتن:

الأشراط الكبرى

لَيْسَ مَعَ الْأَيَّامِ وَاللَّيَالِي أَكْبَرُ فِتْنَةً مِنَ الدَّجَالِ
لِذَاكَ قَدْ حَذَّرَهُ كُلُّ نَبِيٍّ وَهَآكَ مِنْ أَوْصَافِهِ فِي الْكُتُبِ
أَزْهَرُ أَقْمَرُ هِجَانٌ أَحْمَرُ أَذْفَى قَصِيرٌ وَعَقِيمٌ أَعْوَرُ
أَفْحَجُ أَجْعَدُ جُفَالُ الشَّعْرِ أَجْلَى جَسِيمٌ وَعَرِيضُ النَّخْرِ
وَبَيْنَ عَيْنَيْهِ يُرَى قَدْ كَفَرَا يَقْرُوهَا الْمُسْلِمُ مِنْ غَيْرِ امْتِرَا
يَدْخُلُ كُلُّ بَلَدٍ يَسِيحُ كَالْغَيْثِ لَمَّا اسْتَدْبَرَتْهُ الرِّيحُ
عَنْ مَكَّةٍ وَطَيْبَةِ سَيْقَصَى وَمَسْجِدِ الطُّورِ كَذَاكَ الْأَقْصَى
وَأَرْبَعُونَ مَكْنَةً فِي قَدْرِ عَامٍ وَشَهْرَيْنِ وَنِصْفِ شَهْرٍ
يُعْطَى مِنَ الْخَوَارِقِ الْعُجَابَا وَيَهْرُ الْعُقُولِ وَالْأَلْبَابَا
جَنَّتُهُ نَارٌ وَأَمَّا نَارُهُ فَجَنَّتُهُ وَمَعَهُ أَنْهَارُهُ
تُجِيبُ أَمْرَهُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِقُدْرَةِ اللَّهِ وَهَذِي بَعْضُ
أَتْبَاعُهُ يَهُودٌ أَصْهَبَانِ سَبْعُونَ أَلْفًا مِنْ ذَوِي السَّيْجَانِ
وَالْعُجْمُ وَالْتُّرْكُ وَجَمْعُ رَابِي مِنْ النِّسَاءِ وَمِنَ الْأَعْرَابِ
أَمَّا أَشَدُّ أُمَّةٍ الْكَرِيمِ عَلَيْهِ فَالْغُرُّ بَنُو تَمِيمِ
هَلَاكُهُ بَابٌ لِدِّ فَاعْلَمْ عَلَى يَدِ الْمَسِيحِ نَجْلِ مَرِيمِ

الشرح:

الأشراط الكبرى عشر آياتٍ عظامٍ خارقةٌ للعادة، خارجةٌ عن المألوف، تؤذنُ بانتهاء الدنيا، وقرب قيام الساعة، ولم يقع شيءٌ منها بعد، وإذا وقعت تتابعت، بعضها باثر بعض.

في مسند الإمام أحمد^(١) وهو في السلسلة الصحيحة^(٢)، عن عبد الله بن عمرو -رضي الله عنهما- أنه قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «الآياتُ خَرَزَاتُ

(١) (٧٠٤٠).

مَنْظُومَاتٌ فِي سِلْكِ، فَإِنْ يُقْطَعِ السِّلْكُ، يَتَّبِعُ بَعْضُهَا بَعْضًا». وله شواهد من حديث جماعة من الصحابة.

وهذه الأشراف الكبرى جَمَعَهَا حديثٌ واحد، هو ما أخرجه مسلم في صحيحه^(١) عن أبي سَريحة -بفتح السين- حذيفة بن أسيد -بفتح الهمزة- الغفاري -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أنه قال: «أَطَّلَعَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَلَيْنَا وَنَحْنُ نَتَذَاكُرُ، فَقَالَ: مَا تَذَاكُرُونَ؟ قَالُوا: نَذْكُرُ السَّاعَةَ، قَالَ: إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرُونَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ، فَذَكَرَ الدُّخَانَ، وَالدَّجَالَ، وَالدَّابَّةَ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَنُزُولَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ -عَلَيْهِ السَّلَامُ-، وَيَأْجُوجَ، وَمَأْجُوجَ، وَثَلَاثَةَ خُسُوفٍ: خَسَفٌ بِالْمَشْرِقِ، وَخَسَفٌ بِالْمَغْرِبِ، وَخَسَفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَآخِرُ ذَلِكَ نَارُ تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ».

وهذه الأشراف أولها الدَّجَالُ، ثم نزولُ عيسى -عَلَيْهِ السَّلَامُ-، ثم يأجوج ومأجوج، وآخرها النارُ التي تحشرُ الناسَ، وباقي الآيات لم يرد ما يُقْطَعُ معه بترتيبٍ مُعَيَّنٍ فيها.

قال:

(لَيْسَ مَعَ الْأَيَّامِ وَاللَّيَالِي أَكْبَرُ فِتْنَةٍ مِنَ الدَّجَالِ)

(١) (١٧٦٢) (٣٦١/٤).

(٢) (٢٩٠١).

المسيح الدَّجَال رجلٌ من بني آدم عظيمُ الخلقة، كثيرُ الفتنة. سُمِّيَ بالمسيح؛ لأنه ممسوح العين، ورواه بعضهم بـ(الخاء) المسيح وهو تصحيف، وإنما هو بـ(الحاء). وسُمِّيَ الدَّجَال؛ لكثرة دجله، وهو كَذِبُهُ وتمويهُهُ وتغطيتهُ للحَقِّ. وقد أصبحَ لفظُ الدجال علماً عليه، فإذا أُطلقَ لفظُ الدَّجَال لم يتبادر إلى الذهن غيره.

وفتنةُ الدجال أعظمُ الفتن منذ أن خلق الله آدم -عَلَيْهِ السَّلَامُ- إلى قيام الساعة. في صحيح مسلم^(١) عن هشام بن عامرٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أنه قال: سمعتُ رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يقول: «**مَا بَيْنَ خَلْقِ آدَمَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ خَلْقٌ أَكْبَرُ مِنَ الدَّجَالِ**» والمراد: أكبرُ فتنةٍ من الدجال.

وثبت في المسند^(٢) عن جابرٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أنه قال: قال رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**مَا كَانَتْ فَتْنَةٌ وَلَا تَكُونُ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ أَكْبَرُ مِنْ فَتْنَةِ الدَّجَالِ**». قال: (لِذَاكَ قَدْ حَذَّرَهُ كُلُّ نَبِيٍّ).

■ في الصحيحين^(٣) عن أنسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أنه قال: قال رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**مَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَقَدْ أُنْذِرَ أُمَّتُهُ الْأَعْوَرُ الْكَذَّابُ**».

■ وفي الصحيحين^(٤) عن ابن عمر -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- أنه قال: «**قَامَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي النَّاسِ فَأَثْنَى عَلَى اللَّهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ ذَكَرَ الدَّجَالَ فَقَالَ: إِنِّي لَأُنْذِرُكُمْ هُوَ، وَمَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَقَدْ أُنْذِرَهُ قَوْمُهُ**».

والغرضُ من هذا التحذير: الإيمانُ بوجوده وإظهارُ كذبه، والحذرُ من فتنته، وصدقُ الالتجاء إلى الله تعالى في التعوذِ من فتنته.

قال: (وَهَاكَ مِنْ أَوْصَافِهِ فِي الْكُتُبِ).

(١) (٢٩٤٦).

(٢) (١٤١٢) وصححه محققوه.

(٣) أخرجه البخاري (٧١٣١)، ومسلم (٢٩٣٣).

(٤) أخرجه البخاري (٧١٢٧)، ومسلم (١٦٩).

لِعِظَمِ فِتْنَةِ الدِّجَالِ لَمْ يَدْعِ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- شَيْئًا مِنْ أَوْصَافِهِ وَأَحْوَالِهِ إِلَّا وَبَّيَّنَهُ لِيَعْرِفَهُ أَهْلُ الْإِيمَانِ وَيَحْذَرُوا مِنْ شَرِّهِ، حَتَّى إِذَا خَرَجَ كَانُوا عَلَى بَيْنَةٍ مِنْهُ، وَعَلَى عِلْمٍ بِصِفَاتِهِ الَّتِي أَخْبَرَهَا نَبِيُّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال: **(أَزْهَرُ أَقْمَرُ هِجَانٌ أَحْمَرُ).**

في مسند الإمام أحمد^(١) وصحيح ابن حبان^(٢) والمعجم الكبير للطبراني^(٣) وهو في السلسلة الصحيحة^(٤) من حديث ابن عباس -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- في وصف لون الدجال أن النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: **«هَجَانٌ أَزْهَرُ».**

والهجان: الأبيض.

والأزهر: الأبيض أيضًا.

وفي رواية للطبراني في الكبير^(٥): **«هَجَانٌ أَقْمَرُ».**

والأقمر: الشديد البياض.

وفي الصحيحين^(٦) من حديث ابن عمر -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- في وصف الدجال: **«فَإِذَا رَجُلٌ أَحْمَرُ جَسِيمٌ».**

وهذه الصفات الأربع التي وردت في الأحاديث أنه أزهر أقمر هجان أحمر معناها: أن الدجال أبيض شديد البياض وفيه حمرة.

ولا يُشْكِلُ عَلَى هَذَا مَا فِي مَسْنَدِ الْإِمَامِ أَحْمَد^(١) وَصَحِّحِ إِسْنَادَهُ مُحَقِّقُوهُ عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ فِي وَصْفِ

(١) (٢١٤٨).

(٢) (٦٧٩٦).

(٣) (١١٧١١).

(٤) (١١٩٣) (١٩٠/٣).

(٥) (١١٧١٢).

(٦) أخرجه البخاري (٣٤٤١)، ومسلم (١٧١).

الذجال: «وإنه جَعْدُ آدَمَ مَمْسُوحُ الْعَيْنِ الْيُسْرَى»، فقد جُمِعَ بينهما بأنها أُدْمَةٌ أي سُمْرَةٌ يسيرة تضربُ إلى الحُمْرة، فأدْمَتُهُ صافية. جمع بينهما بذلك الحافظُ ابن حجر في الفتح^(١).

وإذا سُلِكَ في الجواب مسلكُ الترجيح؛ فلا ريب أن ما في الصحيحين من وصفه بالحُمْرة مُقَدَّمٌ على ما في المسند من وصفه بالأُدْمَةِ، فإن وصفه بالحُمْرة أقوى سندًا، وهو مؤيَّدٌ بما في حديث ابن عباسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- من وصفه بأنه أَزْهَرُ أَقْمَرُ هِجَانَ.

ثم قال: (أَدْفَى).

في مسند الإمام أحمد^(٢) وحسنُ إسناده الحافظ ابن كثير^(٣) عن أبي هريرة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أنه قال: قال رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «وَأَمَّا مَسِيحُ الضَّلَالَةِ فَإِنَّهُ أَعْوَرُ الْعَيْنِ، أَجْلَى الْجَمَةِ، عَرِيضُ النَّحْرِ، فِيهِ دَفَأٌ».

وَالدَّفَا وَالِدَفَأُ: الانحناء. يُقَالُ: رَجُلٌ أَدْفَى أَيْ فِيهِ انحناء.

ثم قال: (قَصِيرٌ).

أَخْرَجَ أَحْمَدُ فِي الْمُسْنَدِ^(٤) وَأَبُو دَاوُدَ فِي السُّنَنِ^(٥) وَهُوَ فِي صَحِيحِ الْجَامِعِ الصَّغِيرِ^(٦) عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «إِنَّ مَسِيحَ الدَّجَالِ رَجُلٌ قَصِيرٌ أَفْحَجُ جَعْدٌ».

ثم قال: (وَعَقِيمٌ).

(١) (٢٣٦٨٥).

(٢) (٩٧/١٣).

(٣) (٧٩٠٥).

(٤) في البداية والنهاية (٢٠٩/١٩).

(٥) (٢٢٧٦٣).

(٦) (٤٣٢٠).

(٧) (٢٤٥٩) (٤٨٣/١).

في صحيح مسلم^(١) عن أبي سعيد الخدري -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أنه قال: «صَحِبْتُ ابْنَ صَائِدٍ إِلَى مَكَّةَ» وفيه قوله لأبي سعيد:

«أَلَسْتُ سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: إِنَّهُ لَا يُوَلَّدُ لَهُ؟» أي: الدجال وفي رواية^(٢): «هُوَ عَقِيمٌ لَا يُوَلَّدُ لَهُ؟ قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: قُلْتُ: بَلَى».

ثم قال: (أَعْوَرُ).

في الصحيحين^(٣) من حديث أنسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أنه قال: قال رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «مَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَقَدْ أُنْذِرَ أُمَّتُهُ الْأَعْوَرَ الْكَذَّابَ، أَلَا إِنَّهُ أَعْوَرُ، وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ».

ووصفُ عين الدجالِ بِالْعَوَرِ والعيب مما اختلفت فيه الألفاظ، ففي بعضها وصفُ اليُمْنَى بذلك، وفي بعضها وصفُ اليُسْرَى بذلك، وفي بعضها وصفُ عينه بذلك من غير تعيين، وفي بعضها وصفُ عينيه بذلك.

■ جاء في اليُمْنَى:

□ «أَعْوَرُ الْعَيْنِ الْيُمْنَى، كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ»^(٤).

□ وجاء: «عَيْنُهُ الْيُمْنَى، كَأَنَّهَا عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ»^(٥).

□ وجاء: «إِنَّ الدَّجَالَ أَعْوَرُ عَيْنِ الْيُمْنَى وَعَيْنُهُ الْأُخْرَى كَأَنَّهَا عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ»^(٦).

■ وجاء في اليُسْرَى:

□ «الدَّجَالُ أَعْوَرُ الْعَيْنِ الْيُسْرَى»^(١).

(١) (٢٩٢٧).

(٢) (٢٩٢٧).

(٣) أخرجه البخاري (٧١٣١)، ومسلم (٢٩٣٣).

(٤) أخرجه البخاري (٣٤٣٩)، ومسلم (١٦٩).

(٥) أخرجه أحمد (٤٨٠٣)، والترمذي (٢٢٤١)، وصحح إسناده محققو المسند.

(٦) أخرجه أحمد في المسند (٦٠٧٠) وصحح إسناده محققوه.

□ «مَطْمُوسٌ عَيْنُهُ الْيُسْرَى، وَالْأُخْرَى كَأَنَّهَا عِنَبٌ طَافِيَةٌ»^(٢).

و(عِنَبٌ طَافِيَةٌ) بالياء أي بارزة. فهي ناتئة نتوء حبة العنب من بين أخواتها، ويُناسبه من الألفاظ العامة قوله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «إِحْدَى عَيْنَيْهِ قَائِمَةٌ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ»^(٣).

و(عِنَبٌ طَافِيَةٌ) بالهمز من الانطفاء، وهي العين التي ذهب ضوؤها، ويُناسبه من الألفاظ العامة لفظ: «مَطْمُوسُ الْعَيْنِ»^(٤)، ولفظ: «مَمْسُوحُ الْعَيْنِ»^(٥).

وقد قيل في الجمع بين الحديثين بترجيح الحديث الذي فيه أن العور بعينه اليمنى؛ لأنه في الصحيحين، على حديث أن العور بعينه اليسرى لأنه في مسلم؛ وما اتفق عليه الشيخان مُقَدَّمٌ على غيره.

وذهب القاضي عياض^(٦) إلى أن عيني الدجال كلتيهما معيبة؛ لأن الروايات كلها صحيحة، وتكون العين المطموسة والممسوحة هي العوراء الطافئة، أي التي ذهب ضوؤها، وهي العين اليمنى، وتكون العين اليسرى التي عليها ظَفَرَةٌ غليظة -والظفرَةُ جلدةٌ تغشى العين- وهي الطافية بالياء معيبةً أيضًا؛ فهو أعورُ العين اليمنى واليسرى معًا، فكل واحدةٍ منهما عوراء أي معيبة، فإن الأعور من كل شيء: المعيب، ولا سيما فيما يختص بالعين.

فكلتا عيني الدجال معيبةٌ عوراء؛ إحداهما بذهاها والأخرى بعيها، هذا معنى ما ذكره القاضي عياض.

(١) أخرجه مسلم (٢٩٣٤).

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١١٧١٢).

(٣) أخرجه أحمد في المسند (٣٥٤٦) وصححه إسناده محققه.

(٤) أخرجه أبو داود (٤٣٢٠) وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٢٤٥٩) (٤٨٣/١).

(٥) أخرجه مسلم (٢٩٣٣) و(٢٩٣٤).

(٦) (٥٢٢/١).

قال النووي في شرح مسلم بعد أن ساق كلام القاضي عياض في الجمع بين الروايات^(١): "هو في نهاية من الحُسن"، ورجحه أيضًا أبو عبد الله القرطبي في التذكرة^(٢). وعلى كل؛ فعيب عين الدجال ظاهر لا يلتبس على أحد، حتى قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كما في المسند^(٣) من حديث ابن عباس -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-: «فَإِمَّا هَلَكَ الْهَلَكُ فَإِنْ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ».

والهَلَكُ: جمع هالك، والمعنى: إذا هَلَكَ بالدجال ناسٌ جاهلون وضلوا فتمسكوا أنتم بهذه الصفة من صفات الدجال، وهي أن الدجال أعور وإن ربكم -جَلَّ وَعَلَا- ليس بأعور. ففيه تنبيهٌ إلى أن من كان ناقص الخِلقة وهو عاجزٌ عن إزالة نقصه كيف يُصَدِّقُ في دعواه الألوهية؟!

ثم قال: (أَفْحَجُ).

الْفَحَجُ: تباعدُ ما بين الساقين، وقيل: تداني صدور القدمين مع تباعد العقبين، وسبقَ هذا في وصف ذي السويقتين الحبشي الذي يهدمُ الكعبة، وسبق دليلُ وصف الدجال بأنه أفحج.

ثم قال: (أَجْعَدُ).

أَجْعَدُ: أي أجعدُ الشعر وسبق دليله.

وفي صحيح مسلم^(٤) عن النواس بن سميان -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- أنه قال: ذكر رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الدجال، وفيه قوله: «إِنَّهُ شَابٌّ قَطَطٌ، عَيْنُهُ طَافِيَّةٌ، كَأَنِّي أَشَبَّهُهُ بِعَبْدِ الْعَزَى بْنِ قَطَنِ»، وعبدُ العزى بنُ قَطَنٍ رجلٌ من خُزاعة أُمُّهُ هَالَةٌ بنتُ خويلد هَلَكَ في الجاهلية.

(١) (٢٣٥/٢) وانظر: فتح الباري (٩٧/١٣).

(٢) ص ١٢٨١.

(٣) أخرجه أحمد في المسند (٢١٤٨) وصححه محققوه.

(٤) أخرجه مسلم (٢٩٣٧).

والشاهدُ قوله في وصف الدّجال: **(قَطَطُ)** أي شديدُ جعودة الشعر.

ثم قال: **(جُفَالُ الشَّعْرِ)** أي كثيرُ الشعر.

في صحيح مسلم^(١) عن حذيفة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أنه قال: قال رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: **«الدَّجَالُ أَعْوَرُ الْعَيْنِ الْيُسْرَى، جُفَالُ الشَّعْرِ»**.

ثم قال: **(أَجْلَى)** أي أجلى الجبهة، وهو الذي انحسر شعره عن مُقَدَّم رأسه، وسبق هذا في وصف المهدي، وسبق دليل وصف الدجال بأنه أجلى الجبهة.

ثم قال: **(جَسِيمٌ)** أي ضخّم، وهو معنى قوله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كما في مسند الإمام أحمد^(٢): **«رَأَيْتُهُ فَيَلْمَانِيًا»** الفيلمائي: هو الضخّم العظيم الجُثَّة.

وفي صحيح مسلم^(٣) قول تميم الداري -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: **«حَتَّى دَخَلْنَا الدَّيْرَ، فَإِذَا فِيهِ أَعْظَمُ إِنْسَانٍ رَأَيْنَاهُ قَطُّ خَلْقًا»**.

ثم قال: **(وَعَرِيضُ النَّخْرِ)** وقد سبق دليله.

ولم يُشكَل من أوصاف الدجال إلا وصفان، وهما: لونه وعَوْرُهُ، وقد سبق ما أُلْف به العلماء بين الروايات المختلفة في هذين الوصفين.

ثم قال:

(وَبَيْنَ عَيْنَيْهِ يُرَى قَدْ كَفَرَا يَقْرُؤُهَا الْمُسْلِمُ مِنْ غَيْرِ امْتِرَا)

من صفات الدّجال: أنه مكتوبٌ بين عينه (كافر) وهذه الكتابة على ظاهرها كتابةٌ حقيقية جعلها الله علامةً دالةً على كُفْرِ الدّجال وكذبه وضلاله، يقرأها كل مسلم كاتبًا كان أو غير كاتب، ويُخفيها الله عمن كُتِبَتْ عليه الشقاوة والفتنة.

في الصحيحين^(١) عن أنسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أنه قال: قال النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: **«مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ: كَافِرٌ»**.

(١) (٢٩٣٤).

(٢) (٣٥٤٦) وصح إسناده محققه.

(٣) (٢٩٤٢).

وفي رواية لمسلم^(٢): «ثُمَّ تَهْجَاهَا ك ف يَقْرُوهُ كُلُّ مُسْلِمٍ».

وفي حديث حذيفة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- عند مسلم^(٣): «مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ: كَافِرٌ، يَقْرُوهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ كَاتِبٍ وَغَيْرِ كَاتِبٍ».

ثم قال: (يَدْخُلُ كُلُّ بَلَدٍ يَسِيحُ).

في حديث فاطمة بنت قيس -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- في صحيح مسلم^(٤) عن النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في قصة تميم الداري -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أَنَّ الدَّجَالَ قَالَ: «إِنِّي أَنَا الْمَسِيحُ، وَإِنِّي أُوشِكُ أَنْ يُؤْذَنَ لِي فِي الْخُرُوجِ، فَأَخْرُجُ، فَأَسِيرُ فِي الْأَرْضِ فَلَا أَدَعُ قَرْيَةً إِلَّا هَبَطْتُهَا فِي أَرْبَعِينَ لَيْلَةً غَيْرَ مَكَّةَ وَطَيْبَةَ».

فالدَّجَالُ خَارِجٌ عَلَى الْأَرْضِ كُلِّهَا لَا يَدَعُ قَرْيَةً إِلَّا هَبَطَهَا، إِلَّا مَا يَأْتِي اسْتِثْنَاؤُهُ فِي الْبَيْتِ الَّذِي بَعْدَ هَذَا.

ويلقى المؤمنون منه شِدَّةً، ففي صحيح مسلم^(٥) عن أُمِّ شَرِيكِ أَنَّهَا سَمِعَتْ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: «لَيَفِرَنَّ النَّاسُ مِنَ الدَّجَالِ فِي الْجِبَالِ. قَالَتْ أُمُّ شَرِيكِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَإِنَّ الْعَرَبَ يَوْمئِذٍ؟ قَالَ: هُمْ قَلِيلٌ».

ثم قال: (كَالْغَيْثِ لَمَّا اسْتَدْبَرْتَهُ الرِّيحُ).

سُئِلَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كَمَا فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ^(٦): «يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا إِسْرَاعُهُ فِي الْأَرْضِ؟ قَالَ: كَالْغَيْثِ اسْتَدْبَرْتَهُ الرِّيحُ».

(١) أخرجه البخاري (٧٤٠٨)، ومسلم (٢٩٣٣).

(٢) (٢٩٣٣).

(٣) (٢٩٣٤).

(٤) (٢٩٤٢).

(٥) (٢٩٤٥).

(٦) (٢٩٣٧).

والمراد بالغيث: الغيم أي يُسرِعُ في الأرض إسرَاعَ الغيم الذي جاءته الريحُ من خلفه، وهو كنايةٌ عن سُرْعَتِهِ الشديدة التي تجعله يطوفُ الأرض في أيامٍ قليلة.

ثم قال:

(عَنْ مَكَّةَ وَطَيْبَةَ سَيِّقَصَى وَمَسْجِدِ الطُّورِ كَذَاكَ الْأَقْصَى)

في حديث فاطمة بنت قيسٍ السابق في صحيح مسلم^(١) قال الدجال عن نفسه بعد أن ذكر أنه لا يدعُ قريةً إلا هبطها: «غَيْرَ مَكَّةَ وَطَيْبَةَ؛ فَهُمَا مُحَرَّمَتَانِ عَلَيَّ كِلْتَاهُمَا، كُلَّمَا أَرَدْتُ أَنْ أَدْخُلَ وَاحِدَةً -أَوْ وَاحِدًا- مِنْهُمَا اسْتَقْبَلَنِي مَلَكٌ بِيَدِهِ السَّيْفُ صَلَّتَا، يَصُدُّنِي عَنْهَا، وَإِنْ عَلَى كُلِّ نَقْبٍ مِنْهَا مَلَائِكَةٌ يَحْرُسُونَهَا».

وفي الصحيحين^(٢) عن أنسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أنه قال: قال رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «لَيْسَ مِنْ بَلَدٍ إِلَّا سَيَطُوهُ الدَّجَالُ، إِلَّا مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ، وَلَيْسَ نَقْبٌ مِنْ أَنْقَابِهَا إِلَّا عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ صَافِينَ تَحْرُسُهَا، فَيَنْزِلُ بِالسَّبْخَةِ، فَتَرْجُفُ الْمَدِينَةُ ثَلَاثَ رَجَفَاتٍ، يَخْرُجُ إِلَيْهِ مِنْهَا كُلُّ كَافِرٍ وَمُنَافِقٍ».

وفي صحيح مسلم^(٣) عن أبي هريرة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أن رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: «يَأْتِي الْمَسِيحُ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ، هِمَّتُهُ الْمَدِينَةُ، حَتَّى يَنْزِلَ دُبْرَ أَحَدٍ، ثُمَّ تَصْرِفُ الْمَلَائِكَةُ وَجْهَهُ قِبَلَ الشَّامِ، وَهَنَالِكَ يَهْلِكُ».

وفي مسند الإمام أحمد^(٤) عن بعض أصحاب النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: «وَإِنَّهُ يَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا، يَبْلُغُ فِيهَا كُلَّ مَنْهَلٍ، وَلَا يَقْرُبُ أَرْبَعَةَ مَسَاجِدَ: مَسْجِدَ الْحَرَامِ، وَمَسْجِدَ الْمَدِينَةِ، وَمَسْجِدَ الطُّورِ، وَمَسْجِدَ الْأَقْصَى».

ثم قال:

(١) (٢٩٤٢).

(٢) أخرجه البخاري (١٨٨١)، ومسلم (٢٩٤٣).

(٣) (١٣٨٠).

(٤) (٢٣٦٨٥) وصح إسناده محققه.

(وَأَرْبَعُونَ مَكْثُهُ فِي قَدْرِ عَامٍ وَشَهْرَيْنِ وَنِصْفِ شَهْرٍ)

في حديث النّوأس بن سمعان -رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمَا- في صحيح مسلم^(١) أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- سُئِلَ فَقِيلَ لَهُ: «وَمَا لُبُّهُ فِي الْأَرْضِ؟ قَالَ: أَرْبَعُونَ يَوْمًا: يَوْمٌ كَسَنَةٍ، وَيَوْمٌ كَشَهْرٍ، وَيَوْمٌ كَجُمُعَةٍ، وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ».

وَإِذَا جُمِعَتِ السَّنَةُ وَالشَّهْرُ وَالْجُمُعَةُ أَيُّ الْأُسْبُوعِ وَالْأَيَّامِ الْبَاقِيَةِ وَهِيَ سَبْعَةٌ وَثَلَاثُونَ يَوْمًا، إِذَا جُمِعَتِ ذَلِكَ كَانَ مَكْثُهُ فِي الْأَرْضِ عَامًا وَشَهْرَيْنِ وَنِصْفَ شَهْرٍ.

ثم قال:

(يُعْطَى مِنَ الْخَوَارِقِ الْعُجَابَا وَيَهْرُ الْعُقُولِ وَالْأَلْبَابَا
جَنَّتُهُ نَارٌ وَأَمَّا نَارُهُ فَجَنَّةٌ وَمَعَهُ أَنْهَارُهُ
تُجِيبُ أَمْرَهُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِقُدْرَةِ اللَّهِ وَهَذِي بَعْضُ)

سَبَقَ أَنَّ فِتْنَةَ الدَّجَالِ أَعْظَمُ فِتْنَةٍ مِنْذُ أَنَّ خَلَقَ اللّهُ آدَمَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ بِسَبَبِ مَا يَمْتَحِنُ اللّهُ بِهِ الْعِبَادَ مِنَ الْخَوَارِقِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي يُعْطَاهَا الدَّجَالُ، الَّتِي تَهْرُ الْعُقُولُ وَتُحِيرُ الْأَلْبَابَ فِتْنَةً وَابْتِلَاءً، وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّ مَعَهُ جَنَّةً وَنَارًا، فَجَنَّتُهُ نَارٌ وَنَارُهُ جَنَّةٌ، وَأَنَّ مَعَهُ أَنْهَارَ الْمَاءِ، وَأَنَّ مِنْ اسْتِجَابِ لَهُ يَأْمُرُ السَّمَاءَ فَتُمْطِرُهُمْ وَالْأَرْضَ فَتُنْبِتُ لَهُمْ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ بِقُدْرَةِ اللّهِ، وَتَرْجِعُ إِلَيْهِمْ مَوَاشِيَهُمْ سِمَانًا، وَمَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ وَيَرُدُّ عَلَى الدَّجَالِ أَمْرَهُ تُصِيبُهُمُ السَّنَةُ وَالْجَدْبُ وَالْقَحْطُ وَمَوْتَ الْأَنْعَامِ، وَنَقْصِ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ.

وَمِنْ فِتْنَتِهِ أَنَّهُ تَتَبَعُهُ كُنُوزُ الْأَرْضِ، كَيْعَاسِيبِ النِّحْلِ، وَأَنَّهُ يَقْتُلُ ذَلِكَ الشَّابَّ الَّذِي سَيَأْتِي خَبْرُهُ ثُمَّ يُحْيِيهِ، وَهَذَا كُلُّهُ لَيْسَ تَخْيِيلًا بَلْ هُوَ حَقِيقَةٌ امْتَحَنَ اللّهُ بِهَا عِبَادَهُ فِي ذَلِكَ الزَّمَنِ، فَيَكْفُرُ الْمُرْتَابُونَ وَيَزْدَادُ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا.

(١) (٢٩٣٧).

أخرج مسلم في صحيحه^(١) عن حذيفة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أنه قال: قال رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «الدَّجَالُ أَعْوَرُ الْعَيْنِ الْيُسْرَى، جُفَالُ الشَّعْرِ، مَعَهُ جَنَّةٌ وَنَارٌ، فَنَارُهُ جَنَّةٌ وَجَنَّتُهُ نَارٌ».

وفي صحيح مسلم^(٢) أيضًا عن حذيفة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أنه قال: قال رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «لَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا مَعَ الدَّجَالِ مِنْهُ؛ مَعَهُ نَهْرَانِ يَجْرِيَانِ، أَحَدُهُمَا -رَأْيَ الْعَيْنِ- مَاءٌ أَبْيَضٌ، وَالْآخَرُ -رَأْيَ الْعَيْنِ- نَارٌ تَأْجَجُ، فَإِذَا أَدْرَكَ أَحَدٌ، فَلَيَاتِ النَّهْرَ الَّذِي يَرَاهُ نَارًا وَلِيُغَمِّضَ، ثُمَّ لِيُطَأْطِئَ رَأْسَهُ فَيَشْرَبَ مِنْهُ؛ فَإِنَّهُ مَاءٌ بَارِدٌ».

وفي صحيح مسلم^(٣) من حديث النّوّاس بن سَمْعَانَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- في ذكر الدجال أن الصحابة قالوا: «يا رسول الله، وما لُبُّهُ في الأرض؟ قال: «أَرْبَعُونَ يَوْمًا: يَوْمٌ كَسَنَةٍ، وَيَوْمٌ كَشْهَرٍ، وَيَوْمٌ كَجُمُعَةٍ، وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ».

قالوا: «فما إسرأعُهُ في الأرض؟ قال: كالغَيْثِ إِذَا اسْتَدْبَرَتْهُ الرِّيحُ، قال: فيأتي القومَ فيدعوهم فيؤمنون به، ويستجيبون له، فيأمرُ السَّمَاءَ فْتُمْطِرُ، والأَرْضَ فْتَنْبِتُ، فَتَرْوَحُ -أي ترجع آخر النهار- عليهم سَارِحَتُهُمْ -أي ماشيتهم- أطول ما كانت ذُرَى -الذرى: الأعالي والأسنمة، وهو جمع ذروة، وذروة كل شيء أعلاه- وأسبغهُ ضروعًا -أي أطولهُ ضروعًا لكثرة اللبن- وأمدَّهُ خواصرَ -أي لكثرة امتلائها من الشَّبَع- ثمَّ يأتي القومَ فيدعوهم فيردُّونَ عَلَيْهِ قَوْلَهُ، فينصرفُ عنهم فيُصبحونَ مُمَحِلِينَ، ليس بأيديهم شيءٌ من أموالِهِمْ، ويمُرُّ بِالْخَرِبَةِ، فيقولُ لَهَا: أَخْرِجِي كُنُوزَكَ، فتبعُهُ كنوزُها كيَعَاسِيْبِ النَّحْلِ -يعاسيب النحل: هي ذكور النحل وقال القاضي عياض: هي جماعاتها- ثمَّ يدعورُ جَلًّا مَمْتَلَأًا شَبَابًا، فيضربه بالسَّيْفِ ضَرْبَةً، فيقطعُهُ جَزَلَتَيْنِ، رَمِيَةَ الْغَرَضِ، ثمَّ يدعوه، فيقبلُ يَتَهَلَّلُ وَجْهَهُ يَضْحَكُ».

وجاء في الصحيحين^(١) عن أبي سعيدٍ الخدري -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أن هذا الرجل الذي يقتله الدجال هو خير الناس أو من خير الناس، يخرجُ إلى الدجال من مدينة النَّبِيِّ -صَلَّى

(١) (٢٩٣٤).

(٢) (٢٩٣٤).

(٣) (٢٩٣٧).

اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فيقول للدجال: «أشهد أنك الدجال الذي حدثنا رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حديثه، فيقول الدجال: أَرَأَيْتُمْ إِنْ قَتَلْتُ هَذَا ثُمَّ أَحْيَيْتُهُ هَلْ تَشْكُونُ فِي الْأَمْرِ؟ فيقولون: لا، فيقتله ثُمَّ يُحْيِيهِ، فيقول: واللَّهِ ما كنت فيك أشد بصيرةً مني اليوم، فريد الدجال أن يقتله فلا يسلط عليه».

وعند ابن ماجه^(٢) وهو في صحيح الجامع الصغير^(٣) عن أبي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ فِي الدَّجَالِ: «وَإِنَّ مِنْ فِتْنَتِهِ أَنْ يَقُولَ لِأَعْرَابِيٍّ: أَرَأَيْتَ إِنْ بَعَثْتُ لَكَ أَبَاكَ وَأُمَّكَ أَتَشْهَدُ أَنِّي رَبُّكَ؟ فيقول: نعم، فيتمثلُ له شيطانانِ في صورةِ أبيه وأُمِّه، فيقولانِ: يَا بُنَيَّ اتَّبِعْهُ، فَإِنَّهُ رَبُّكَ».

ولهذه الخوارق العظيمة التي يُعطاها الدجال، ولغلبة الجهل في هذا الزمان يكثرُ أتباعه، وأكثر من يتبعه اليهود والعجم والتُّرك، وأخلاقُ من الناس غالبهم أعرابٌ ونساء، وقد ذكرهم في البيتين بعد هذا فقال:

(أَتْبَاعُهُ يَهُودُ أَصْبَهَانِ سَبْعُونَ أَلْفًا مِنْ ذَوِي السَّيْجَانِ
وَالْعُجْمُ وَالتُّرْكُ وَجَمْعُ رَابِي مِنَ النِّسَاءِ وَمِنَ الْأَعْرَابِ)

أما اليهود فأخرج مسلم في صحيحه^(٤) عن أنس بن مالك -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «يَتَّبِعُ الدَّجَالَ مِنْ يَهُودِ أَصْبَهَانَ سَبْعُونَ أَلْفًا عَلَيْهِمُ الطَّيَالِسَةُ».

والطيالسة: جمعُ طيلسان، وهو ضربٌ من الأكسية من لبس اليهود معروف يوضع على الرأس أو على الكتف.

(١) أخرجه البخاري (١٨٨٢)، ومسلم (٢٩٣٨).

(٢) (٤٠٧٧).

(٣) (٧٨٧٥) (١٣٠٠/٢).

(٤) (٢٩٤٤).

وفي رواية الإمام أحمد^(١): «يُخْرَجُ الدَّجَالُ مِنْ يَهُودِيَةِ أَصْبَهَانَ مَعَهُ سَبْعُونَ أَلْفًا مِنَ الْيَهُودِ عَلَيْهِمُ السَّيْجَانُ».

وَالسَّيْجَانُ: جمعُ ساجٍ، وهو الطيلسان.

وأما التُّرْكُ والأعاجم ففي مسند الإمام أحمد^(٢) عن أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: «حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنَّ الدَّجَالَ يَخْرُجُ مِنْ أَرْضٍ بِالْمَشْرِقِ يُقَالُ لَهَا: خُرَاسَانُ، يَتَّبِعُهُ أَقْوَامٌ، كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الْمَجَانُ الْمُطْرَقَةُ».

وفي المسندِ أيضًا^(٣) عن أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أَنَّهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: «لَيَنْزِلَنَّ الدَّجَالُ خُوزَ وَكُرْمَانَ فِي سَبْعِينَ أَلْفًا وَجُوهَهُمْ كَالْمَجَانِ الْمُطْرَقَةِ» قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ^(٤): «إِسْنَادُهُ جَيِّدٌ قَوِيٌّ حَسَنٌ».

قال ابن كثير -رَحِمَهُ اللَّهُ-^(٥): "فَيَكُونُ بَدْءُ ظَهْرِهِ مِنْ أَصْبَهَانَ، مِنْ حَارَةِ بِهَا يُقَالُ لَهَا: الْيَهُودِيَّةُ، وَيَنْصَرُهُ مِنْ أَهْلِهَا سَبْعُونَ أَلْفَ يَهُودِيٍّ؛ عَلَيْهِمُ الْأَسْلِحَةُ وَالسَّيْجَانُ، وَهِيَ الطَّيَالِسَةُ الْخُضْرُ، وَكَذَلِكَ يَنْصَرُهُ سَبْعُونَ أَلْفًا مِنَ التَّتَارِ وَخَلَقَ مِنْ أَهْلِ خُرَاسَانَ".

ثم قال: **(وَجَمْعُ رَابِي) أَي كَثِير (مِنَ النِّسَاءِ وَمِنَ الْأَعْرَابِ)**.

أما النساء فقد أخرج الإمام أحمد في المسند^(٦) وهو في السلسلة الصحيحة^(٧) عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «نِعْمَتِ الْأَرْضُ الْمَدِينَةُ إِذَا خَرَجَ الدَّجَالُ، عَلَى كُلِّ نَقَبٍ مِنْ أَنْقَابِهَا مَلَكٌ لَا يَدْخُلُهَا -أَي الدَّجَالُ- فَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ رَجَفَتِ الْمَدِينَةُ بِأَهْلِهَا ثَلَاثَ رَجَفَاتٍ، لَا يَبْقَى مُنَافِقٌ وَلَا مُنَافِقَةٌ إِلَّا خَرَجَ

(١) (١٣٣٤٤) وحسنه محققوه.

(٢) (١٢) وصحَّ إسناده محققوه.

(٣) (٨٤٥٣).

(٤) في البداية والنهاية (١٨٨/١٩).

(٥) (٢٠٥/١٩).

(٦) (١٤١١٢).

(٧) (٣٠٨١).

إليه، وأكثر من يخرج إليه النساء، وذلك يوم التخليص، وذلك يوم تنفي المدينة الخبث كما ينفي الكير خبث الحديد».

وأما الأعراب؛ فلغلبة الجهل عليهم، وقد سبق ما أخرجه ابن ماجه^(١) عن أبي أمامة الباهلي -رضي الله عنه- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال في الدجال: «وإن من فتنته أن يقول للأعرابي: رأيت إن بعثت لك أباك وأمك أتشهد أني ربك؟ فيقول: نعم، فيتمثل له شيطانان في صورة أبيه وأمه، فيقولان: يا بني اتبعه، فإنه ربك».

ثم قال:

(أَمَّا أَشَدُّ أُمَّةَ الْكَرِيمِ عَلَيْهِ فَالْغُرُّ بَنُو تَمِيمِ)

في الصحيحين^(٢) عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال في بني تميم: «هم أشد أمتي على الدجال».

ثم قال:

(هَلَاكُهُ بِبَابِ لُدٍّ فَاعْلَمْ عَلَى يَدِ الْمَسِيحِ نَجْلِ مَرْيَمِ)

يكون هلاك الدجال على يد المسيح عيسى ابن مريم -عليه السلام-.

ثبت في مسند الإمام أحمد^(٣) وجامع الترمذي^(٤) عن مجمل بن جارية -رضي الله عنه- أنه قال: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: «يقتل ابن مريم الدجال بباب لُدٍّ».

وفي صحيح مسلم^(٥) عن النواس بن سمعان -رضي الله عنهما-: عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه ذكر الدجال فذكر الحديث وفيه: «فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح ابن مريم، فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق، بين مبرودتين -أي أنه لا بس-

(١) سبق تخريجه قريباً.

(٢) أخرجه البخاري (٤٣٦٦)، ومسلم (٢٥٢٥).

(٣) (١٥٤٦٩) وصححه محققوه.

(٤) (٢٢٤٤).

(٥) (٢٩٣٧).

مهرودتين وهما ثوبان مصبوغان بورسٍ ثم زعفران - **وَاضِعًا كَفَّيْهِ عَلَى أَجْنَحَةِ مَلَكَيْنِ، إِذَا طَاطَأَ رَأْسُهُ قَطَرَ، وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جُفَمَانُ كَاللُّؤْلُؤِ، فَلَا يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفْسِهِ إِلَّا مَاتَ، وَنَفْسُهُ يَنْتَهِي حَيْثُ يَنْتَهِي طَرْفُهُ، فَيَطْلُبُهُ حَتَّى يُدْرِكَهُ بَبَابٍ لِدٍّ فَيَقْتُلُهُ.**

وفي صحيح مسلم^(١) عن أبي هريرة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أنه قال: قال النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: **«فَيَنْزِلُ عَيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ -عَلَيْهِ السَّلَامُ-، فَأَمَّهُمْ، فَإِذَا رَأَهُ عَدُوُّ اللَّهِ، ذَابَ كَمَا يَذُوبُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ، فَلَوْ تَرَكَهُ لَأَنْذَابَ حَتَّى يَهْلِكَ، وَلَكِنْ يَقْتُلُهُ اللَّهُ بِيَدِهِ، فَيُرِيهِمْ دَمَهُ فِي حَرْبَتِهِ»** وبقتله تنتهي فتنته العظيمة، ويُنجي الله المؤمنين من شره.

📖 المتن:

وَشَاعَ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ إِشْكَالُ	هَلِ ابْنُ صَيَّادٍ هُوَ الدَّجَالُ؟
لَيْسَ بِهِ عَلَى الصَّحِيحِ الدَّانِي	وَإِنَّمَا كَانَ مِنَ الْكُهَّانِ
يُنْجِي مِنَ الدَّجَالِ: حِفْظُ أَوَّلِ	عَشْرِ مِنَ الْكُهْفِ، وَعِلْمُ بِالْعَلِيِّ
فَالْجَهْلُ أَصْلُ الْفِتَنِ الْعَظَائِمِ	وَالْعِلْمُ وَالْإِيمَانُ أَمْنُ الْعَالَمِ
تَعَوُّدٌ بِاللَّهِ ذِي الْجَلَالِ	وَالنَّائِي بِالنَّفْسِ مِنَ الدَّجَالِ

الشرح:

(وَشَاعَ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ إِشْكَالُ هَلِ ابْنُ صَيَّادٍ هُوَ الدَّجَالُ؟)

هذه المسألة معدودة من المشكلات المُعضلات التي اختلف فيها الصحابة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ- والعلماء بعدهم.

🔷 قال الخطابي^(٢): "وقد اختلف الناس في ابن صيادٍ اختلافاً شديداً، وأشكَلَ أمرُهُ حتى قيل فيه كل قول".

🔷 وقال القرطبي^(٣): "وعلى الجُملة فأمرُهُ كُلُّهُ مشكَل على الأمة، وهو فتنةٌ ومحنة".

(١) (٢٨٩٧).

(٢) في معالم السنن (٣٤٨/٤).

(٣) في المفهم لما أشكَلَ من تلخيص كتاب مسلم (٢٦٣/٧).

ﷺ وقال النووي^(١): "وقال العلماء: وقصته مشكلة وأمره مُشتبه في أنه هل هو المسيح الدجال المشؤوم أم غيره؟ ولاشك في أنه دجال من الدجاجة".

وابن صياد: اسمه صافي، وقيل: عبدالله بن صياد أو صائد، كان من يهود المدينة، وكان صغيراً عند قدوم النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إلى المدينة.

وذكر ابن كثير^(٢) أنه أسلم، وكان ابنه عمارة من سادات التابعين، وخيار المسلمين؛ اتفقوا على توثيقه، روى عنه الإمام مالك وغيره، وكان الإمام مالك لا يُقدِّم عليه في الفضل أحداً، وقد ترجم لابن صياد الذهبي في كتابه تجريد أسماء الصحابة^(٣) وقال: "هو تابعي له رؤية".

وقال ابن حجر في الإصابة^(٤) بعد أن ذكر جملة من الأحاديث في شأن ابن صياد: "وفي الجملة لا معنى لذكر ابن صياد في الصحابة؛ لأنه إن كان الدجال فليس بصحابي قطعاً؛ لأنه يموت كافراً، وإن كان غيره فهو حال لقيته النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لم يكن مسلماً". وقد كان ابن صياد دجالاً، وكان يتكهن أحياناً فيصدق ويكذب؛ فانتشر خبره بين الناس، وشاع أنه الدجال، ولما شاع بين الناس أمر ابن صياد، وأنه هو الدجال، أراد النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أن يطلع على أمره ويتبين حاله ويختبره.

في الصحيحين^(٥) عن ابن عمر -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-: «أَنَّ عُمَرَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- انْطَلَقَ مَعَ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي رَهْطٍ قَبْلَ ابْنِ صَيَّادٍ، حَتَّى وَجَدُوهُ يَلْعَبُ مَعَ الصَّبْيَانِ عِنْدَ أُطَمٍ بَنِي مَغَالَةَ -الْأُطَمُ: بِنَاءٌ مَرْتَفَعٌ كَالْحَصْنِ، وَبَنُو مَغَالَةَ: بَطْنٌ مِنَ الْأَنْصَارِ- وَقَدْ قَارَبَ ابْنُ صَيَّادٍ الْحُلْمَ، فَلَمْ يَشْعُرْ حَتَّى ضَرَبَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ظَهْرَهُ بِيَدِهِ، ثُمَّ قَالَ لَابْنِ صَيَّادٍ: أَتَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ؟ فَنَظَرَ إِلَيْهِ ابْنُ صَيَّادٍ فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ

(١) في شرح مسلم (٤٦/١٨).

(٢) في البداية والنهاية (٢٠٤/١٩).

(٣) ص ٣٢٢.

(٤) (١٤٩/٥).

(٥) أخرجه البخاري (١٣٥٤)، ومسلم (٢٩٣٠).

الْأُمِّيَّينَ، فَقَالَ ابْنُ صَيَّادٍ: أَتَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، فَرَفَضَهُ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَقَالَ: آمَنْتُ بِاللَّهِ وَبِرُسُلِهِ، فَقَالَ لَهُ: مَاذَا تَرَى؟ قَالَ ابْنُ صَيَّادٍ: يَأْتِينِي صَادِقٌ وَكَاذِبٌ، فَقَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: خُلِطَ عَلَيْكَ الْأَمْرُ، ثُمَّ قَالَ لَهُ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: إِنِّي خَبَأْتُ لَكَ خَبِيئًا، فَقَالَ ابْنُ صَيَّادٍ: هُوَ الدُّخُّ.

يريد الدخان، لكنه قطع العبارة على طريقة الكهَّان، فعرف النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مادَّته وأنها شيطانية.

والمراد بالدخان هنا قوله تعالى: ﴿فَازْتَقِيبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ﴾ [الدخان: ١٠]، كما ورد في رواية أخرى^(١).

وقيل: إنه لم يهتد من الآية إلا إلى هذا اللفظ الناقص: «الدُّخُّ».

فقال النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «أَخْسَأُ، فَلَنْ تَعْدُوَ قَدْرَكَ، قَالَ عُمَرُ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: دَعْنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ أَضْرِبُ عُنُقَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: إِنْ يَكُنْهُ -أَيِ إِنْ يَكُنْ ابْنُ صَيَّادٍ الدَّجَالِ- فَلَنْ تُسَلِّطَ عَلَيْهِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْهُ فَلَا خَيْرَ لَكَ فِي قَتْلِهِ».

وفي رواية^(٢): «أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ لَهُ: مَا تَرَى؟ قَالَ: أَرَى عَرْشًا عَلَى الْمَاءِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: تَرَى عَرْشَ إِبْلِيسَ عَلَى الْبَحْرِ، وَمَا تَرَى؟ قَالَ: أَرَى صَادِقِينَ وَكَاذِبًا أَوْ كَاذِبِينَ وَصَادِقًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: لُبْسَ عَلَيْهِ، دَعُوهُ».

وقال ابن عمر -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-: «انْطَلَقَ بَعْدَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَأَبِي بَنُ كَعْبٍ إِلَى النَّخْلِ الَّتِي فِيهَا ابْنُ صَيَّادٍ، وَهُوَ يَخْتَلُّ أَنْ يَسْمَعَ مِنْ ابْنِ صَيَّادٍ شَيْئًا قَبْلَ أَنْ يَرَاهُ ابْنُ صَيَّادٍ -أَيِ يَسْتَغْفِلُهُ لِيَسْمَعَ شَيْئًا مِنْ كَلَامِهِ وَيَعْلَمَ حَالَهُ- فَرَأَاهُ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَهُوَ مُضْطَجِعٌ عَلَى فِرَاشٍ فِي قَطِيفَةٍ، لَهُ فِيهَا زَمْزَمَةٌ -أَيِ صَوْتُ خَفِيٍّ بِكَلَامٍ غَيْرِ مَفْهُومٍ- فَرَأَتْ أُمُّ ابْنِ صَيَّادٍ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَهُوَ يَتَّقِي بَجْدُوعِ

(١) أخرجهما أحمد في المسند (٦٣٦٠) وصحح إسنادهما محققوه.

(٢) أخرجهما مسلم (٢٩٢٥).

النَّخْل، فَقَالَتْ لِابْنِ صَيَّادٍ: يَا صَافٍ -وَهُوَ اسْمُ ابْنِ صَيَّادٍ- هَذَا مُحَمَّدٌ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَثَارَ ابْنُ صَيَّادٍ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: لَوْ تَرَكَتُهُ بَيْنَ»^(١).

وقد كان النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- متوقفاً في أمر ابن صياد؛ لأنه لم يُوحَ إليه فيه شيء، هل هو الدجال أو غيره؟ وكان عُمر -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- يحلفُ عند النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أن ابن صيادٍ هو الدجال، ولا يُنكرُ عليه ذلك رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وكان بعض الصحابة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ- يرى رأي عُمر، ويحلفُ أن ابن صيادٍ هو الدجال؛ كما ثبت ذلك عن جابرٍ وابن عُمر وأبي ذرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

■ في الصحيحين^(٢) عن محمد بن المنكدر أنه قال: «رَأَيْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يَحْلِفُ بِاللَّهِ أَنَّ ابْنَ صَائِدِ الدَّجَالِ، فَقُلْتُ: أَتَحْلِفُ بِاللَّهِ؟! قَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ عُمَرَ يَحْلِفُ عَلَى ذَلِكَ عِنْدَ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَلَمْ يُنْكِرْهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ».

■ وأخرج أبو داود^(٣) عن نافعٍ أنه قال: كان ابنُ عمرَ يقولُ: «وَاللَّهِ! مَا أَشْكُ أَنَّ الْمَسِيحَ الدَّجَالَ: ابْنَ صَيَّادٍ».

■ وأخرج أحمدُ في المسند^(٤) عن زَيْدِ بْنِ وَهْبٍ أنه قال: قَالَ أَبُو ذَرٍّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: «لَأَنَّ أَحْلَفَ عَشْرَ مَرَارٍ أَنَّ ابْنَ صَائِدٍ هُوَ الدَّجَالُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَحْلِفَ مَرَّةً وَاحِدَةً أَنَّهُ لَيْسَ بِهِ».

وقد كان ابن صيادٍ يسمعُ ما يقوله الناس فيه؛ فيتأذى من ذلك كثيراً، ويُدافعُ عن نفسه بأنه ليس الدجال، ويحتجُّ على ذلك بأن ما أخبر به النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- من صفات الدجال لا تنطبقُ عليه.

في صحيح مسلم^(١) عن أبي سعيدٍ الخدري -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أنه قال: «خَرَجْنَا حُجَّاجًا أَوْ عُمَرًا وَمَعَنَا ابْنُ صَائِدٍ، قَالَ: فَزَلْنَا مَنْزِلًا، فَتَفَرَّقَ النَّاسُ، وَبَقِيتُ أَنَا وَهُوَ، فَاسْتَوْحَشْتُ

(١) أخرجه البخاري (١٣٥٥)، ومسلم (٢٩٣١).

(٢) أخرجه البخاري (٧٣٥٥)، ومسلم (٢٩٢٩).

(٣) (٤٣٣٠) وصححه إسناده الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٣٢٥/١٣).

(٤) (٢١٣١٩) وصححه إسناده الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٣٢٩/١٣).

منه وَخَشَّةٌ شَدِيدَةٌ مِمَّا يُقَالُ عَلَيْهِ، قَالَ: وَجَاءَ بِمَتَاعِهِ فَوَضَعَهُ مَعَ مَتَاعِي، فَقُلْتُ: إِنَّ الْحَرَّ شَدِيدٌ، فَلَوْ وَضَعْتَهُ تَحْتَ تِلْكَ الشَّجَرَةِ، قَالَ: فَفَعَلْتُ، قَالَ: فَرَفَعْتُ لَنَا غَنَمٌ، فَأَنْطَلَقَ فَجَاءَ بَعْسٌ -وهو القَدْحُ الكبير- فَقَالَ: اشْرَبْ أَبَا سَعِيدٍ، فَقُلْتُ: إِنَّ الْحَرَّ شَدِيدٌ، وَاللَّبَنُ حَارٌّ، مَا بِي إِلَّا أَنِّي أَكْرَهُ أَنْ أَشْرَبَ عَنْ يَدِهِ -أَوْ قَالَ: أَخَذَ عَنْ يَدِهِ- فَقَالَ: أَبَا سَعِيدٍ، لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَخَذَ حَبَلًا فَأَعْلِقَهُ بِشَجَرَةٍ، ثُمَّ أَخْتَنِقَ مِمَّا يَقُولُ لِي النَّاسُ، يَا أَبَا سَعِيدٍ، مَنْ خَفِيَ عَلَيْهِ حَدِيثُ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مَا خَفِيَ عَلَيْكُمْ مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، أَلَسْتُ مِنْ أَعْلَمِ النَّاسِ بِحَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-؟ أَلَيْسَ قَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: هُوَ كَافِرٌ وَأَنَا مُسْلِمٌ، أَوَلَيْسَ قَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: هُوَ عَقِيمٌ لَا يُوَلِّدُ لَهُ، وَقَدْ تَرَكْتُ وَلَدِي بِالْمَدِينَةِ؟ أَوَلَيْسَ قَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: لَا يَدْخُلُ الْمَدِينَةَ وَلَا مَكَّةَ، وَقَدْ أَقْبَلْتُ مِنَ الْمَدِينَةِ وَأَنَا أُرِيدُ مَكَّةَ؟ قَالَ أَبُو سَعِيدٍ الْخَدْرِي: حَتَّى كِدْتُ أَنْ أَعْدِرُهُ، ثُمَّ قَالَ: أَمَّا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَعْرِفُهُ وَأَعْرِفُ مَوْلَدَهُ، وَآيَنَ هُوَ الْآنَ. قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: فَقُلْتُ لَهُ: تَبَّ لَكَ سَائِرَ الْيَوْمِ».

وقال ابن صيادٍ في رواية^(١): «أَمَّا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَعْلَمُ الْآنَ حَيْثُ هُوَ، وَأَعْرِفُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ، قَالَ: وَقِيلَ لَهُ: أَيَسْرُكَ أَنَّكَ ذَاكَ الرَّجُلُ؟ -أي الدجال- فَقَالَ: لَوْ عَرَضَ عَلَيَّ مَا كَرِهْتُ».

وفي المسألة حديثٌ وصفه ابن كثير^(٢) بأنه فيصلُ في هذا المقام، يدل على أن ابن صيادٍ ليس هو الدجال الذي يخرجُ في آخر الزمان، وهو ما أخرجه مسلم^(٣) عن فاطمة بنت قيس -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- أنها قالت: «سَمِعْتُ نِدَاءَ الْمُنَادِي مُنَادِي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يُنَادِي: الصَّلَاةَ جَامِعَةً. فَخَرَجْتُ إِلَى الْمَسْجِدِ فَصَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَكُنْتُ فِي صَفِّ النِّسَاءِ الَّتِي تَلِي ظُهُورَ الْقَوْمِ، فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- صَلَاتَهُ جَلَسَ عَلَى الْمُنْبَرِ وَهُوَ يَضْحَكُ، فَقَالَ لِيَلْزَمَ كُلُّ إِنْسَانٍ مُصَلَّاهُ، ثُمَّ قَالَ: أَتَدْرُونَ لِمَ جَمَعْتُكُمْ؟ قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «إِنِّي وَاللَّهِ مَا جَمَعْتُكُمْ لِرَغْبَةٍ

(١) (٢٩٢٧).

(٢) (٢٩٢٧).

(٣) في البداية والنهاية (١٢٧/١٩).

(٤) (٢٩٤٢).

وَلَا لِرَهْبَةٍ، وَلَكِنْ جَمَعْتُكُمْ لَأَنْ تَمِيماً الدَّارِي كَانَ رَجُلًا نَصْرَانِيًّا فَجَاءَ فَبَايَعَ وَأَسْلَمَ، وَحَدَّثَنِي حَدِيثًا وَافِقَ الَّذِي كُنْتُ أُحَدِّثُكُمْ عَنْ مَسِيحِ الدَّجَالِ، حَدَّثَنِي أَنَّهُ رَكِبَ فِي سَفِينَةٍ بَحْرِيَّةٍ مَعَ ثَلَاثِينَ رَجُلًا مِنْ لَحْمٍ وَجُذَامٍ. فَلَعِبَ بِهِمُ الْمَوْجُ شَهْرًا فِي الْبَحْرِ، ثُمَّ أَرْفَوْا -أَيَ التَّجَوُّوا- إِلَى جَزِيرَةٍ فِي الْبَحْرِ حَتَّى مَغْرِبِ الشَّمْسِ، فَجَلَسُوا فِي أَقْرَبِ السَّفِينَةِ، فَدَخَلُوا الْجَزِيرَةَ فَلَقِيَتْهُمْ دَابَّةٌ أَهْلَبُ كَثِيرِ الشَّعْرِ، لَا يَدْرُونَ مَا قُبْلُهُ مِنْ دُبُرِهِ مِنْ كَثَرَةِ الشَّعْرِ، فَقَالُوا: وَيْلَكَ مَا أَنْتَ؟ فَقَالَتْ: أَنَا الْجَسَّاسَةُ، قَالُوا: وَمَا الْجَسَّاسَةُ؟ قَالَتْ: أَيُّهَا الْقَوْمُ! انْطَلِقُوا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ فِي الدَّيْرِ -الدَّيْرُ: بَيْتٌ يَتَعَبَّدُ فِيهِ الرُّهْبَانُ- فَإِنَّهُ إِلَى خَبْرِكُمْ بِالْأَشْوَاقِ قَالَ: لَمَّا سَمِعْتُ لَنَا رَجُلًا فَرَقْنَا مِنْهَا أَنْ تَكُونَ شَيْطَانَةً، قَالَ: فَانْطَلَقْنَا سِرَاعًا حَتَّى دَخَلْنَا الدَّيْرَ، فَإِذَا فِيهِ أَعْظَمُ إِنْسَانٍ رَأَيْنَاهُ قَطُّ خَلْقًا، وَأَشَدُّهُ وَثَاقًا، مَجْمُوعَةٌ يَدَاهُ إِلَى عُنُقِهِ، مَا بَيْنَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى كَعْبَيْهِ بِالْحَدِيدِ، قُلْنَا: وَيْلَكَ مَا أَنْتَ؟ قَالَ: قَدْ قَدَرْتُ عَلَى خَبْرِي، فَأَخْبِرُونِي مَا أَنْتُمْ؟ قَالُوا: نَحْنُ أَنْاسٌ مِنَ الْعَرَبِ، رَكِبْنَا فِي سَفِينَةٍ بَحْرِيَّةٍ، فَصَادَفْنَا الْبَحْرَ حِينَ اغْتَلَمَ -أَيَ هَاجَ- فَلَعِبَ بِنَا الْمَوْجُ شَهْرًا، ثُمَّ أَرْفَأْنَا إِلَى جَزِيرَتِكَ هَذِهِ، فَجَلَسْنَا فِي أَقْرَبِهَا، فَدَخَلْنَا الْجَزِيرَةَ، فَلَقِيَتْنَا دَابَّةٌ أَهْلَبُ كَثِيرِ الشَّعْرِ لَا يَدْرَى مَا قُبْلُهُ مِنْ دُبُرِهِ مِنْ كَثَرَةِ الشَّعْرِ، فَقُلْنَا: وَيْلَكَ مَا أَنْتَ؟ فَقَالَتْ: أَنَا الْجَسَّاسَةُ، قُلْنَا: وَمَا الْجَسَّاسَةُ؟ قَالَتْ: ااعْمِدُوا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ فِي الدَّيْرِ فَإِنَّهُ إِلَى خَبْرِكُمْ بِالْأَشْوَاقِ. فَأَقْبَلْنَا إِلَيْكَ سِرَاعًا، وَفَزَعْنَا مِنْهَا، وَلَمْ نَأْمَنْ أَنْ تَكُونَ شَيْطَانَةً، فَقَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ نَحْلِ بَيْسَانَ. قُلْنَا: عَنْ أَيِّ شَأْنِهَا تَسْتَخِيرُ؟ قَالَ: أَسْأَلُكُمْ عَنْ نَخْلِهَا هَلْ يُثْمِرُ؟ قُلْنَا لَهُ: نَعَمْ. قَالَ: أَمَا إِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ لَا تُثْمِرَ. قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ بُحَيْرَةِ الطَّبْرِيةِ. قُلْنَا: عَنْ أَيِّ شَأْنِهَا تَسْتَخِيرُ؟ قَالَ: هَلْ فِيهَا مَاءٌ؟ قَالُوا: هِيَ كَثِيرَةُ الْمَاءِ. قَالَ: أَمَا إِنَّ مَاءَهَا يُوشِكُ أَنْ يَذْهَبَ. قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ عَيْنِ زُغَرَ. قَالُوا: عَنْ أَيِّ شَأْنِهَا تَسْتَخِيرُ؟ قَالَ: هَلْ فِي الْعَيْنِ مَاءٌ؟ وَهَلْ يَزْرَعُ أَهْلُهَا بِمَاءِ الْعَيْنِ؟ قُلْنَا لَهُ: نَعَمْ، هِيَ كَثِيرَةُ الْمَاءِ، وَأَهْلُهَا يَزْرَعُونَ مِنْ مَائِهَا. قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ نَبِيِّ الْأُمِّيِّينَ مَا فَعَلَ؟ قَالُوا: قَدْ خَرَجَ مِنْ مَكَّةَ وَنَزَلَ يَثْرِبَ، قَالَ: أَقَاتَلَهُ الْعَرَبُ؟ قُلْنَا: نَعَمْ. قَالَ: كَيْفَ صَنَعَ بِهِمْ؟ فَأَخْبَرَنَاهُ أَنَّهُ قَدْ ظَهَرَ عَلَى مَنْ يَلِيهِ مِنَ الْعَرَبِ وَأَطَاعُوهُ. قَالَ لَهُمْ: قَدْ كَانَ ذَلِكَ؟ قُلْنَا: نَعَمْ. قَالَ: أَمَا إِنَّ ذَلِكَ خَيْرٌ لَهُمْ أَنْ يُطِيعُوهُ، وَإِنِّي مُخْبِرُكُمْ عَنِّي، إِنِّي أَنَا الْمَسِيحُ، وَإِنِّي أُوشِكُ أَنْ يُؤْذَنَ لِي فِي الْخُرُوجِ، فَأَخْرَجَ فَأَسِيرَ فِي الْأَرْضِ فَلَا أَدَعُ قَرْيَةً إِلَّا هَبَطْتُهَا فِي أَرْبَعِينَ لَيْلَةً غَيْرَ مَكَّةَ وَطَيْبَةَ فَهُمَا مُحَرَّمَتَانِ عَلَيَّ كِلْتَاهُمَا، كُلَّمَا أَرَدْتُ أَنْ أَدْخُلَ

وَاحِدَةً - أَوْ وَاحِدًا - مِنْهُمَا اسْتَقْبَلَنِي مَلَكٌ بِيَدِهِ السَّيْفُ صَلَاتًا يَصُدُّنِي عَنْهَا، وَإِنَّ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ مِنْهَا مَلَائِكَةً يَحْرُسُونَهَا. قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَطَعَنَ بِمِخْصَرَتِهِ فِي الْمُنْبَرِ: «هَذِهِ طَيْبَةٌ هَذِهِ طَيْبَةٌ هَذِهِ طَيْبَةٌ -يَعْنِي الْمَدِينَةَ- أَلَا هَلْ كُنْتُ حَدَّثْتُكُمْ ذَلِكَ؟ فَقَالَ النَّاسُ: نَعَمْ، فَإِنَّهُ أَعْجَبَنِي حَدِيثُ تَمِيمٍ أَنَّهُ وَافَقَ الَّذِي كُنْتُ أَحَدِثُكُمْ عَنْهُ وَعَنِ الْمَدِينَةِ وَمَكَّةَ، أَلَا إِنَّهُ فِي بَحْرِ الشَّامِ أَوْ بَحْرِ الْيَمَنِ، لَا بَلْ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ مَا هُوَ، مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ مَا هُوَ، مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ مَا هُوَ، وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى الْمَشْرِقِ». قَالَتْ فَاطِمَةُ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا-: «فَحَفِظْتُ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ».

فهذا الحديث يدلّ على أن ابن صيَّادٍ ليس بالدجال الذي يخرج في آخر الزمان، وهو فيصلّ في هذا المقام كما قال ابن كثير -رَحِمَهُ اللَّهُ-، ويدلّ على أن الدَّجَالَ حَيُّ الْآنَ، وَيُوشِكُ أَنْ يُؤْذَنَ لَهُ فِي الْخُرُوجِ فَيُخْرَجُ.

هذا قوله:

(وَشَاعَ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ إِشْكَالُ هَلِ ابْنُ صَيَّادٍ هُوَ الدَّجَالُ؟
لَيْسَ بِهِ عَلَى الصَّحِيحِ الدَّانِي وَإِنَّمَا كَانَ مِنَ الْكُهَّانِ)

ثم ختم الكلام عن هذه الفتنة العظيمة بالإشارة إلى بعض الإرشادات النبوية التي تكون سبباً في النجاة منها والوقاية من شرها، فقال:

(يُنْجِي مِنَ الدَّجَالِ: حِفْظُ أَوَّلِ عَشْرِ مِنْ الْكُهْفِ...)

الأول مما يُنْجِي مِنَ الدَّجَالِ: حِفْظُ عَشْرِ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكُهْفِ.

أخرج مسلم في صحيحه^(١) عن أبي الدرداء -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكُهْفِ عُصِمَ مِنَ الدَّجَالِ».

وفي رواية^(٢): «مَنْ أَخْرَجَ الْكُهْفَ» والصوابُ رواية: «مَنْ أَوَّلَ سُورَةِ الْكُهْفِ».

(١) (٨٠٩).

(٢) (٨٠٩).

وأرشد النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إلى قراءة فواتح سورة الكهف على الدجال، فقال كما في صحيح مسلم^(١) من حديث النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-: «فَمَنْ أَدْرَكَهُ مِنْكُمْ، فَلْيَقْرَأْ عَلَيْهِ فَوَاتِحَ سُورَةِ الْكَهْفِ».

ثم قال: (وَعِلْمٌ بِالْعَلِيِّ) سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وقد قال النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كما في صحيح مسلم^(٢): «تَعَلَّمُوا أَنَّهُ أَعْوَرٌ، وَأَنَّ اللَّهَ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- لَيْسَ بِأَعْوَرَ».

وقال كما في صحيح مسلم^(٣): «تَعَلَّمُوا أَنَّهُ لَنْ يَرَى أَحَدًا مِنْكُمْ رَبَّهُ حَتَّى يَمُوتَ» والدجال يراه الناس عند خروجه مؤمنهم وكافرهم.

وفي صحيح مسلم^(٤) عن أَبِي سَعِيدٍ الْخَدْرِيِّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «يَخْرُجُ الدَّجَالُ فَيَتَوَجَّهُ قِبَلَهُ رَجُلٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، فَتَلْقَاهُ الْمَسَالِحُ مَسَالِحُ الدَّجَالِ -المسالح: قومٌ من أتباع الدجال معهم السلاح- فَيَقُولُونَ لَهُ: أَيْنَ تَعْمِدُ؟ فَيَقُولُ: أَعْمِدُ إِلَى هَذَا الَّذِي خَرَجَ، قَالَ: فَيَقُولُونَ لَهُ: أَوْ مَا تُؤْمِنُ بِرَبِّنَا؟ فَيَقُولُ: مَا بِرَبِّنَا خَفَاءٌ، فَيَقُولُونَ: اقْتُلُوهُ، فَيَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: أَلَيْسَ قَدْ نَهَاكُمُ رَبُّكُمْ أَنْ تَقْتُلُوا أَحَدًا دُونَهُ، قَالَ: فَيَنْطَلِقُونَ بِهِ إِلَى الدَّجَالِ، فَإِذَا رَأَاهُ الْمُؤْمِنُ، قَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ هَذَا الدَّجَالُ الَّذِي ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-».

وفي رواية في الصحيحين^(٥): «فَيَخْرُجُ إِلَيْهِ يَوْمَئِذٍ رَجُلٌ هُوَ خَيْرُ النَّاسِ -أَوْ مِنْ خَيْرِ النَّاسِ- فَيَقُولُ لَهُ: أَشْهَدُ أَنَّكَ الدَّجَالُ الَّذِي حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حَدِيثَهُ، فَيَقُولُ الدَّجَالُ: أَرَأَيْتُمْ إِنْ قَتَلْتُ هَذَا ثُمَّ أَحْيَيْتُهُ، أَتَشْكُونَ فِي الْأَمْرِ؟ فَيَقُولُونَ:

(١) (٢٩٣٧).

(٢) (١٦٩).

(٣) (١٦٩).

(٤) (٢٩٣٨).

(٥) أخرجه البخاري (١٨٨٢) ومسلم (٢٩٣٨).

لا. قال: فَيَقْتُلُهُ ثُمَّ يُحْيِيهِ. فَيَقُولُ حِينَ يُحْيِيهِ: وَاللَّهِ مَا كُنْتُ فِيكَ قَطُّ أَشَدَّ بَصِيرَةً مِنِّي الْآنَ! قال: فَيُرِيدُ الدَّجَالُ أَنْ يَقْتُلَهُ فَلَا يُسَلِّطُ عَلَيْهِ».

فهذا الرجل أتى الدَّجَالُ، وكان عارفاً بربه، حتى قال: «ما برئنا خفاء»، وكان عالماً بسُنَّةِ نَبِيِّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وحديثه فيقول: «يا أيها الناس هذا الدجال الذي ذكر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» ويقول: «أشهد أنك الدجال الذي حدثنا رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حديثه»، فيُعَصِّمُ ويحفظُ بعلمه بالله، وبعلمه بحديث رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فالتسلح بالعلم والإيمان نجاة من الفتن.

(فَالْجَهْلُ أَصْلُ الْفِتَنِ الْعَظَائِمِ وَالْعِلْمُ وَالْإِيمَانُ أَمْنُ الْعَالَمِ)

والدجال لا يظهر حاله إلا لأهل الإيمان، كما قال النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ: كَافِرٌ، يَقْرَأُ كُلُّ مُؤْمِنٍ كَاتِبٍ وَغَيْرِ كَاتِبٍ»^(١).

ثم قال: (تَعُوذُ بِاللَّهِ ذِي الْجَلَالِ).

في الصحيحين^(٢) عن عائشة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كَانَ يَدْعُو فِي الصَّلَاةِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ. اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْمَأْثَمِ وَالْمَغْرَمِ».

وفي صحيح مسلم^(٣) عن أبي هريرة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أنه قال: قال رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنْ أَرْبَعٍ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ».

قال الإمام مسلم^(٤): "بلغني أن طاوساً قال لابنه: أدعوت بها في صلاتك؟ فقال: لا، قال: أعد صلاتك".

(١) أخرجه مسلم (٢٩٣٤).

(٢) أخرجه البخاري (٨٣٢)، ومسلم (٥٨٩).

(٣) (٥٨٨).

(٤) عقب حديث (٥٩٠).

وهذا فيه حرص السلف على تعليم أبنائهم هذا الدعاء العظيم.

ثم قال: **(وَالنَّائِي بِالنَّفْسِ مِنَ الدَّجَالِ)**.

ثبت عند أحمد^(١) وأبي داود^(٢) عن عمران بن حصين -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- عن النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أنه قال: **«مَنْ سَمِعَ بِالدَّجَالِ فَلْيُنْأَمِنْهُ، مَنْ سَمِعَ بِالدَّجَالِ فَلْيُنْأَمِنْهُ، مَنْ سَمِعَ بِالدَّجَالِ فَلْيُنْأَمِنْهُ، فَإِنَّ الرَّجُلَ يَأْتِيهِ يَحْسِبُ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ فَمَا يَزَالُ بِهِ لَمَّا مَعَهُ مِنَ الشُّبْهِ حَتَّى يَتَّبِعَهُ»**.

نسأل الله أن يُعِينَنَا مِنَ الْفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ.

بِكَ الْعِيَاذُ يَا عَظِيمَ الطَّوْلِ مِنْ كُلِّ فِتْنَةٍ وَكُلِّ هَوْلٍ

📖 المتن:

يُنْزَلُ عَدْلًا حَكَمًا بِالشَّامِ	ثُمَّ ابْنُ مَرْيَمَ مِنَ الْأَعْلَامِ
مَعَ مَلَائِكِينَ، مِنْ عُلُوِّ جَاءِ	وَذَا لَدَى الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ
مِنْهُ جُمانٌ أَوْ يُطَاطِئُ قَطْرًا	فَإِنْ يُرْفَعُ رَأْسُهُ تَحَدَّرَا
وَمُنْتَهَى نَفْسِهِ حَيْثُ يَرَى	يَمُوتُ مِنْ نَفْسِهِ مَنْ كَفَرَا
يَكْسِرُهُ، وَيَضَعُ الْحُرُوبَا	فَيَقْتُلُ الْخَزِيرَ، وَالصَّلِيلَا
وَلَيْسَ يَقْبَلُ سِوَى الْإِسْلَامِ	وَيَرْجِعُ السَّلْمَ إِلَى الْأَنَامِ
مُتَّبِعًا نَبِيَّنَا الْعَدْنَانِي	يَحْكُمُ بِالسَّنةِ وَالْقُرْآنِ
وَتَذْهَبُ الشَّحْنَاءُ وَالْبَغْضَاءُ	يَشِيعُ فِي زَمَانِهِ الرَّخَاءُ

الشرح:

قال: **(ثُمَّ ابْنُ مَرْيَمَ مِنَ الْأَعْلَامِ)**

الأعلام: جمع عَلَمٍ، والعَلَمُ: العلامة والأَمارة.

(١) (١٩٨٧٥) وصحح إسناده محققوه.

(٢) (٤٣١٩).

فنزول عيسى ابن مريم -عليه السلام- في آخر الزمان من علامات الساعة وأشراتها الكبرى، وهو ثابت بالكتاب والسنة المتواترة والإجماع.

فمن الكتاب:

■ قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾ [الزخرف: ٥٧] إلى قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ﴾ [الزخرف: ٦١]. والمقصود: أن نزول عيسى -عليه السلام- قبل يوم القيامة علامة على قرب الساعة، ويدل لذلك قراءة ابن عباس ومجاهد وغيرهما: ﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ﴾ أي علامة وأمارة على الساعة.

وأخرج الإمام أحمد^(١) وحسن إسناده محققوه عن ابن عباس -رضي الله عنهما- في تفسير قوله تعالى ﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ﴾ [الزخرف: ٦١] قال: "هو خروج عيسى ابن مريم -عليه السلام- قبل يوم القيامة".

■ ويدل لذلك أيضاً من القرآن قوله تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾ [النساء: ١٥٧] إلى قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِّنْ أَهْلٍ أَلْكِتَبِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ ۚ قَبْلَ مَوْتِهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ [النساء: ١٥٩].

بعد أن أبطل سبحانه وتعالى ما ادّعته اليهود من قتل عيسى -عليه السلام- وأخبر سبحانه أنه رفع عيسى -عليه السلام- إلى السماء، قال سبحانه: ﴿وَإِنْ مِّنْ أَهْلٍ أَلْكِتَبِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ ۚ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ [النساء: ١٥٩] أي ما من أهل الكتاب أحد إلا سيؤمن بعيسى -عليه السلام- حين نزوله في آخر الزمان قبل موت عيسى -عليه السلام-.

﴿وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ [النساء: ١٥٩] يكون عيسى -عليه السلام- شهيداً عليهم بأعمالهم التي شاهدها منهم قبل رفعه إلى السماء وبعد نزوله إلى الأرض، فعيسى -عليه السلام- لم يُقتل ولم يُصلب؛ بل رفعه الله إليه، وهو حيٌّ الآن، وهو في السماء، وسينزل قبل قيام الساعة.

(١) (٢٩١٨).

وأما قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يُعِيسَى ابْنِي مَتُوفِيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىٰ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [آل عمران: ٥٥] فالمعنى: إني قابضك من الأرض تامًّا مستوفياً لمدتك فيها من غير موت، ورافعك ببدنك وروحك إليّ، ومُنزّهك من رجس الذين كفروا بك، ومُنجٍ لك من مكربهم.

وأما أدلة السُّنَّة على نزول عيسى -عليه السَّلام- إلى الأرض في آخر الزمان فكثيرة متواترة:

■ منها: ما في الصحيحين^(١) عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أنه قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزَلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا عَدْلًا فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ وَيَقْتُلَ الْخَنزِيرَ وَيَضَعُ الْجِزْيَةَ -وفي رواية: وَيَضَعُ الْحَرْبَ- وَيَفِيضَ الْمَالُ حَتَّى لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ، حَتَّى تَكُونَ السَّجْدَةُ الْوَاحِدَةُ خَيْرًا مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا. ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ: وَاقْرَأُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿وَإِنْ مِّنْ أَهْلٍ لَّكُتُبٍ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ﴾ قَبْلَ مَوْتِهِ ﷺ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ [النساء: ١٥٩]».

وهذا تفسيرٌ من أبي هريرة -رضي الله عنه- لهذه الآية بأن المراد بها نزول عيسى -عليه السَّلام- في آخر الزمان وإيمان أهل الكتاب به.

■ وفي الصحيحين^(٢) أيضًا عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أنه قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا نَزَلَ ابْنُ مَرْيَمَ فِيكُمْ وَإِمَامُكُمْ مِنْكُمْ؟».

■ وفي صحيح مسلم^(٣) عن جابر -رضي الله عنه- أنه قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ -صلى الله عليه وسلم- يَقُولُ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ. قَالَ: فَيَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَيَقُولُ أَمِيرُهُمْ: تَعَالِ صَلِّ لَنَا. فَيَقُولُ: لَا. إِنْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ أُمَرَاءُ. تَكْرِمَةً اللَّهُ هَذِهِ الْأُمَّةَ».

(١) أخرجه البخاري (٣٤٤٨)، ومسلم (١٥٥).

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٤٩)، ومسلم (١٥٥).

(٣) (١٥٦).

■ وفي مسند الإمام أحمد^(١) وصححه محققوه عن أبي هريرة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-: أن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: «الأنبياءُ إخوةٌ لِعَلَّاتٍ أمهاتهم شتى ودينهم واحدٌ -العلات: الضرائر أي أنهم إخوةٌ من الأب وأمهم شتى، والمقصود: أن أصل دينهم واحد وهو التوحيد، وإن اختلفت فروع الشرائع- وإني أولى الناس بعيسى ابن مريم؛ لأنه لم يكن بيني وبينه نبيٌّ، وإنه نازلٌ، فإذا رأيتموه فاعرفوه».

وقد تواترت الأحاديث بنزول عيسى -عَلَيْهِ السَّلَام-، وأجمع عليه المسلمون، وذكره أهل السنة في كتب العقائد.

وقد تلمس العلماء حكماً لنزول عيسى -عَلَيْهِ السَّلَام- آخر الزمان دون غيره من الأنبياء، ومن أقوى ما ذكره وجهان:

○ الوجه الأول: الرد على اليهود في زعمهم أنهم قتلوا عيسى -عَلَيْهِ السَّلَام-، فبين الله تعالى كذبهم، وأن عيسى -عَلَيْهِ السَّلَام- هو الذي سيقتلهم ويقتل رئيسهم الدجال.

○ والوجه الآخر: الرد على النصارى في دعواهم أن عيسى ابن الله -تعالى الله-، وأن عيسى ثالث ثلاثة، وأنه صُلب لتكفير خطايا أتباعه، فينزل مكدباً ذلك ومبطلاً دعاويهم فيه وفي أمه، فيكسر الصليب الذي جعلوه علامةً على موته، ويقتل الخنزير، ويهلك الله الملل كلها في زمانه فلا تبقى إلا ملّة الإسلام.

ثم قال: (يُنْزَلُ عَدْلًا حَكَمًا).

في الصحيحين^(٢) من حديث أبي هريرة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أنه قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزَلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا عَدْلًا». وفي رواية لمسلم^(٣): «حَكَمًا عَادِلًا»، وفي رواية له^(٤): «إِمَامًا مَقْسُطًا وَحَكَمًا عَدْلًا». ثم بين مكان نزوله فقال: (بِالشَّامِ وَذَا لَدَى الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ).

(١) (٩٢٧٠).

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٤٨)، ومسلم (١٥٥).

(٣) (١٥٥).

(٤) (١٥٥).

ثم بيّن صفة نزوله فقال:

(مَعَ مَلَائِكَةٍ، مِنْ عُلُوِّ جَاءِ
فَإِنْ يُرْفَعُ رَأْسُهُ تَحَدَّرَا مِنْهُ جُمَانٌ أَوْ يُطَاطَأُ قَطْرًا
يَمُوتُ مِنْ نَفْسِهِ مَنْ كَفَرَ وَمُنْتَهَى نَفْسِهِ حَيْثُ يَرَى)

بعد خروج الدجال وإفساده في الأرض، يبعث الله عيسى -عليه السلام- فينزل إلى الأرض ويكون نزوله بالشام عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين أي لابسا مهرودتين، وهما ثوبان مصبوغان بورس ثم زعفران، واضعاً كفيه على أجنحة ملكين، إذا طأطأ رأسه قطر، وإذا رفعه تحدّر منه جمان كاللؤلؤ، ولا يحلّ لكافر يجد ريح نفسه إلا مات، ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه، ويكون نزوله على الطائفة المنصورة التي تقاتل على الحق، وتكون مجتمعة لقتال الدجال، فينزل عيسى -عليه السلام- وقت إقامة الصلاة، يصلي خلف أمير تلك الطائفة.

في صحيح مسلم^(١) عن النّوّاس بن سميان -رضي الله عنهما- في حديثه الطويل في ذكر الدجال ثم ذكر نزول عيسى -عليه السلام- قال: «فبينما هو كذلك -أي الدجال- إذ بعث الله المسيح ابن مريم، فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين، واضعاً كفيه على أجنحة ملكين، إذا طأطأ رأسه قطر، وإذا رفعه تحدّر منه جمان كاللؤلؤ».

الجمان: حبات من الفضة تُصنع على هيئة اللؤلؤ الكبار والمراد: أنه يتحدّر منه الماء على هيئة اللؤلؤ في صفائه، فسمي الماء جماناً؛ لشبهه به في الصفاء والحسن.

قال: «فلا يحلّ لكافر يجد ريح نفسه إلا مات، ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه، فيطلبه -أي يطلب عيسى -عليه السلام- الدجال- حتى يدركه بباب لبّ، فيقتله، ثم يأتي عيسى ابن مريم قوم قد عصمهم الله منه، فيمسح عن وجوههم ويحدّثهم بدرجاتهم في الجنة».

ثم قال:

(١) (٢٩٣٧).

(فَيَقْتُلُ الْخَنْزِيرَ، وَالصَّلِيبَ يَكْسِرُهُ، وَيَضَعُ الْحُرُوبَا)

هذا من أعمال عيسى -عَلَيْهِ السَّلَام- إذا نزل في آخر الزمان، وسبق حديث الصحيحين^(١):
«وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزَلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا عَدْلًا، فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلَ الْخَنْزِيرَ، وَيَضَعَ الْجِزْيَةَ» وفي رواية: **«ويضع الحرب»**.

قال: **(فَيَقْتُلُ الْخَنْزِيرَ)** والمعنى: أنه يأمر بقتله مبالغةً في تحريم أكله، وفيه توبيخٌ عظيمٌ للنصارى الذين يدعون أنهم على طريقة عيسى -عَلَيْهِ السَّلَام- ثم يستحلون أكل الخنزير، ويبالغون في محبته، ففي قتله تكذيبٌ للنصارى في دعواهم أنه حلالٌ في شريعتهم. ثم قال: **(وَالصَّلِيبَ يَكْسِرُهُ)** والصليب عند النصارى علامةٌ على صلب عيسى -عَلَيْهِ السَّلَام- وموته، ففي كسر الصليب إبطالٌ لدعواهم وكشفٌ لزيفهم وتكذيبٌ لهم في دعواهم أنه ابن الله وأنه ثالث ثلاثة وأنه صليب.

ثم قال: **(وَيَضَعُ الْحُرُوبَا)** ويكون وضع الحرب بعد قتل الدجال ومن معه من اليهود وبعد موت يأجوج ومأجوج؛ حيث يؤمن أهل الأرض جميعاً.

أخرج النسائي^(٢) وهو في السلسلة الصحيحة^(٣) عن سَلَمَةَ بْنِ نُفَيْلٍ الْكِنْدِيِّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أنه قال: **«بينما أنا جالس عند رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إذ جاءه رجلٌ فقال: يا رسول الله، إِنَّ الْخَيْلَ قَدْ سَيَّبَتْ وَوُضِعَ السِّلَاحُ وَزَعَمَ أَقْوَامٌ أَلَّا قِتَالًا وَأَنْ قَدْ وَضَعَتِ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «كَذَبُوا، الْآنَ جَاءَ الْقِتَالُ، وَلَا يَزَالُ مِنْ أُمَّتِي أُمَّةٌ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ، يُزِيغُ اللَّهُ قُلُوبَ قَوْمٍ، يَرْزُقُهُمْ مِنْهُمْ، يُقَاتِلُونَ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ، وَلَا تَضَعُ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا حَتَّى يَخْرُجَ يَأْجُوجٌ وَمَأْجُوجٌ»**.

وهذا معنى قوله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عن عيسى -عَلَيْهِ السَّلَام-: **«ويضع الحرب»**، ومعنى قوله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عن زمان عيسى -عَلَيْهِ السَّلَام-: **«وتضع الحروب»**

(١) سبق تخريجه قريباً.

(٢) في السنن الكبرى (٨٦٥٩).

(٣) (١٩٣٥) (٥٧١/٤).

أَوْزَارَهَا»، وهو معنى قوله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فيما أخرجه الإمام أحمد^(١) وقال ابن كثير^(٢): «إسناده جيد قويٌّ صالح»: **«وَيَرْجِعُ السِّلْمَ، وَيَتَّخِذُ السُّيُوفَ مَنَاجِلَ».**

والمناجل: جمع منجل، وهي حديدة يُقَضَّبُ بها الزرع.

والمعنى: أن الحرب تضع أوزارها ويشتغل الناس بالحرث والزراعة؛ لذا قال بعد ذلك:

(وَيَرْجِعُ السِّلْمَ إِلَى الْأَنَامِ وَلَيْسَ يَقْبَلُ سِوَى الْإِسْلَامِ)

عند ابن ماجه^(٣) وهو في صحيح الجامع الصغير^(٤): **«وَتُمْلَأُ الْأَرْضُ مِنَ السِّلْمِ كَمَا يُمْلَأُ الْإِنَاءُ مِنَ الْمَاءِ، وَتَكُونُ الْكَلِمَةُ وَاحِدَةً فَلَا يُعْبَدُ إِلَّا اللَّهُ، وَتَضَعُ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا».**

وفي مسند الإمام أحمد^(٥) وصحَّحه محققوه: **«وَيَدْعُو النَّاسَ إِلَى الْإِسْلَامِ»** أي يدعو عيسى -عليه السَّلام- الناسَ إلى الإسلام **«فِيْمَلِكُ اللَّهُ فِي زَمَانِهِ الْمَلَّ كُلَّهَا إِلَّا الْإِسْلَامَ».**

(وَيَرْجِعُ السِّلْمَ إِلَى الْأَنَامِ) الفعل (رَجَعَ) يتعدى بنفسه في اللغة الفصحى، فتقول: رَجَعْتُهُ عن الشيء أي رَدَدْتُهُ عنه، وتقول: رَجَعَهُ، وَيَرْجِعُهُ، وَهُذَيْلٌ تُعَدِّيهِ بِالْهَمْزَةِ فتقول: أَرْجَعُهُ وَيُرْجِعُهُ -بضم حرف المضارعة-، ولغته تعديته بنفسه هي الفصحى، وبها جاء القرآن: ﴿فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِّنْهُمْ﴾ [التوبة: ٨٣]، ﴿فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمَمٍ﴾ [طه: ٤٠]، ﴿تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الواقعة: ٨٧].

وفي رواية^(٦): **«ويضع الجزية»** مكان **«ويضع الحرب»** والمعنى: أنه لا يقبل الجزية، ولا يقبل من الكفار إلا الإسلام أو القتال، فمشروعية الجزية في شريعتنا مقيّدة بنزول عيسى -عليه السلام- بإخبار نبينا -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-؛ فهو -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- المُبَيَّن

(١) (١٠٢٦٠).

(٢) (٢٢١/١٩).

(٣) (٤٠٧٧).

(٤) (٧٨٧٥) (١٣٠٢/٢).

(٥) (٩٢٧٠).

(٦) عند البخاري (٢٢٢٢)، ومسلم (١٥٥).

لننسخ بقوله لنا: «وَاللّٰهُ لَيَنْزِلَنَّ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا عَادِلًا، فَلْيَكْسِرَنَّ الصَّلِيبَ، وَلْيَقْتُلَنَّ الْخَنَزِيرَ، وَلْيَضَعَنَّ الْجِزْيَةَ».

ثم قال:

(يَحْكُمُ بِالسُّنَّةِ وَالْقُرْآنِ مُتَّبِعًا نَبِيَّنَا الْعَدْنَانِي)

إذا نزل عيسى -عَلَيْهِ السَّلَام- في آخر الزمان، فإنه يحكم بشريعة نبينا -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ولا ينزل بشرع جديد، بل يكون من أتباع نبينا -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-؛ لأن دين الإسلام خاتم الأديان وهو باقٍ إلى قيام الساعة لا يُنسخ، فيكون عيسى -عَلَيْهِ السَّلَام- حاكمًا من حكام هذه الأمة، ومجددًا لأمر الإسلام؛ إذ لا نبي بعد نبينا -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

أخرج مسلمٌ في صحيحه^(١) عن أبي هريرة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أن رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: «كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا نَزَلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ فَأَمَّكُمْ مِنْكُمْ؟» قال الوليد بن مسلم أحد رواة الحديث: فَقُلْتُ لِابْنِ أَبِي ذَنْبٍ: إِنَّ الْأَوْزَاعِيَّ حَدَّثَنَا عَنْ الزُّهْرِيِّ عَنْ نَافِعٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: «وَأَمَّاكُمْ مِنْكُمْ» قَالَ ابْنُ أَبِي ذَنْبٍ: تَدْرِي مَا أَمَّكُمْ مِنْكُمْ؟ قُلْتُ: تُخْبِرُنِي. قَالَ: فَأَمَّكُمْ بِكِتَابِ رَبِّكُمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَسُنَّةِ نَبِيِّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وفي صحيح مسلم^(٢) عن جابر بن عبد الله -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- أنه قال: سمعت رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يقول: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ. قَالَ: فَيَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ -عَلَيْهِ السَّلَامُ-، فيَقُولُ أَمِيرُهُمْ: تَعَالِ صَلِّ بَنَا. فيَقُولُ: لَا. إِنَّ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ أُمَرَاءُ تَكْرِمَةَ اللَّهِ هَذِهِ الْأُمَّةَ».

وهذا الإمام الذي يصلي عيسى -عَلَيْهِ السَّلَام- خلفه هو المهدي كما سبق، وفي صلاة عيسى -عَلَيْهِ السَّلَام- خلف المهدي مع أن عيسى -عَلَيْهِ السَّلَام- أفضل منه والمهدي فردٌ من أفراد هذه الأمة دلالةً على أن عيسى -عليه السلام- نزل تابعًا لنبينا، حاكمًا بشريعة نبينا -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

ثم قال:

(١) (١٥٥).

(٢) (١٥٦).

(يَشِيعُ فِي زَمَانِهِ الرَّخَاءُ وَتَذْهَبُ الشَّحْنَاءُ وَالْبَغْضَاءُ)

زمن عيسى -عَلَيْهِ السَّلَام- زمن أمنٍ وسلامٍ ورخاءٍ، تذهب فيه الشحناء والبغضاء، يرسل الله فيه المطر الغزير، وتُخرج الأرض ثمرتها وبركتها، ويفيض المال.

في صحيح مسلم^(١) في حديث النّوّاس بن سَمْعَانَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- الطويل في ذكر الدجال، ونزول عيسى -عَلَيْهِ السَّلَام-، وخروج يأجوج ومأجوج، ودعاء عيسى -عَلَيْهِ السَّلَام- عليهم وهلاكهم، فيه قوله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «ثُمَّ يُقَالُ لِلْأَرْضِ: أَنْبِئِي ثَمَرَتَكَ، وَرُدِّي بَرَكَتَكَ، فَيَوْمَئِذٍ تَأْكُلُ الْعِصَابَةُ مِنَ الرُّمَانَةِ، وَيَسْتَظِلُّونَ بِقِحْفِهَا -أي بقشرها- وَيُبَارِكُ فِي الرِّسْلِ -وهو اللبن- حَتَّى أَنْ اللَّقْحَةَ مِنَ الْإِبِلِ لَتَكْفِيَ الْفِئَامَ مِنَ النَّاسِ، وَاللَّقْحَةَ مِنَ الْبَقَرِ لَتَكْفِيَ الْقَبِيلَةَ مِنَ النَّاسِ، وَاللَّقْحَةَ مِنَ الْغَنَمِ لَتَكْفِيَ الْفَخْدَ مِنَ النَّاسِ».

وفي مسند الإمام أحمد^(٢) وصحيح ابن حبان^(٣) وهو في السلسلة الصحيحة^(٤) عن أبي هريرة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- في زمن عيسى -عَلَيْهِ السَّلَام-، بعد هلاك الدجال ويأجوج ومأجوج، قال -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «ثُمَّ تَقَعُ الْأَمْنَةُ عَلَى الْأَرْضِ، حَتَّى تَرْتَعَ الْأَسْوَدُ مَعَ الْإِبِلِ، وَالنِّمَارُ مَعَ الْبَقَرِ، وَالذِّئَابُ مَعَ الْغَنَمِ، وَيَلْعَبُ الصِّبْيَانُ بِالْحَيَاتِ لَا تَضُرُّهُمْ».

وفي المسند^(٥) أيضًا وقال ابن كثير^(٦): "إسناده جيّد قويّ صالح" عن أبي هريرة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «وَتَذْهَبُ حُمَةٌ كُلُّ ذَاتِ حُمَةٍ -أي يذهب سمّ ذوات السموم- وَتُنْزَلُ السَّمَاءُ رِزْقُهَا، وَتُخْرَجُ الْأَرْضُ بِرَكَّتِهَا، حَتَّى يَلْعَبَ الصَّبِيُّ بِالثُّعْبَانِ فَلَا يَضُرُّهُ، وَيُرَاعِي الْغَنَمَ الذِّئْبُ فَلَا يَضُرُّهَا، وَيُرَاعِي الْأَسَدُ الْبَقَرَ فَلَا يَضُرُّهَا».

(١) (٢٩٣٧).

(٢) (٩٢٧٠).

(٣) (٦٨٢١).

(٤) (٢١٨٢).

(٥) (١٠٢٦١).

(٦) (٢٢١/١٩).

وفي صحيح مسلم^(١) عن أبي هريرة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أنه قال: قال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «وَلْتَتَرَكَنَّ الْقِلَاصُ -القِلَاصُ: جمع قُلُوصٍ وهي الفَتِيَّة من الإبل- فلا يُسْعَى عليها، وَلْتَذْهَبَنَّ الشَّخْنَاءُ وَالتَّبَاغُضُ وَالتَّحَاسُدُ، وَلْيَدْعُوَنَّ إِلَى الْمَالِ فلا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ».

قال النووي^(٢): "معناه: أن يُزْهَدَ فيها -أي في الإبل- ولا يُرْغَبَ في اقتنائها؛ لكثرة الأموال، وقلة الآمال، وعدم الحاجة، والعِلْم بقرب القيامة. وإنما ذُكِرَت القِلَاص؛ لكونها أشرف الإبل التي هي أنفس الأموال عند العرب".

وأخرج أبو بكر الأنباري في حديثه^(٣) وهو في السلسلة الصحيحة^(٤) عن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: «طُوبَى لِعَيْشٍ بَعْدَ الْمَسِيحِ، طُوبَى لِعَيْشٍ بَعْدَ الْمَسِيحِ، يُؤْذَنُ لِلسَّمَاءِ فِي الْقَطْرِ، وَيُؤْذَنُ لِلْأَرْضِ فِي النَّبَاتِ، فلو بَذَرْتَ حَبَّكَ عَلَى الصَّفا لَنَبَتَ، وَلَا تَشَاحَّ وَلَا تَحَاسُدَ وَلَا تَبَاغُضَ حَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ عَلَى الْأَسَدِ وَلَا يَضُرَّهُ، وَيَطَأُ عَلَى الْحَيَّةِ فلا تَضُرُّهُ».

📖 المتن:

أَحْمَرُ	رَجُلٌ	وَعَرِيضُ	الْصَّدْرِ	مَنْ وَصَفِهِ الْوَارِدُ:	سَبَطُ الشَّعْرِ
كَأَنَّمَا	خَرَجَ	مِنْ	دِيمَاسٍ	آدَمُ جَعَدُ رُبْعَةً	فِي النَّاسِ
وَقِيلَ:	سَبْعَةً	مِنْ	الْأَعْوَامِ	يَمُكْتُ	أَرْبَعِينَ فِي الْأَنَامِ

الشرح:

قال:

أَحْمَرُ	رَجُلٌ	وَعَرِيضُ	الْصَّدْرِ	(مَنْ وَصَفِهِ الْوَارِدُ:	سَبَطُ الشَّعْرِ
كَأَنَّمَا	خَرَجَ	مِنْ	دِيمَاسٍ)	آدَمُ جَعَدُ رُبْعَةً	فِي النَّاسِ

(١) (١٥٥).

(٢) (١٩٢/٢).

(٣) (٤٧).

(٤) (١٩٢٦) (٥٥٩/٤).

هذان البيتان في وصف عيسى عليه السلام.

قال: (مِنْ وَصْفِهِ الْوَارِدِ: سَبْطُ الشَّعْرِ) أي مسترسل الشعر غير جعد.

(أَحْمَرُ) والأحمر عند العرب: الشديد البياض مع حمرة.

(رَجُلٌ) يقال: رجل الشعر، ورجل الشعر أي شعره بين السبوط والجعودة.

(وَعَرِيضُ الصَّدْرِ) أي مُتَّسِعُهُ.

(آدَمُ) أي أسمر، وهذا يخالف ما تقدم من وصفه بالبياض مع الحمرة.

(جَعْدٌ) والجعد من الشعر خلاف السبط، يقال: "جعد الشعر" أي في شعره تَنَنٌّ

وتكسُّرٌ، وهذا يخالف ما تقدّم من وصفه بالسبوط.

(رُبْعَةٌ فِي النَّاسِ) أي بين الطول والقصر.

(كَأَنَّمَا خَرَجَ مِنْ دِيمَاسٍ) الديماس: الحَمَّام. والمقصود: وصفه بصفاء اللون ونضارة

الجسم، وكثرة ماء الوجه. وهذه الصفات كلها قد صحّت بها الأحاديث.

والإشكال هو في صفتين:

↩ في لون بشرته.

↩ وفي صفة شعره.

↩ أما لون البشرة فقد وُصِفَ بالبياض والحمرة وُوصِفَ بالأدمة وهي السُّمرة، ولا

تعارض فأدمته خفيفة صافية، تَقَرُّبُ من البياض والحمرة.

جمع بينهما بهذا القرطبي^(١) والنووي^(٢).

↩ وأما صفة الشعر فقال النووي في شرح مسلم^(٣): "المراد بالجعد هنا: جعودة

الجسم، وهو اجتماعه واكتنازه، وليس المراد جعودة الشعر".

(١) (٤٠٠/١).

(٢) (٢٣٣/٢).

(٣) (٢٢٧/٢).

ولا مانع من أن يكون صفةً للشعر؛ فإن الأكثر في الجعودة أن تكون صفةً للشعر، فيُجمع بين وصف شعره بالجعودة ووصفه بالسبوطه بأنه بين الجعودة والسبوطه، ويؤيده أنه وُصف بأنه رَجُلُ الشعر، ومعنى رَجُلِ الشعر أنه بين السبوطه والجعودة.

وأما أدلة هذه الصفات: ففي الصحيحين^(١) عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أنه قال: قال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «لَيْلَةُ أُسْرِي بِي لَقِيتُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَنَعْتَهُ» إلى أن قال: «وَلَقِيتُ عِيسَى، فَنَعْتَهُ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَإِذَا رُبْعَةُ أَحْمَرَ، كَأَنَّمَا خَرَجَ مِنْ دِيمَاسٍ» يَغْنِي الْحَمَّام.

وفي صحيح البخاري^(٢) عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أنه قال: قال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «رَأَيْتُ عِيسَى وَمُوسَى وَإِبْرَاهِيمَ، فَأَمَّا عِيسَى فَأَحْمَرُ، جَعْدٌ، عَرِيضُ الصَّدْرِ».

وفي الصحيحين^(٣) عن ابن عمر -رضي الله عنهما- أن رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: «بَيْنَمَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُنِي أَطُوفُ بِالْكَعْبَةِ، فَإِذَا رَجُلٌ آدَمُ سَبَطُ الشَّعْرِ» وذكر عيسى عليه السلام.

وفي روايةٍ لمسلم عنه^(٤) أن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: «أَرَانِي اللَّيْلَةَ فِي الْمَنَامِ عِنْدَ الْكَعْبَةِ، فَإِذَا رَجُلٌ آدَمُ كَأَحْسَنِ مَا تَرَى مِنْ آدَمِ الرِّجَالِ، تَضْرِبُ لِمَتَّهُ يَنْ مَنَكِبَيْهِ، رَجُلُ الشَّعْرِ» وذكر عيسى عليه السلام.

ثم قال:

(يَمْكُثُ أَرْبَعِينَ فِي الْأَنَامِ وَقِيلَ: سَبْعَةٌ مِنَ الْأَعْوَامِ)

هذا البيت في مدة بقاء عيسى -عليه السلام- في الأرض بعد نزوله، ف قيل: يمكث أربعين عامًا، وقيل: يمكث سبعة أعوام. فمن قال: إنه يمكث أربعين عامًا، استدل بما أخرجه

(١) أخرجه البخاري (٣٣٩٤)، ومسلم (١٦٨).

(٢) (٣٤٣٨).

(٣) أخرجه البخاري (٧٠٢٦)، ومسلم (١٧١).

(٤) (١٦٩).

أحمد^(١) وأبو داود^(٢) وهو في السلسلة الصحيحة^(٣) من حديث أبي هريرة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: «فِيْمَكْتُ فِي الْأَرْضِ أَرْبَعِينَ سَنَةً، ثُمَّ يَتَوَفَّى، فَيُصَلِّي عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ». واستدلوا أيضاً بما أخرجه أحمد في المسند^(٤) وحسن إسناده محققوه عن عائشة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- أن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال في الدجال: «فَيَنْزِلُ عِيسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ- فَيَقْتُلُهُ، ثُمَّ يَمْكُثُ عِيسَى -عَلَيْهِ السَّلَامُ- فِي الْأَرْضِ أَرْبَعِينَ سَنَةً إِمَامًا عَدْلًا وَحَكَمًا مَقْسُطًا».

ومن قال: إنه يمكث سبع سنين، استدل بما في صحيح مسلم^(٥) من حديث عبد الله بن عمرو -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- أن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: «ثُمَّ يَمْكُثُ النَّاسُ سَبْعَ سِنِينَ، لَيْسَ بَيْنَ اثْنَيْنِ عِدَاوَةٌ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ رِيحًا بَارِدَةً مِنْ قِبَلِ الشَّامِ، فَلَا يَبْقَى عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ أَحَدٌ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ أَوْ إِيْمَانٍ إِلَّا قَبِضَتْهُ».

وقد اختلف العلماء في التوفيق بين هذه الروايات:

فقيل: إن رواية السبع تُحمل على مدة إقامته بعد نزوله، ويكون ذلك مضافاً إلى مكثه في الأرض قبل أن يُرفع إلى السماء، وكان عمره حين رُفِعَ إلى السماء ثلاثاً وثلاثين سنة، فيكون مكثه في الأرض سبع سنين، والأربعون هي مدة مُقامه في الأرض قبل رفعه وهي ثلاث وثلاثون سنة مع مدة مُقامه في الأرض بعد نزوله وهي سبع سنين، مجموع ذلك أربعون سنة.

لكن قال السفاريني في لوامع الأنوار البهية^(٦) عن الجمع السابق: "وهذا -والله أعلم- ليس بشيء لما مرَّ من حديث عائشة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا-".

ووجه ما قاله السفاريني: أن حديث عائشة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- صريحٌ في أن عيسى -عليه السلام- يمكث أربعين سنةً بعد نزوله، ولفظه: «فَيَنْزِلُ عِيسَى -عَلَيْهِ السَّلَامُ- فَيَقْتُلُهُ، ثُمَّ يَمْكُثُ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْأَرْضِ أَرْبَعِينَ سَنَةً إِمَامًا عَدْلًا وَحَكَمًا مَقْسُطًا». أمّا رواية سبع سنين فليست صريحةً في أن مكث عيسى -عليه السلام- بعد نزوله إلى وفاته سبع

(١) (٢٩٤٠).

(٢) (٩٨/٢).

سنين؛ بل أظهر ما تُحمل عليه: أن تكون السبع مدة بقاء أهل الإيمان بين وفاة عيسى - عليه السلام - ومجيء الريح التي تقبض أرواحهم، فيكون قوله - صلى الله عليه وسلم -: «ثُمَّ يَمَكُثُ النَّاسُ سَبْعَ سِنِينَ، لَيْسَ بَيْنَ اثْنَيْنِ عِدَاوَةٌ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ رِيحًا بَارِدَةً» للمدة التي يمكثها الناس بعد وفاة عيسى - عليه السلام - وقبل الريح التي تقبض أرواح المؤمنين؛ لأن عيسى - عليه السلام - لا تُقبَضُ روحُه بالريح، وإنما يتوفى ويصلي عليه المسلمون، ويبقى أهل الإيمان بعده سبع سنين، ثم يرسل الله الريح التي تقبض أرواحهم، فلا يبقى في الأرض إلا شرار الخلق وعليهم تقوم الساعة.

وهذا يزول الإشكال بين الروايات ويندفع التعارض؛ لذا صَدَّرَ بالقول بأنه يمكث أربعين عامًا وذكر السبع بصيغة التمرير.

المتن:

هَذَا وَيَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ هُمَا مِنْ نَسْلِ يَافِثٍ وَنَسْلِ آدَمَا
مِنْ وَصْفِهِمْ فِي الْخَبَرِ الْمَصْدَقِ وَجُوهُهُمْ مِثْلُ الْمَجَنِّ الْمُطْرِقِ
ذُلْفُ الْأَنْوَفِ وَصِغَارُ الْأَعْيُنِ صُهْبُ الشَّعَافِ بِالصَّحِيحِ فَاعْتَنِ
كَالْتُرْكِ فِي الْأَشْكَالِ وَالْأَلْوَانِ وَمَا لَخَلَقَ بِهِمْ يَدَانِ

الشرح:

من أشراط الساعة الكبرى: خروج يأجوج ومأجوج في آخر الزمان، وهو ثابت بالكتاب والسنة المتواترة.

فمن الكتاب قوله - تعالى -: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ﴾ [الأنبياء: ٩٦]، أي فُتِحَ السد.

﴿وَهُمْ مِّنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٦]، الحذب: المكان المرتفع، وَيَنْسِلُونَ: يُسْرِعُونَ.

﴿وَأَقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ﴾ [الأنبياء: ٩٧]، أي يومُ القيامة بخروجهم، فخرجهم شَرَطٌ من

أشراط الساعة وعلامة على قرب قيامها.

وقال - تعالى - مخبرًا عن ذي القرنين: ﴿ثُمَّ اتَّبَعَ سَبَبًا﴾ [الكهف: ٩٢] أي سلك طريقًا.

﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ﴾ [الكهف: ٩٣] وهما جبلان، أي وصل إلى ما بين هذين الجبلين الحاجزين لما وراءهما، وهذه الثُّغرة بين الجبلين يخرج منها يأجوج ومأجوج على بلاد التُّرك فيعيثون فيها فسادًا.

﴿وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾ [الكهف: ٩٣]، لِيُبْعِدَ أَلْسِنَتَهُمْ عَنِ أَلْسِنَةِ النَّاسِ.

﴿قَالُوا﴾ [الكهف: ٩٤]، أي قال هؤلاء القوم الذين لا يكادون يفقهون قولاً لذي القرنين يَشْكُونُ يأجوج ومأجوج.

﴿يَذَا الْقَرْيَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ [الكهف: ٩٤]، بالقتل وأخذ الأموال.

﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا﴾ [الكهف: ٩٤]، أي جُعلًا.

﴿عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا * قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ﴾ [الكهف: ٩٤-٩٥]، أي ما أعطاني ربي من الملك والسلطان خير مما تعطونني من المال.

﴿فَاعِينُونِي بِقُوَّةٍ﴾ [الكهف: ٩٥]، أي بالرجال والآلات.

﴿أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ [الكهف: ٩٥]، أي حاجزًا مانعًا من مجيئهم إليكم.

﴿ءَاتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ﴾ [الكهف: ٩٦]، أي قطع الحديد، فأحضروها، فطَفِقَ يَبْنِي.

﴿حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ﴾ [الكهف: ٩٦]، أي ساوى بين جانبي الجبلين بهذا الردم الذي بناه.

﴿قَالَ أَنْفِخُوا﴾ [الكهف: ٩٦]، أي أشعلوا النار على هذه القطع.

﴿حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا﴾ [الكهف: ٩٦]، أي احمرت قطع الحديد.

﴿قَالَ ءَاتُونِي أَفْرَغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾ [الكهف: ٩٦]، أي أحضروا نحاسًا مُذَابًا أَصْبَهَ عَلَيْهِ.

﴿فَمَا آسَظَعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ﴾ [الكهف: ٩٧]، أي لم يستطع يأجوج ومأجوج أن يصعدوا فوق السد.

﴿وَمَا آسَظَعُوا لَهُ نَقْبًا﴾ [الكهف: ٩٧]، ولم يستطيعوا أن يثقبوه من أسفله لصلابته.

﴿قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي﴾ [الكهف: ٩٨]، أي قال ذو القرنين: هذا السد رحمة من ربي يحول بين يأجوج ومأجوج والإفساد في الأرض.

﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَّبِّي﴾ [الكهف: ٩٨]، أي اقترب الوقت الذي جعله الله -تعالى- لخروجهم قبل قيام الساعة.

﴿جَعَلَهُ دَكَّاءَ﴾ [الكهف: ٩٨]، أي جعل ذلك السد المحكم منهدمًا مستويًا بالأرض.

﴿وَكَانَ وَعْدُ رَّبِّي حَقًّا * وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾ [الكهف: ٩٨-٩٩]، أي يومَ يُدَكُّ السَّدُ وَيَخْرُجُ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ بِبَعْضِهِمْ فِي بَعْضٍ أَي يَضْطَرِبُونَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ.

ثم بعد ذلك يجمع الله الخلق للحساب كما قال -تعالى-: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَهُمْ جَمْعًا﴾ [الكهف: ٩٩].

والأحاديث من السُّنَّةِ الدَّالَّةُ على خروج يأجوج ومأجوج في آخر الزمان قد بَلَغَتْ مَبْلَغَ التَّوَاتُرِ مِنْهَا مَا فِي الصَّحِيحَيْنِ^(١) عَنْ زَيْنَبِ بِنْتِ جَحْشٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- زَوْجِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- دَخَلَ عَلَيْهَا يَوْمًا فَرِيعًا يَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَنِلٌّ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرِّ قَدٍ اقْتَرَبَ، فَتَحَ الْيَوْمَ مِنْ رَدَمٍ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ مِثْلُ هَذِهِ، وَحَلَّقَ بِإِصْبَعِيهِ الْإِبْهَامَ وَالَّتِي تَلِيهَا، قَالَتْ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا-: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَنَلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟ قَالَ: نَعَمْ إِذَا كَثُرَ الْخَبَثُ».

والأحاديث في ذلك كثيرة وستأتي الإشارة إلى بعضها في دراسة الأبيات إن شاء الله.

قال:

(هَذَا وَيَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ هُمَا مِنْ نَسْلِ يَافِثٍ وَنَسْلِ آدَمَا)

يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ أَمْتَانِ عَظِيمَتَانِ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ -عَلَيْهِ السَّلَامُ-، وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّهُمَا مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- مَا أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ^(٢) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخَدْرِيِّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- عَنْ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنَّهُ قَالَ: «يَقُولُ اللَّهُ -عَزَّ وَجَلَّ- يَوْمَ

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٣٣٤٦)، وَمُسْلِمٌ (٢٨٨٠).

(٢) (٤٧٤١).

الْقِيَامَةِ يَا آدَمُ، فيقول: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ، فَيُنَادِي بِصَوْتٍ: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَخْرُجَ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ بَعَثْنَا إِلَى النَّارِ، قَالَ: يَا رَبِّ وَمَا بَعَثُ النَّارِ؟ قَالَ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَ مِئَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ، فَحِينَئِذٍ تَضَعُ الْحَامِلُ حَمْلَهَا، وَيَشِيبُ الْوَلِيدُ، ﴿وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج: ٢٠]، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى النَّاسِ حَتَّى تَغَيَّرَتْ وُجُوهُهُمْ، فَقَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: مَنْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجَ تِسْعَ مِئَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ، وَمِنْكُمْ وَاحِدٌ».

وجه الدلالة منه في قوله: «مِنْ ذُرِّيَّتِكَ» جعلهم من ذرية آدم -عليه السلام-، فيأجوج ومأجوج من البشر من ذرية آدم وحواء.

وقال بعضهم: إنهم من ذرية آدم لا من حواء، وذلك أن آدم احتلم فاختلط مَنِيُّهُ بالتراب فخلق الله من ذلك يأجوج ومأجوج، وهذا لا دليل عليه لا من نقل ولا من عقل، ولا يجوز الاعتماد في هذا الباب على ما يحكيه بعض أهل الكتاب بل هذا القول مخالف لنص القرآن من أن جميع الخلق اليوم من ذرية نوح -عليه السلام-، قال -تعالى-: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ﴾ [الصافات: ٧٧] فأهل الأرض كُلُّهُمْ من ذرية نوح -عليه السلام-؛ لأنه لما غرق الناس في الطوفان ونجى نوحٌ ومن كان معه في السفينة تناسل الناس من أولاد نوح الثلاثة: سام وحام ويافث، ويأجوج ومأجوج من سلالة يافث بن نوح، وهو أبو التُّرك.

يُروى عن سعيد بن المسيب أنه كان يقول: «ولد نوح -عليه السلام- ثلاثة: سام وحام ويافث، وولد سام: العرب وفارس والروم وفي كل هؤلاء خير، وولد حام: السودان والبربر والقبط، وولد يافث: التُّرك والصقالبة ويأجوج ومأجوج» أخرجه الحاكم في المستدرک^(١) وهو المشهور عند المؤرخين قال الناظم:

أولادُ نوحِ الذين أسلموا سامٌ وحامٌ ثم يافثُ اعلّموا
عرَفَ سامٌ ثم حامٌ سَبَقا ليافثٍ صِيتٌ فكن مُحَقِّقا

هذا البيت يضبط ذرية أولاد نوح عليه السلام.

(١) (٨٤٢٩).

(عَرَفَ سَام) قوله: (عرف) العين للعرب، والراء للروم، والفاء للفرس، وهؤلاء ذرية

سام بن نوح.

(ثم حام سَبَقًا) قوله: (سبق) السين للسودان، والباء للبربر، والقاف للقبط، وهؤلاء

ذرية حام بن نوح.

(ليافث صِيَتْ) قوله: (صيت) الصاد للصقالبة، والياء ليأجوج ومأجوج، والتاء

للترك، وهؤلاء ذرية يافث بن نوح.

وقد قال علي بن الجهم القرشي في أرجوزته في التاريخ المسماة بالمُحَبَّرَة:

ويافثُ في نَسْلِهِ عجائبُ يأجوجُ والأتراكُ والصقالبُ

هذا قوله:

(هذا وَيَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ هُما مِنْ نَسْلِ يافِثٍ وَنَسْلِ آدَمَ)

ثم انتقل إلى ذكر وصفهم الذي جاءت به الأحاديث الصحيحة فقال:

(مِنْ وَصَفِهِمْ فِي الْخَبَرِ الْمَصَدَّقِ وَجُوهُهُمْ مِثْلُ الْمَجَنِّ الْمُطَرَّقِ

ذُلْفُ الْأَنْفِ وَصِغَارُ الْأَعْيُنِ صُهْبُ الشَّعَافِ بِالصَّحِيحِ فَاعْتَنِ

كَالتُّرْكِ فِي الْأَشْكَالِ وَالْأَلْوَانِ وَمَا لَخَلَقِي بِهِمْ يَدَانِ)

هذه الصفات هي صفات التُّرك، ويأجوج ومأجوج يُشبهون أبناء جنسهم من التُّرك

المغول، أخرج أحمد في المسند^(١) عن ابن حرملة عن خالته -رضي الله عنها- أنها قالت:

«خَطَبَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَهُوَ عَاصِبٌ إصْبَعَهُ مِنْ لَدَغَةِ عَقْرَبٍ فَقَالَ:

إِنَّكُمْ تَقُولُونَ: لَا عَدُوَّ، وَإِنَّكُمْ لَا تَزَالُونَ تُقَاتِلُونَ عَدُوًّا حَتَّى يَأْتِيَ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ، عِرَاضُ

الْوُجُوهِ، صِغَارُ الْعُيُونِ، صُهْبُ الشَّعَافِ، مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ، كَأَنَّ وَجُوهَهُمْ الْمَجَانُّ

الْمُطَرَّقَةُ». قال الهيثمي في مجمع الزوائد^(٢): "رواه أحمد والطبراني ورجالهما رجال

الصحيح"، وقال البوصيري في إتحاف الخيرة^(٣): "رواته ثقات".

(١) (٢٢٣٣١).

(٢) (١٢٥٧٠) (٦ / ٨).

(٣) (٧٦٦٤) (١٤٢ / ٨).

قال: **(وُجُوهُهُمْ مِثْلُ الْمَجَنِّ الْمَطْرَقِ).**

المَجَنُّ: التُّرْسُ، والمَطْرَقُ: الذي أَلِيسَ جلدة تُقَدَّرُ على قدر التُّرْسِ وتُلصَقُ عليه.
شَبَّهَ النبي -صلى الله عليه وسلم- وجوههم بالمَجَانِّ لبسطها وتدويرها، وبالمَطْرَقَةِ لِغِلْظِهَا وكثرة لحمها ونتوء وَجَنَاتِهَا.

(ذُلْفُ الْأَنْوْفِ) الذَّلْفُ: صِغَرُ الْأَنْفِ.

(وَصِغَارُ الْأَعْيُنِ)

(صِهْبُ الشِّعَافِ) أي حُمْرُ الشُّعُورِ.

(بِالصَّحِيحِ فَاعْتَنِ) هذه إشارة إلى أن المَعْوَلَ عليه في صفاتهم هو ما صَحَّتْ بِهِ الأحاديث.

أما ما يُروى في بعض الآثار من أنهم ثلاثة أصناف:

﴿ صنف: أجسادهم كالأرز وهو شجرٌ كَبَارٌ جَدًّا. ﴾

﴿ وصنف: أربعة أذُنٍ في أربعة أذُنٍ. ﴾

﴿ وصنف: يفترشون آذانهم ويلتحفون بالأخرى. ﴾

وجاء أيضًا أن طول بعضهم يصل إلى شبر، وبعضهم يصل طوله إلى شبرين، وبعضهم إلى ثلاث أشبار.

وقد ذكر ابن كثير -رحمه الله-^(١) أن من قال بذلك فقد تكلف ما لا علم له به، وقال ما لا دليل عليه.

ثم قال: **(كَالْتُّرْكِ فِي الْأَشْكَالِ وَالْأَلْوَانِ).**

فهم في أشكالهم وألوانهم كأبناء جنسهم من التُّرْكِ المغول.

ثم قال: **(وَمَا لِيَخْلُقَ بِهِمْ يَدَانِ).**

^(١) (٢٤٠/١٩).

أي لا طاقة لأحد بقتالهم، قال -صلى الله عليه وسلم- كما في صحيح مسلم^(١) من حديث النواس بن سمعان -رضي الله عنهما-: «**لَا يَدَانِ لِأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ**».

اليدان: مثنى يد ومعناه: لا قدرة ولا طاقة لأحد بقتالهم، يُقال: "ما لي بهذا الأمر يدان" و"ما لي بهذا الأمر يد"، وعُيِّرَ باليد لأن الدفع إنما يكون باليد وكأن يديه معدومتان لعجزه عن الدفع.

المتن:

وَأَقْبَلْتُ يَا جُوجُ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ	حَتَّى إِذَا مَا وَعَدُ رَبَّنَا اقْتَرَبَ
حَرَزْتُ إِلَى الطُّورِ عِبَادَ اللَّهِ	أَوْحَى إِلَى ابْنِ مَرْيَمَ إِلَهِي
وَالْقَوْمُ فِي الْبِلَادِ يَنْسِلُونَا	وَالنَّاسُ لِلْحُصُونِ يَنْحَازُونَا
وَأَمَعْنُوا فِي تِيهِمْ وَأَوْغَلُوا	حَتَّى إِذَا مَا أَفْسَدُوا وَقَتَّلُوا
وَرَدَّهَا اللَّهُ وَقَدْ شَيَّبَتْ دَمًا	وَوَجَّهُوا نُشَابَهُمْ إِلَى السَّمَاءِ
إِلَى مُجِيبِ دَعْوَةِ الْمُضْطَرِّ	جَارَ عِيسَى وَالْوَرَى فِي الضُّرِّ
يَتْرَكُهُمْ فَرَسَى، وَأَزْجَى الْوُطْأِ	فَأَرْسَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ نَغْفًا
وَيَنْعَمُ النَّاسُ بِعَيْشٍ نَضْرٍ	يَقْذِفُ أَجْسَامَهُمْ فِي الْبَحْرِ

الشرح:

قال:

(حَتَّى إِذَا مَا وَعَدُ رَبَّنَا اقْتَرَبَ) وَأَقْبَلْتُ يَا جُوجُ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ
كما قال تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾ *
وَأَقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ ﴿[الأنبياء: ٩٦-٩٧]

(أَوْحَى إِلَى ابْنِ مَرْيَمَ إِلَهِي) حَرَزْتُ إِلَى الطُّورِ عِبَادَ اللَّهِ

في صحيح مسلم^(١) عن النواس بن سمعان -رضي الله عنهما- بعد ذكر قتل عيسى -عليه السلام- الدجال قال -صلى الله عليه وسلم-: «إِذْ أَوْحَى اللَّهُ إِلَى عِيسَى: إِنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَادًا لِي لَا يَدَانِ لِأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ فَحَرَّزْ عِبَادِي إِلَى الطُّورِ، وَيَبْعَثُ اللَّهُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ، فَيَمُرُّوْا أَوَائِلَهُمْ عَلَى بُحَيْرَةِ طَبْرِئَةَ فَيَشْرَبُونَ مَا فِيهَا وَيَمُرُّ آخِرُهُمْ فَيَقُولُونَ: لَقَدْ كَانَ بِهِذِهِ مَرَّةً مَاءٌ، وَيُحْصِرُنِي اللَّهُ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ حَتَّى يَكُونَ رَأْسُ الثَّوْرِ لِأَحَدِهِمْ خَيْرًا مِنْ مِئَةِ دِينَارٍ لِأَحَدِكُمْ الْيَوْمَ، فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ فَيُرْسِلُ اللَّهُ عَلَيْهِمُ النَّعْفَ -النَّعْفُ: دُوْدٌ يَكُونُ فِي أَنْوْفِ الْإِبِلِ وَالْغَنَمِ، وَاحِدَتُهَا نَعْفَةٌ- فِي رِقَابِهِمْ فَيُصْبِحُونَ فَرَسَى -أي قتلى والواحد فريس، مِنْ فَرَسَ الذَّنْبُ الشَّاةَ وَافْتَرَسَهَا إِذَا قَتَلَهَا- كَمَوْتَ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ يَهْبِطُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى الْأَرْضِ، فَلَا يَجِدُونَ فِي الْأَرْضِ مَوْضِعَ شِبْرٍ إِلَّا مَلَأَهُ زَهْمُهُمْ -أي رائحتهم الكريهة- وَنَتْنُهُمْ فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى اللَّهِ فَيُرْسِلُ اللَّهُ طَيْرًا كَأَعْنَاقِ الْبُخْتِ -أي يرسل طيرًا أعناقها في الطول والكِبَرِ كأعناق الإبل البُختية، وهي إبل طوال الأعناق- فَتَحْمِلُهُمْ فَتَطْرَحُهُمْ حَيْثُ شَاءَ اللَّهُ. ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ مَطَرًا لَا يَكُنُّ مِنْهُ بَيْتٌ مَدْرٍ وَلَا وَبَرٍ، فَيَغْسِلُ الْأَرْضَ حَتَّى يَتْرُكَهَا كَالزَّلْفَةِ -والزلفة: المرأة، والمراد أن الماء يعمُّ جميع الأرض فيُنظِّفها- ثُمَّ يُقَالُ لِلْأَرْضِ: أَنْبِئِي ثَمَرَتَكَ، وَرُدِّي بَرَكَتَكَ، فَيَوْمَئِذٍ تَأْكُلُ الْعِصَابَةُ مِنَ الرُّمَّانَةِ، وَيَسْتَظِلُّونَ بِقِحْفِهَا، وَيُبَارِكُ فِي الرِّسْلِ، حَتَّى أَنْ اللَّفْحَةَ مِنَ الْإِبِلِ لَتَكْفِيَ الْفَنَامَ مِنَ النَّاسِ، وَاللِّفْحَةَ مِنَ الْبَقَرِ لَتَكْفِيَ الْقَبِيلَةَ مِنَ النَّاسِ، وَاللِّفْحَةَ مِنَ الْغَنَمِ لَتَكْفِيَ الْفَخِذَ مِنَ النَّاسِ».

وزاد مسلم في رواية^(٢) بعد قوله: «لَقَدْ كَانَ بِهِذِهِ مَرَّةً مَاءٌ» «ثُمَّ يَسِيرُونَ حَتَّى يَنْتَهُوا إِلَى جَبَلِ الْخَمَرِ -الْخَمَرُ: الشَّجَرُ الْمَلْتَفُ الَّذِي يَسْتَرُ مِنْ فِيهِ- وَهُوَ جَبَلُ بَيْتِ الْمُقَدَّسِ- فَيَقُولُونَ: لَقَدْ قَتَلْنَا مَنْ فِي الْأَرْضِ، هَلُمَّ فَلْنَقْتُلْ مَنْ فِي السَّمَاءِ، فَيَرْمُونَ بُشَائِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ -وَالنُّشَابُ: النِّبْلُ وَالسَّهَامُ، وَاحِدَتُهُ نُشَابَةٌ- فَيَرُدُّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ نُشَائِهِمْ مَخْضُوبَةً دَمًا».

(١) (٢٩٣٧).

(٢) (٢٩٣٧).

وفي مسند الإمام أحمد^(١) وهو في السلسلة الصحيحة^(٢) عن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- أنه قال: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: «يُفْتَحُ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ يَخْرُجُونَ عَلَى النَّاسِ كَمَا قَالَ اللَّهُ -عَزَّ وَجَلَّ- : ﴿مِّنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾» [الأنبياء: ٩٦]، فَيَغْشَوْنَ الْأَرْضَ، وَيَنْحَازُ الْمُسْلِمُونَ عَنْهُمْ إِلَى مَدَائِنِهِمْ وَحُصُونِهِمْ، وَيَضُمُّونَ إِلَيْهِمْ مَوَاشِيَهُمْ، وَيَشْرَبُونَ مِياهَ الْأَرْضِ، حَتَّى إِنَّ بَعْضَهُمْ لَيَمُرُّ بِالنَّهْرِ فَيَشْرَبُونَ مَا فِيهِ، حَتَّى يَتْرُكُوهُ يَبَسًا، حَتَّى إِنَّ مَنْ بَعْدَهُمْ لَيَمُرُّ بِذَلِكَ النَّهْرِ، فيقول: قَدْ كَانَ هَاهُنَا مَاءٌ مَّرَّةً، حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ مِنَ النَّاسِ إِلَّا أَحَدٌ فِي حِصْنٍ أَوْ مَدِينَةٍ قَالَ قَائِلُهُمْ: هَؤُلَاءِ أَهْلُ الْأَرْضِ، قَدْ فَرَّغْنَا مِنْهُمْ، بَقِيَ أَهْلُ السَّمَاءِ، قَالَ: ثُمَّ يَهْزَأُ أَحَدُهُمْ حَرْبَتَهُ ثُمَّ يَرْمِي بِهَا إِلَى السَّمَاءِ، فَتَرْجِعُ إِلَيْهِ مُخْتَضِبَةً دَمًا؛ لِلْبَلَاءِ وَالْفِتْنَةِ، فَبَيْنَا هُمْ عَلَى ذَلِكَ، بَعَثَ اللَّهُ دُودًا فِي أَعْنَاقِهِمْ، كَنَغْفِ الْجَرَادِ الَّذِي يَخْرُجُ فِي أَعْنَاقِهِمْ، فَيُصْبِحُونَ مَوْتَى لَا يَسْمَعُ لَهُمْ حِسًّا، فيقول المسلمون: أَلَا رَجُلٌ يَشْرِي لَنَا نَفْسَهُ؛ فَيَنْظُرُ مَا فَعَلَ هَذَا الْعَدُوُّ، قَالَ: فَيَتَجَرَّدُ رَجُلٌ مِنْهُمْ لَذَلِكَ، مُحْتَسِبًا لِنَفْسِهِ قَدْ أَطْنَهَا عَلَى أَنَّهُ مَقْتُولٌ -وفي رواية^(٣): قَدْ وَطَّنَ نَفْسَهُ عَلَى أَنْ يَفْتُلُوهُ-، فَيَنْزِلُ فَيَجِدُهُمْ مَوْتَى بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ فَيُنَادِي: يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ أَلَا أَبْشَرُوا فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ كَفَاكُمْ عَدُوَّكُمْ فَيَخْرُجُونَ مِنْ مَدَائِنِهِمْ وَحُصُونِهِمْ، وَيُسَرِّحُونَ مَوَاشِيَهُمْ، فَمَا يَكُونُ لَهَا رِغْيٌ -أي شيء ترعاه- إِلَّا لِحَوْمِهِمْ، فَتَشْكُرُ عَنْهُ كَأَحْسَنِ مَا تَشْكُرُ عَنْ شَيْءٍ مِنَ النَّبَاتِ أَصَابَتْهُ قَطُّ». تَشْكُرُ أَي تَسْمَنُ وَتَمْتَلِي شَحْمًا.

وأخرج أحمد في المسند^(٤) وصحح إسناده أحمد شاكر^(٥) وابن ماجه^(٦) والحاكم في المستدرک^(٧) عن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- أنه قال: «لَمَّا كَانَ لَيْلَةُ أُسْرِي بِرَسُولِ

(١) (١١٧٣١).

(٢) (١٧٩٣) (٤٠٢/٤).

(٣) (٤٠٧٩).

(٤) (٣٥٥٦).

(٥) (٤٨٤/٣).

(٦) (٤٠٨١).

(٧) (٨٥٠٢).

اللَّهُ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لَقِيَ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى -عليهم السلام- فتذاكروا السَّاعَةَ -إلى أن قال:- فَردُّوا الحديثَ إلى عيسى -فذكرَ قَتْلَ الدَّجَالِ- ثم قال: ثم يرجعُ النَّاسُ إلى بلادِهِمْ فيستقبلُهُمْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ لا يَمُرُّونَ بِمَاءٍ إِلَّا شَرَبُوهُ وَلَا بِشَيْءٍ إِلَّا أَفْسَدُوهُ فَيَجْأَرُونَ إِلَيَّ فَأَدْعُو اللَّهَ فَيُمِيتُهُمْ فَتَجْوى الأَرْضُ مِنْ رِيحِهِمْ، فَيَجْأَرُونَ إِلَيَّ فَأَدْعُو اللَّهَ فَيُرْسِلُ السَّمَاءَ بِالماءِ فيحْمِلُهُمْ فَيَقْذِفُ بِأَجْسَامِهِمْ فِي الْبَحْرِ ثُمَّ تُنْسَفُ الجبالُ وتُمدُّ الأرضُ مدَّ الأديمِ، فعَهْدُ اللَّهِ إِلَيَّ أَنَّهُ إِذَا كَانَ ذَلِكَ كَانَتْ السَّاعَةُ مِنَ النَّاسِ كَالْحَامِلِ الْمُتَمِّ الَّتِي لَا يَدْرِي أَهْلُهَا مَتَى تَفْجُوهُمْ بولادتها لَيْلًا أَوْ نَهَارًا».

وأخرج أحمد^(١) والترمذي^(٢) وابن ماجه^(٣) وهو في السلسلة الصحيحة^(٤) عن أبي هريرة - رضي الله عنه- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ لَيَحْفِرُونَ السَّدَّ كُلَّ يَوْمٍ حَتَّى إِذَا كَادُوا يَرُونَ شُعَاعَ الشَّمْسِ قَالَ الَّذِي عَلَيْهِم: ارْجِعُوا فَسْتَحْفِرُونَهُ غَدًا فَيَعُودُونَ إِلَيْهِ كَأَشَدِّ مَا كَانَ حَتَّى إِذَا بَلَغَتْ مَدَّتُهُمْ وَأَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَبْعَثَهُمْ عَلَى النَّاسِ حَفَرُوا حَتَّى إِذَا كَادُوا يَرُونَ شُعَاعَ الشَّمْسِ قَالَ الَّذِي عَلَيْهِم: ارْجِعُوا فَسْتَحْفِرُونَهُ غَدًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ وَيَسْتَتْنِي فَيَعُودُونَ إِلَيْهِ وَهُوَ كَهَيْئَتِهِ حِينَ تَرَكَوهُ فَيَحْفِرُونَهُ وَيَخْرُجُونَ عَلَى النَّاسِ فَيُنْشِفُونَ المِياهَ وَيَتَحَصَّنُ النَّاسُ مِنْهُمْ فِي حُصُونِهِمْ فَيُرْمُونَ بِسِهَامِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ فَتَرْجِعُ وَعَلَيْهَا كَهَيْئَةِ الدِّمِّ فيقولون: قَهَرْنَا أَهْلَ الأَرْضِ وَعَلَوْنَا أَهْلَ السَّمَاءِ فَيَبْعَثُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ نَعْفًا فِي أَقْفَانِهِمْ فَيَقْتُلُهُمْ بِهَا، فقال رسولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، إِنَّ دَوَابَّ الأَرْضِ لَتَسْمَنُ وَتَشْكُرُ شُكْرًا مِنْ لُحُومِهِمْ وَدُمَائِهِمْ».

(١) (١٠٦٣٢).

(٢) (٣١٥٣).

(٣) (٤٠٨٠).

(٤) (١٧٣٥) (٣١٣/٤).

وعند ابن ماجه^(١) وهو في السلسلة الصحيحة^(٢) عن النواس بن سمعان -رضي الله عنهما- أنه قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**سَيُوقَدُ الْمُسْلِمُونَ مِنْ قِسِيٍّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَنُشَاجِهِمْ وَأَثَرِسَتِهِمْ سَبْعَ سِنِينَ**».

وما في هذه الأحاديث هو الذي عَقَدَهُ في قوله:

(حَتَّى إِذَا مَا وَعَدُ رَبُّنَا اقْتَرَبَ وَأَقْبَلَتْ يَأْجُوجُ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ
أَوْحَى إِلَى ابْنِ مَرْيَمَ إِلَهِي حَرَّزْ إِلَى الطُّورِ عِبَادَ اللَّهِ

(وَالنَّاسُ لِلْحُصُونِ يَنْحَازُونَ) أي أن الناس يَفِرُّون من يَأْجُوج ومَأْجُوج ويتحصنون منهم في حصونهم.

(وَالْقَوْمُ) أي يَأْجُوج ومَأْجُوج.

(فِي الْبِلَادِ يَنْسِلُونَا) أي يُسْرِعُونَ كما قال -تعالى-: ﴿وَهُمْ مِّنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٦]

(حَتَّى إِذَا مَا أَفْسَدُوا وَقَتَّلُوا وَأَمْعَنُوا فِي تِيهِمْ وَأَوْغَلُوا)

كما في حديث النواس بن سمعان السابق في صحيح مسلم^(٣): «**فَيَقُولُونَ: لَقَدْ قَتَلْنَا مَنْ فِي الْأَرْضِ هَلُمَّ فَلْنَقْتُلْ مَنْ فِي السَّمَاءِ**».

وفي حديث أبي سعيد الخدري السابق عند أحمد^(٤): «**قَالَ قَائِلُهُمْ: هَؤُلَاءِ أَهْلُ الْأَرْضِ قَدْ فَرَعْنَا مِنْهُمْ بَقِيَ أَهْلُ السَّمَاءِ**».

(وَوَجَّهُوا نُشَاجِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ وَرَدَّهَا اللَّهُ وَقَدْ شِيبَتْ دَمًا)

يرد الله عليهم نُشَاجِهِمْ مخضوبةً دَمًا.

(جَارَ عِيسَى وَالْوَرَى فِي الضُّرِّ إِلَى مُجِيبِ دَعْوَةِ الْمُضْطَرِّ)

(١) (٤٠٧٦).

(٢) (١٩٤٠).

(٣) سبق تخريجه قريباً.

(٤) سبق تخريجه قريباً.

(فَأَرْسَلَ اللَّهُ عَلَيْهِم نَعْفًا) هو الدود

(يَتْرَكُهُمْ فَرَسَى) أي قتلى.

(وَأَرْجَى) أي ساق وجمع كما قال تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا﴾ [النور: ٤٣] أي

يسوقه.

(الْوُطْفُ) الوطف: انهماز المطر، يُقال: سحابة وطفاء إذا كانت مسترخية الجوانب

لكثرة مائها كما في صحيح مسلم^(١): «فِيرْسِلُ اللَّهُ طَيْرًا كَأَعْنَاقِ الْبُخْتِ فَتَحْمِلُهُمْ فَتَطْرَحُهُمْ حَيْثُ شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ يَرْسِلُ اللَّهُ مَطَرًا لَا يَكُنْ مِنْهُ بَيْتٌ مَدْرٍ وَلَا وَبَرٍ، فَيَغْسِلُ الْأَرْضَ حَتَّى يَتْرَكَهَا كَالزَّلْفَةِ».

وفي حديث أحمد وابن ماجه^(٢) السابق قول عيسى -عليه السلام-: «فَادْعُوا اللَّهَ فَيُرْسِلُ

السَّمَاءَ بِالماءِ فَيَحْمِلُهُمْ فَيَقْذِفُ بِأَجْسَامِهِمْ فَيُلْقِيهِمْ فِي الْبَحْرِ».

(وَيَنْعَمُ النَّاسُ بِعَيْشٍ نَضْرٍ) كما في حديث مسلم السابق^(٣): «يَقَالُ لِلْأَرْضِ أَنْبِئِي

ثَمَرَتِكَ، وَرَدِّي بَرَكَتَكَ...» الحديث.

وخلاصة ما دلت عليه الأحاديث: أن يأجوج ومأجوج أمتان عظيمتان من بني آدم،

وأن خروجهم يكون في زمن عيسى -عليه السلام- بعد قتله الدجال، وأن خروجهم بلاء عظيم وشر مستطير على أهل الأرض، وأنه لا طاقة لأحدٍ بقتالهم، وأن الناس يتحصنون منهم في الحصون، وأنهم بعد تكبرهم وزعمهم أنهم قهروا أهل الأرض والسماء يرغب عيسى -عليه السلام- وأصحابه إلى الله، فَيُسَلِّطُ اللَّهُ عليهم الدود في رقابهم، فيصبحون قتلى كموت نفس واحدة، ثم يرسل الله إليهم طيرًا، فتحملهم حيث يشاء الله، ويُرْسِلُ مَطَرًا يغسل الأرض من نتنهم، حتى يترك الأرض كالمرآة النقية، وأنه بعد هلاكهم يطيب العيش، وتُخْرَجُ الأرض بركتها، وتقع الأمانة في الأرض.

(١) (٢٩٣٧).

(٢) سبق تخريجه قريباً.

(٣) سبق تخريجه قريباً.

وأما مكان السدّ فالذي دلّ عليه القرآن أنه في جهة المشرق، قال -تعالى-: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ﴾ [الكهف: ٩٠]، والشمس تطلع من المشرق كما قال -تعالى-: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

ولا يُعرف مكان هذا السدّ بالتحديد، وقد حاول بعض الملوك والمؤرخين أن يتعرفوا على مكانه.

ومن ذلك أن الخليفة الواثق بعث بعض أمرائه وَوَجَّهَ معه جيشًا سرية لينظروا إلى السدّ ويُعاینوه وَيَنْعَتَوْه له إذا رجعوا، فوصلوا من بلاد إلى بلاد ومن ملك إلى ملك حتى وصلوا إليه، ورأوا بناءه من الحديد ومن النحاس، وذكروا أنهم رأوا فيه بابًا عظيمًا، وعليه أقفال عظيمة وأن عنده حَرَسًا من الملوك المتاخمة له، وأنه منيف شاق لا يُستطاع ولا ما حوله من الجبال، ثم رجعوا إلى بلادهم، وكانت غيبتهم أكثر من سنتين، وشاهدوا أهوالًا وعجائب.

هذه القصة ذكرها ابن كثير -رحمه الله تعالى- في تفسيره^(١) ولم يذكر لها سندًا، فالله أعلم بصحتها.

وفي صحيح البخاري معلقًا^(٢): قال رجل للنبي -صلى الله عليه وسلم-: «رَأَيْتُ السَّدَّ مِثْلَ الْبُرْدِ الْمُحَبَّرِ -أي الثوب الذي فيه خطوط- فَقَالَ -صلى الله عليه وسلم-: قَدْ رَأَيْتَهُ». ونحن لا يعنينا تحديد مكان السد بل حسبنا أن نقف عند ما أخبر الله -تعالى- به، وما ثبت عن نبينا -صلى الله عليه وسلم- وهو أن سَدَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ باقٍ إِلَى أَنْ يَأْتِيَ الْوَقْتُ الْمَحْدَدُ لِدَكِّهِ وَخُرُوجِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وذلك عِنْدَ دُنُوءِ السَّاعَةِ كما قال -تعالى-: ﴿قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا * وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنَفَخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعَتُهُمْ جَمْعًا﴾ [الكهف: ٩٨-٩٩].

وهذا الشَّرْطُ فيه دليل على قصور علم البشر وعدم إدراكهم لكل ما على أرضهم مع ما فتح الله عليهم من آلات وإمكانات.

(١) (١٩٦/٥).

(٢) (١٣٧/٤) وقال ابن كثير في البداية والنهاية (٥٥٦/٢): "هكذا ذكره البخاري معلقا بصيغة الجزم، ولم أره مسندا من وجه متصل أرطضيه، غير أن ابن جرير رواه في تفسيره مرسلا".

فهؤلاء يأجوج ومأجوج موجودون جزماً على وجه الأرض، وبأعداد لا يحصيها إلا الله - عز وجل-، ومع ذلك لا يعلم بهم أحد، ولا يُدرى مكانهم على التحديد، وهذا من قدرة الله - تعالى- على إخفاء أمرهم حتى يأتي الوقت المحدد لإخراجهم على الناس.

ومما يؤيد إمكان هذا كما يقول الشنقيطي في أضواء البيان^(١) ما ذكره الله -تعالى- عن تيه بني إسرائيل ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيَهُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ [المائدة: ٢٦]، فتأهوا أربعين سنة وهم في فراسخ قليلة من الأرض، يمشون ليلهم ونهارهم، ولم يطلع عليهم أحد حتى انتهى أمد التيه.

ولا يجوز تكذيب القرآن والسنة ورد أخبارهما بحجة أن المستكشفين والأقمار الصناعية لم يقفوا على أثر لذلك؛ لأن هذا مما أراد الله -تعالى- إخفاءه، وضرب له موعداً لا يعلمه إلا هو، ولن يُظهر عليه الناس حتى يأتي وعد الله، ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾ [الكهف: ٩٨].

والناس لم يبلغوا علم أسرار القطبين، ولم يكتشفوا أغوار أكثر البحار، ولم يقفوا على جبل الذهب من الفرات مع إتاحة علم ذلك، فكيف بعلم ما حُجبوا عنه! فلا شك أن إنكار هذا الشرط، ونفي وجود السدِّ بهذه الشبهة مع ثبوت ذلك في القرآن والسنة المتواترة ضلالٌ مبين.

📖 المتن:

مِنْهَا ثَلَاثَةٌ خُسُوفٍ تُرْتَقَبُ فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ وَفِي أَرْضِ الْعَرَبِ
كَذَا دُخَانٌ وَاضِحٌ يَغْشَى الْبَشَرَ جَمِيعَهُمْ مُؤْمِنُهُمْ وَمَنْ كَفَرَ
كَذَا طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا عَلَامَةٌ مُفْزِعَةٌ أَعْظَمُ بِهَا
فَلَيْسَ يُجْدِي كَافِرًا إِيْمَانُهُ وَلَا عَصِيًّا مُسْرِفًا إِحْسَانُهُ
ثُمَّ خُرُوجُ دَابَّةٍ فِي الْإِثْرِ تَسِمُ بِالْإِيْمَانِ أَوْ بِالْكَفْرِ
تُكَلِّمُ النَّاسَ وَتُنذِرُ الْبَشَرَ وَوَصْفُهَا مَا صَحَّ فِيهِ مِنْ خَبَرٍ

(١) (٣/٣٤٥).

الشرح:

قال:

(مِنْهَا ثَلَاثَةٌ خُسُوفٌ تُرْتَقِبُ فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ وَفِي أَرْضِ الْعَرَبِ)

من أشراط الساعة الكبرى: ثلاثة خسوف: خسفٌ بالشرق، وخسفٌ بالمغرب، وخسفٌ في جزيرة العرب.

والخسف: الذهاب في الأرض، يُقال: خَسَفَ المكانُ إذا ذَهَبَ في الأرض، وخَسَفَ اللهُ به الأرض إذا غاب به فيها.

في صحيح مسلم^(١) من حديث حذيفة بن أسيد -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «إِنَّ السَّاعَةَ لَا تَكُونُ حَتَّى تَكُونَ عَشْرُ آيَاتٍ: خَسَفٌ بِالْمَشْرِقِ، وَخَسَفٌ بِالْمَغْرِبِ، وَخَسَفٌ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ...» الحديث.

وفي رواية^(٢) أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرُونَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ»، وفيه قوله: «وَتِلْكَ ثَلَاثَةُ خُسُوفٍ: خَسَفٌ بِالْمَشْرِقِ، وَخَسَفٌ بِالْمَغْرِبِ، وَخَسَفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ».

وعند الطبراني في الكبير^(٣) والأوسط^(٤) عن أم سلمة -رضي الله عنها- أنها قالت: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: «سَيَكُونُ بَعْدِي خَسَفٌ بِالْمَشْرِقِ، وَخَسَفٌ بِالْمَغْرِبِ، وَخَسَفٌ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ» قالت: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيْخَسَفُ بِالْأَرْضِ وَفِيهِمُ الصَّالِحُونَ، قَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-: إِذَا كَانَ أَكْثَرُ أَهْلِهَا الْخَبَثَ ويشهد له ما قبله، وفيه دلالة على أن الخسف يكون بسبب كثرة الفساد والخبث والسيئات كما قال الله -تعالى-: ﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ﴾ [النحل: ٤٥].

(١) (٢٩٠١).

(٢) (٢٩٠١).

(٣) (٥٨٠).

(٤) (٣٦٤٧).

والصحيح أن هذا الشَّرْطَ مما لم يقع بعدُ، وإلى هذا أشار بقوله: **(مِنْهَا ثَلَاثَةٌ خُسُوفٍ تُرْتَقِبُ)** أي تُنْتَظَرُ **(فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ وَفِي أَرْضِ الْعَرَبِ)** نعم وقعت خسوفٌ كثيرة في مواضع متفرقة لكنها ليست الواردة في الحديث، فالخسوف الثلاثة المذكورة في الحديث تكون عظيمة وعامة.

قال الحافظ ابن حَجَرٍ^(١): "وقد وُجِدَ الْخُسُوفُ في مواضع ولكن يُحْتَمَلُ أن يكون المراد بالخسوف الثلاثة قدرًا زائدًا على ما وُجِدَ، كأن يكون أعظم منه مكانًا أو قدرًا".

ويدل لكون الخسوف الثلاثة المذكورة في الحديث لم تقع أن بقية الأَشْرَاطِ الْكُبْرَى لم يقع منها شيءٌ بعدُ، ووقوعُها متتابعٌ، لما سبق من قوله -صلى الله عليه وسلم-: **«الْآيَاتُ خَرَازِنُ مَنْظُومَاتٍ فِي سِلْكِ فَإِنْ يُقَطَّعَ السِّلْكُ يَتَّبِعْ بَعْضُهَا بَعْضًا»**^(٢).

وذهب الْبَرْزَنْجِي فِي الْإِشَاعَةِ^(٣) إِلَى أَنَّهَا مِمَّا وَقَعَ، وَالصَّحِيحُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ أَنَّهَا لَمْ تَقَعْ بَعْدَ. وقد ورد أنه سيكون خسف بالبصرة في العراق وَفَسَّرَ بِهِ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ الْخُسْفَ الَّذِي يَكُونُ بِالْمَشْرِقِ، أَخْرَجَ أَبُو دَاوُدَ^(٤) وَهُوَ فِي صَحِيحِ الْجَامِعِ الصَّغِيرِ^(٥) عَنْ أَنَسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ لَهُ: **«يَا أَنَسُ، إِنَّ النَّاسَ يَمَصِّرُونَ أَمْصَارًا، وَإِنَّ مِصْرًا مِنْهَا يُقَالُ لَهُ: الْبَصْرَةُ -أَوْ قَالَ: الْبَصِيرَةُ- فَإِنْ أَنْتَ مَرَرْتَ بِهَا، أَوْ دَخَلْتَهَا، فَإِيَّاكَ وَسِبَاخَهَا -وَالسِّبَاخُ: جَمْعُ سَبْخَةٍ وَهِيَ الْأَرْضُ الَّتِي تَعْلُوهَا الْمَلُوحَةُ- وَكَالَاءُهَا -وَالْكَالَاءُ: الْمَوْضِعُ الَّذِي تُرْبَطُ فِيهِ السُّفُنُ- وَسُوقُهَا، وَبَابُ أَمْرَائِهَا، وَعَلَيْكَ بِضَوَاحِيهَا -الضَوَاحِي: جَمْعُ ضَاحِيَةٍ وَهِيَ النَّاحِيَةُ الْبَارِزَةُ وَهُوَ أَمْرٌ بِالْعِزَّةِ- فَإِنَّهُ يَكُونُ بِهَا خُسْفٌ وَقَذْفٌ وَرَجْفٌ وَقَوْمٌ يَبِيتُونَ يُصْبِحُونَ قِرْدَةً وَخَنَازِيرَ»**.

(١) فِي فَتْحِ الْبَارِي (٨٤/١٣).

(٢) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي الْمُسْنَدِ (٧٠٤٠) وَهُوَ فِي السَّلْسَلَةِ الصَّحِيحَةِ (١٧٦٢) (٣٦١/٤).

(٣) ص ١٠٥.

(٤) (٤٣٠٧).

(٥) (٧٨٥٩) (١٢٩٧/٢).

وورد في الموقوف عن الصحابة ما يشهد له، منه ما أخرجه معمر بن راشد في جامعه^(١) عن عبدالله بن عمرو -رضي الله عنهما- أنه قال: «يَكُونُ فِي الْبَصْرَةِ خَسْفٌ فَعَلَيْكَ بِضَوَاحِيهَا وَإِيَّاكَ وَسِبَاخِهَا».

وأما خسف جزيرة العرب ففسّر بالجيش العظيم الذي يؤمّ البيت الحرام.

ثبت في الأحاديث أن عائداً من قريش يعوذ بالبيت قرب الساعة، ومعه قوم قليل ليست معهم منعة ولا عدة، فيبعث إليه جيش من هذه الأمة حتى إذا كان ببیداء المدينة خسف بالجيش.

وأكثر العلماء الذين ألفوا في هذا الباب يرون أن المقصود بهذه الأحاديث المهدي وأن الخسف بجيش البیداء من علامات ظهوره.

في صحيح مسلم^(٢) عن أم سلمة -رضي الله عنها- أنها قالت: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «يَعُودُ عَائِدٌ بِالْبَيْتِ، فَيُبْعَثُ إِلَيْهِ بَعْثٌ، فَإِذَا كَانُوا بِبَيْدَاءٍ مِنَ الْأَرْضِ خُسِفَ بِهِمْ».

وفي صحيح مسلم^(٣) أيضاً عن حفصة -رضي الله عنها- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «سَيَعُودُ بِهَذَا الْبَيْتِ -يَعْنِي الْكَعْبَةَ- قَوْمٌ لَيْسَتْ لَهُمْ مَنَعَةٌ وَلَا عَدَدٌ وَلَا عُدَّةٌ، يُبْعَثُ إِلَيْهِمْ جَيْشٌ، حَتَّى إِذَا كَانُوا بِبَيْدَاءٍ مِنَ الْأَرْضِ خُسِفَ بِهِمْ».

وفي رواية لمسلم^(٤) عنها -رضي الله عنها- أنها سمعت النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «لَيُؤْمَنَنَّ هَذَا الْبَيْتَ جَيْشٌ يَغْزُونَهُ، حَتَّى إِذَا كَانُوا بِبَيْدَاءٍ مِنَ الْأَرْضِ، يُخَسَفُ بِأَوْسَطِهِمْ وَيُنَادِي أَوْلَاهُمْ آخِرَهُمْ، ثُمَّ يُخَسَفُ بِهِمْ، فَلَا يَبْقَى إِلَّا الشَّرِيدُ الَّذِي يُخْبِرُ عَنْهُمْ».

(١). (٢٠٤٦٤).

(٢). (٢٨٨٢).

(٣). (٢٨٨٣).

(٤). (٢٨٨٣).

وفي صحيح مسلم^(١) أيضاً عن عائشة -رضي الله عنها- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «**العَجَبُ إِنَّ نَاسًا مِنْ أُمَّتِي يَوْمُونَ بِالْبَيْتِ بِرَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ قَدْ لَجَأَ بِالْبَيْتِ، حَتَّى إِذَا كَانُوا بِالْبَيْدَاءِ خُسِفَ بِهِمْ**».

فقد يكون خسف جزيرة العرب المذكور في حديث حذيفة بن أسيد هو الذي يكون بهذا الجيش العظيم الذي يؤم البيت الحرام قاصداً المهدي.

وإذا حُمِلَ خسف جزيرة العرب على هذا؛ فسيكون هذا الخسف أول الآيات؛ لأن ظهور المهدي يكون قبل ظهور المسيح الدجال والآيات الكبرى، لكن يبقى أن الخسف الذي بالمشرق والخسف الذي بالمغرب، لم يرد ما يدل على ترتيبه في أشراط الساعة الكبرى.

ثم قال:

(كَذَا دُخَانٌ وَاضِحٌ يَغْشَى الْبَشَرَ جَمِيعَهُمْ مُؤْمِنَهُمْ وَمَنْ كَفَرَ)

من أشراط الساعة الكبرى: دخانٌ مبینٌ يغشى الناسَ في آخر الزمان، قال -تعالى:-

﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ * يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الدخان: ١٠] -

[١١].

والمعنى: انتظر المشركين ﴿يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ﴾ [الدخان: ١٠] أي واضح، ﴿يَغْشَى النَّاسَ﴾ [الدخان: ١١] أي يعمُّهم، وعند ذلك يُقال لهم توبيحاً وتقريعاً، أو يقول بعضهم لبعض: ﴿هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الدخان: ١١] أي موجه.

في حديث حذيفة بن أسيد السابق في صحيح مسلم^(٢) أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «**إِنَّ السَّاعَةَ لَا تَكُونُ حَتَّى تَكُونَ قَبْلَهَا عَشْرُ آيَاتٍ**» وذكر منها الدخان.

وفي صحيح مسلم^(١) أيضاً عن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: «**بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سِتًّا**» وذكر منها الدخان.

(١) (٢٨٨٤).

(٢) سبق تخريجه قريباً.

وقد اختلف العلماء في المراد بالدخان وهل هو مما ظهر وانقضى أو هو مما لم يظهر

بعد؟

ف قيل: إن هذا الدخان هو ما أصاب قريشاً في زمن النبي -صلى الله عليه وسلم- من الشدة والجوع عندما دعا عليهم النبي -صلى الله عليه وسلم- حين لم يستجيبوا له، فأصبحوا يرون في السماء كهيئة الدخان وبهذا قال عبدالله بن مسعود -رضي الله عنه- وتبعه جماعة من السلف.

في الصحيحين^(١) عن ابن مسعود -رضي الله عنه- أنه قال: «خَمْسٌ قَدْ مَضَيْنَ: اللَّزَامُ، وَالرُّومُ، وَالْبَطْشَةُ، وَالْقَمَرُ، وَالْدُّخَانُ».

اللزّام: المقصود به قوله تعالى: ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾ [الفرقان: ٧٧]، أي فسوف يكون عذاباً لازماً يهلكهم نتيجة تكذيبهم، وهو ما وقع لكفار قريش في بدر من القتل والأسر.

والرّوم: المقصود به ما في صدر سورة الروم.

والبطشة: المقصود بها غزوة بدر، فإن ابن مسعود -رضي الله عنه- كان يقول: البطشة الكبرى يوم بدر^(٢).

والقمر: المقصود به قوله تعالى: ﴿أَقْرَبَتْ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ [القمر: ١].

والدخان: المقصود به قوله تعالى: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ﴾ [الدخان: ١٠].

وفي الصحيحين^(٣) عن مسروق أنه قال: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يُحَدِّثُ فِي كِنْدَةٍ، فَقَالَ: يَجِيءُ دُخَانٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَأْخُذُ بِأَسْمَاعِ الْمُنَافِقِينَ وَأَبْصَارِهِمْ، يَأْخُذُ الْمُؤْمِنَ كَهَيْئَةِ الزُّكَّامِ، فَفَزَعْنَا، فَاتَّيْتُ ابْنَ مَسْعُودٍ، وَكَانَ مُتَكِنًا فَعَضِبَ فَجَلَسَ، فَقَالَ: مَنْ عَلِمَ فَلْيَقُلْ، وَمَنْ

(١) (٢٩٤٧).

(٢) أخرجه البخاري (٤٨٢٥) ومسلم (٢٧٩٨).

(٣) أخرجه البخاري (١٠٠٧)، ومسلم (٢٧٩٨).

(٤) أخرجه البخاري (٤٧٧٤)، ومسلم (٢٧٩٨).

لَمْ يَعْلَمْ فَلْيَقُلْ: اللَّهُ أَعْلَمُ؛ فَإِنَّ مِنَ الْعِلْمِ أَنْ يَقُولَ لِمَا لَا يَعْلَمُ لَا أَعْلَمُ؛ فَإِنَّ اللَّهَ قَالَ لِنَبِيِّهِ: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [ص: ٨٦]، وَإِنَّ قُرَيْشًا أَبْطَؤُوا عَنِ الْإِسْلَامِ، فَدَعَا عَلَيْهِمُ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَقَالَ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَيْهِمْ بِسَبْعٍ كَسَبِعَ يُوسُفَ. فَأَخَذَتْهُمْ سَنَةٌ حَتَّى هَلَكُوا فِيهَا، وَأَكَلُوا الْمَيْتَةَ وَالْعِظَامَ، وَبَرَى الرَّجُلُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ كَهَيْئَةِ الدُّخَانِ».

وفي رواية^(١) قال مسروق: «كُنَّا عِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ جُلُوسًا، وَهُوَ مُضْطَجِعٌ بَيْنَنَا، فَأَتَاهُ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ إِنَّ قَاصًّا عِنْدَ أَبْوَابِ كِنْدَةَ يَقْصُ وَيَزْعُمُ أَنَّ آيَةَ الدُّخَانِ تَجِيءُ فَتَأْخُذُ بِأَنْفَاسِ الْكُفَّارِ، وَيَأْخُذُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ كَهَيْئَةِ الزُّكَّامِ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ وَجَلَسَ وَهُوَ غَضَبَانُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا اللَّهَ، مَنْ عِلِمَ مِنْكُمْ شَيْئًا، فَلْيَقُلْ بِمَا يَعْلَمُ، وَمَنْ لَمْ يَعْلَمْ فَلْيَقُلْ: اللَّهُ أَعْلَمُ، فَإِنَّهُ أَعْلَمُ لِأَحَدِكُمْ أَنْ يَقُولَ لِمَا لَا يَعْلَمُ: اللَّهُ أَعْلَمُ، فَإِنَّ اللَّهَ -عَزَّ وَجَلَّ- قَالَ لِنَبِيِّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [ص: ٨٦] إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لَمَّا رَأَى مِنَ النَّاسِ إِذْبَارًا، فَقَالَ: اللَّهُمَّ سَبْعُ كَسَبِعٍ يُوسُفَ قَالَ: فَأَخَذَتْهُمْ سَنَةٌ حَصَّتْ كُلُّ شَيْءٍ -أَيِ اسْتَأْصَلَتْ كُلُّ شَيْءٍ- حَتَّى أَكَلُوا الْجُلُودَ وَالْمَيْتَةَ مِنَ الْجُوعِ، وَيَنْظُرُ إِلَى السَّمَاءِ أَحَدُهُمْ فَيَرَى كَهَيْئَةِ الدُّخَانِ، فَأَتَاهُ أَبُو سُفْيَانَ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّكَ جِئْتَ تَأْمُرُ بِطَاعَةِ اللَّهِ، وَبِصَلَةِ الرَّحِمِ، وَإِنَّ قَوْمَكَ قَدْ هَلَكُوا، فَادْعُ اللَّهَ لَهُمْ، قَالَ اللَّهُ -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ * يَغْشى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الدخان: ١٠-١١]».

وقال أكثر العلماء: إن الدخان المذكورة في الآية لم يأت بعد، فهو من الآيات المنتظرة وسيقع قرب قيام الساعة وإلى هذا القول ذهب ابن عباس -رضي الله عنهما- وجماعة من الصحابة والتابعين.

ثبت عند ابن جرير الطبري^(٢) عن عبد الله بن أبي مُلَيْكَةَ أَنَّهُ قَالَ: «عَدُوْتُ عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- ذَاتَ يَوْمٍ فَقَالَ: مَا نِمْتُ اللَّيْلَةَ حَتَّى أَصْبَحْتُ، قُلْتُ: لَمْ؟ قَالَ:

(١) أخرجه البخاري (٥١٣٢)، ومسلم (٢٧٩٨).

(٢) (١٨/٢١) وصحح إسناده ابن كثير في تفسيره (٢٤٩/٧).

قالوا: طَلَعَ الْكَوْكَبُ ذُو الدَّنَبِ فَخَشِيتُ أَنْ يَكُونَ الدُّخَانُ قَدْ طَرَقَ، فَمَا نِمْتُ حَتَّى أَصْبَحْتُ».

وهذا القول الذي قال به أكثر العلماء أصح، والآيات العشر كلها متتابعة بعضها باثر بعض، ويدل له حديث حذيفة بن أسيد وحديث أبي هريرة -رضي الله عنهما- وقد سبقا^(١) وهو أيضا ظاهر القرآن فقد قال -تعالى-: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ﴾ [الدخان: ١٠] أي بَيِّن واضح يراه كل أحد.

وما فسر به ابن مسعود -رضي الله عنه- إنما هو خيال رأوه في أعينهم من شدة الجوع والجهد، وهكذا قوله -تعالى-: ﴿يَغْشَى النَّاسَ﴾ [الدخان: ١١] أي يَتَغَشَّاهُمْ وَيَعْمَهُمْ.

ولو كان أمراً مُتَخَيَّلًا يَخُصُّ أهل مكة المشركين لما قيل فيه: ﴿يَغْشَى النَّاسَ﴾. ذكره ابن كثير رحمه الله -تعالى- في تفسيره^(٢).

وقال في البداية والنهاية عن تفسيره بما وقع لأهل مكة من شدة الجوع فصاروا يرون في السماء كهيئة الدخان^(٣): "وهذا التفسير غريب جداً، ولم يُنقل مثله عن أحد من الصحابة غيره... وفي ظاهر القرآن ما يدل على وجود دخان من السماء يغشى الناس وهذا أمر محقق عام وليس كما روي عن ابن مسعود -رضي الله عنه- أنه خيال في أعين قريش من شدة الجوع".

ثم قال:

(كَذَا طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا عَلَامَةٌ مُفْزَعَةٌ أَعْظَمُ بِهَا
فَلَيْسَ يُجْدِي كَافِرًا إِيْمَانُهُ وَلَا عَصِيًّا مُسْرِفًا إِحْسَانُهُ)

من أشراط الساعة الكبرى: طلوع الشمس من مغربها، وهي آية عظيمة مفزعة، يتبعها تغير العالم العلوي إيذاناً بقيام الساعة، فإذا طلعت الشمس من مغربها لم يُقبل

(١) سبق تخريجهما قريباً.

(٢) (٢٤٩/٧).

(٣) (٢٦٥/١٥).

من الكافر إيمانه ولا من العاصي توبته؛ لأن الناس يصيرون كلهم بإيقانهم بدنو يوم القيامة في حكم من عاين بأس الله، وفي حكم من حضره الموت، فمن تاب في تلك الحالة لم يُقبل ذلك منه كما لا يُقبل الإيمان ممن عاين بأس الله ﴿فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيْمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا﴾ [غافر: ٨٥] وكما لم يُقبل الإيمان ممن حضره الموت.

والدليل على هذه الآية من القرآن قوله -تعالى-: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام: ١٥٨].

وقد دلت السُّنة على أن المراد ببعض الآيات هنا طلوع الشمس من مغربها ففي الصحيحين^(١) عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَإِذَا طَلَعَتْ فَرَأَاهَا النَّاسُ آمَنُوا أَجْمَعُونَ، فَذَلِكَ حِينَ: ﴿لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام: ١٥٨]».

وفي صحيح مسلم^(٢) عن أبي ذر -رضي الله عنه-: «أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ يَوْمًا: أَتَدْرُونَ أَيْنَ تَذْهَبُ هَذِهِ الشَّمْسُ؟ قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ: إِنَّ هَذِهِ تَجْرِي حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى مُسْتَقَرِّهَا تَحْتَ الْعَرْشِ، فَتَخِرُّ سَاجِدَةً، فَلَا تَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يُقَالَ لَهَا: ارْتَفِعِي، ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ، فَتَرْجِعُ فَتُصْبِحُ طَالِعَةً مِنْ مَطْلِعِهَا، ثُمَّ تَجْرِي حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى مُسْتَقَرِّهَا تَحْتَ الْعَرْشِ، فَتَخِرُّ سَاجِدَةً، وَلَا تَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يُقَالَ لَهَا: ارْتَفِعِي، ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ، فَتَرْجِعُ فَتُصْبِحُ طَالِعَةً مِنْ مَطْلِعِهَا، ثُمَّ تَجْرِي لَا يَسْتَنْكِرُ النَّاسُ مِنْهَا شَيْئًا حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى مُسْتَقَرِّهَا ذَاكَ تَحْتَ الْعَرْشِ، فَيُقَالَ لَهَا: ارْتَفِعِي أَصْبِحِي طَالِعَةً مِنْ مَغْرِبِكَ، فَتُصْبِحُ طَالِعَةً مِنْ مَغْرِبِهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: أَتَدْرُونَ مَتَى ذَاكُمْ؟ ذَاكَ حِينَ: ﴿لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام: ١٥٨]».

(١) أخرجه البخاري (٤٦٣٥)، ومسلم (١٥٧).

(٢) (١٥٩).

وفي صحيح مسلم^(١) عن عبدالله بن عمرو -رضي الله عنهما- أنه قال: «حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حَدِيثًا لَمْ أَنْسَهُ بَعْدُ؛ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: إِنَّ أَوَّلَ الْآيَاتِ خُرُوجًا، طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَخُرُوجُ الدَّابَّةِ عَلَى النَّاسِ ضُحًا، وَأَيُّهُمَا مَا كَانَتْ قَبْلَ صَاحِبَتِهَا، فَالْأُخْرَى عَلَى إِثْرِهَا قَرِيبًا».

والمقصود: أول الآيات العظام المؤذنة بتغير أحوال العالم العلوي، وينتهي ذلك بقيام الساعة. وليس المراد أول الآيات مطلقًا، بل المراد أنها أول الآيات التي يبدأ بعدها التغير؛ لذلك لا تُقبل بعدها التوبة والإيمان.

في صحيح مسلم^(٢) عن أبي موسى الأشعري -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: «إِنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا»

وفي صحيح مسلم^(٣) أيضًا عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أنه قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «مَنْ تَابَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ».

ومفهومه: أن من تاب بعد أن تطلع الشمس من مغربها لم تُقبل توبته. ويمتدُّ عدم قبول التوبة إلى أن تقوم الساعة.

ثم بعد أن تطلع الشمس من مغربها تخرج الدابة ضحًا في ذلك اليوم أو الذي يقرب منه، والحكمة من ذلك: أنه عند طلوع الشمس من مغربها يُغلق باب التوبة، فتخرج الدابة تُميز المؤمن من الكافر تكميلاً للمقصود من إغلاق باب التوبة.

لذا قال بعد ذلك: (ثُمَّ خُرُوجُ دَابَّةٍ فِي الْإِثْرِ) دابة بتخفيف الباء للوزن (تَسْمُ بِالْإِيمَانِ أَوْ بِالْكُفْرِ).

(تُكَلِّمُ النَّاسَ وَتُنذِرُ الْبَشَرَ وَوَصَفُهَا مَا صَحَّ فِيهِ مِنْ خَبَرٍ)

(١) (٢٩٤١).

(٢) (٢٧٥٩).

(٣) (٢٧٠٣).

من أشراط الساعة الكبرى: خروج دابة الأرض التي تُكَلِّمُ الناس، وقد دلَّ على ذلك الكتاب والسُّنة والإجماع.

فمن الكتاب قوله -تعالى-: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ [النمل: ٨٢] أي إذا وجب العذاب عليهم بتماديهم في العصيان وتركهم أوامر الله أخرج الله لهم دابة من الأرض تكلمهم.

وقد اختلف في معنى تَكَلَّمَ لَهُمْ على قولين كلاهما صحيح:

◀ الأول: تخاطبهم وتحديثهم فتقول: إن الناس كانوا بآيات الله لا يصدقون.

◀ والآخر: تَجَرَّحُهُمْ وَتَسَمُّهُمْ بالإيمان والكفر.

وقد قرئ في الشواذ (تَكَلَّمَ لَهُمْ) من الكَلَم وهو الجرح، وكلا القولين مروى عن ابن عباس -رضي الله عنهما-^(١) فهي تخاطبهم وتَجَرَّحُهُمْ.

ومن السُّنة حديث حُذيفة بن أَسيد السابق في صحيح مسلم^(٢) أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «إِنَّ السَّاعَةَ لَا تَكُونُ حَتَّى تَكُونَ عَشْرُ آيَاتٍ» وذكر منها دابة الأرض.

وفي صحيح مسلم^(٣) أيضاً عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سِتًّا» وذكر منها دابة الأرض.

وفي صحيح مسلم^(٤) أيضاً عن عبدالله بن عمرو -رضي الله عنهما- أنه قال: «حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حَدِيثًا لَمْ أَنْسَهُ بَعْدُ؛ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: إِنَّ أَوَّلَ الْآيَاتِ خُرُوجًا، طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَخُرُوجُ الدَّابَّةِ عَلَى النَّاسِ ضُحًا، وَأَيُّهُمَا مَا كَانَتْ قَبْلَ صَاحِبَتِهَا، فَالْأُخْرَى عَلَى إِثْرِهَا قَرِيبًا»

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٢١١/٦).

(٢) سبق تخريجه قريباً.

(٣) سبق تخريجه قريباً.

(٤) سبق تخريجه قريباً.

وفي مسند الإمام أحمد^(١) وهو في السلسلة الصحيحة^(٢) عن أبي أمامة -رضي الله عنه- يرفعه إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: «تَخْرُجُ الدَّابَّةُ فَتَسِمُ النَّاسَ عَلَى خَرَاطِيمِهِمْ -الخراطيم: جمع خُرْطُوم وهو الأنف- ثُمَّ يَغْمُرُونَ فِيكُمْ -وهو من الغمر، والغمر: الكثير، وغمرة الناس: جماعتهم وزحمتهم، ومعنى يغمرون فيكم يكثرُونَ. وفي رواية: «يُعَمَّرُونَ فِيكُمْ» أي تطول أعمارهم- حَتَّى يَشْتَرِيَ الرَّجُلُ الْبَعِيرَ فَيَقُولُ: مِمَّنْ اشْتَرَيْتَهُ؟ فَيَقُولُ: مِنْ أَحَدِ الْمُخْطَمِينَ».

وفي مسند الإمام أحمد^(٣) وجامع الترمذي^(٤) بإسناد ضعيف عن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: «تَخْرُجُ الدَّابَّةُ وَمَعَهَا عَصَا مُوسَى -عليه السَّلَامُ- وَخَاتَمُ سُلَيْمَانَ -عليه السَّلَامُ-، فَتَخْطُمُ الْكَافِرَ- قَالَ عَفَّانُ -أحد رواة الحديث:- أَنْفَ الْكَافِرِ- أَي تَسِمُهُ فَتَكُونُ عَلَى أَنْفِهِ سِمَةً يُعْرِفُ بِهَا- بِالْخَاتَمِ، وَتَجْلُو وَجْهَ الْمُؤْمِنِ بِالْعَصَا -أي تُنَوِّرُهُ- حَتَّى إِنَّ أَهْلَ الْخَوَانِ -وهو ما يوضع عليه الطعام- لَيَجْتَمِعُونَ عَلَى خَوَانِهِمْ، فَيَقُولُ هَذَا: يَا مُؤْمِنُ، وَيَقُولُ هَذَا: يَا كَافِرُ».

وقد أجمع أهل العلم على الإيمان بخروج هذه الدابة في آخر الزمان.

وقد كثرت الروايات والآثار في تعيين هذه الدابة ووصفها ومكان خروجها ولم يصح في ذلك شيء، لذا لا ينبغي الاشتغال به.

فنؤمن بأنها دابة من الأرض تُكَلِّمُ النَّاسَ وَتَسِمُهُمْ فَتُمَيِّزُ بَيْنَهُم بِالْإِيمَانِ وَالْكَفْرِ، تَجْلُو وَجْهَ الْمُؤْمِنِ حَتَّى يُشْرِقَ، وَيَكُونُ ذَلِكَ عِلَامَةً عَلَى إِيْمَانِهِ، وَتَخْطُمُ الْكَافِرَ عَلَى أَنْفِهِ عِلَامَةً عَلَى كُفْرِهِ وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ.

وقد أمر النبي -صلى الله عليه وسلم- بالمبادرة بالأعمال الصالحة قبل خروجها.

وأما ما عدا ذلك من أوصافها فموكول إلى عالم الغيب سبحانه وتعالى.

(١) (٢٢٣٠٨).

(٢) (٣٢٢) (٦٣٩/١).

(٣) (٧٩٣٧).

(٤) (٣١٨٧) وهو في السلسلة الضعيفة (١١٠٨) (٢٣٣/٣).

وهذا المسلك في الغيبات هو الذي ينبغي أن يُسلَك خشية الوقوع في المحذور،
والغيبات لا تُثَبَّتُ إلا بالكتاب والسُّنَّة الصحيحة.

هذا قوله:

(ثُمَّ خُرُوجُ دَابَّةٍ فِي الْإِثْرِ تَسِمُ بِالْإِيمَانِ أَوْ بِالْكَفْرِ)

في الإثر: أي في إثر طلوع الشمس من مغربها.

(تَكَلِّمُ النَّاسَ وَتُنذِرُ الْبَشَرَ وَوَصَفُهَا مَا صَحَّ فِيهِ مِنْ خَبَرٍ)

أي لم يصح في وصفها خبر.

المتن:

وَأَخِرُ الْآيَاتِ نَارٌ حَاشِرَةٌ تَسُوقُهُمْ لِلشَّامِ قَبْلَ الْآخِرَةِ
وَالنَّاسُ فِي الْحَشْرِ عَلَى مَرَاتِبٍ فَوْجٌ يَسِيرُ رَاغِبًا وَرَاهِبًا
وَالثَّانِ مِنْ قِلَّةٍ ظَهَرَ يَغْتَقِبُ أَمَّا الْبَقِيَّةُ فَمَسْحُوبٌ مُكَبٌّ
وَالنَّارُ مَعَهُمْ بِحَيْثُ سَارُوا مَنْ يَتَخَلَّفُ أَكَلَتْهُ النَّارُ

الشرح:

آخر أشراط الساعة الكبرى وليس بعدها إلا قيام الساعة: النار التي تخرج من اليمن من
قُعرَة عدن تسوق الناس إلى أرض الشام.

في حديث حذيفة بن أسيد -رضي الله عنه- في صحيح مسلم^(١) الذي جمع الأشراف
العشرة الكبرى قال -صلى الله عليه وسلم-: «وَأَخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ، تَطْرُدُ النَّاسَ
إِلَى مَحْشَرِهِمْ».

وفي رواية^(٢): «وَنَارٌ تَخْرُجُ مِنْ قُعرَة عَدَنٍ تَرْحَلُ النَّاسَ» أي تأخذهم بالرحيل وتزعجهم.

(١) (٢٩٠١).

(٢) (٢٩٠١).

وعند أحمد^(١) والترمذي^(٢) وهو في صحيح الجامع الصغير^(٣) عن ابن عمر -رضي الله عنهما- أنه قال: قال -صلى الله عليه وسلم-: «سَتَخْرُجُ نَارٌ مِنْ حَضْرَمَوْتَ أَوْ مِنْ بَحْرِ حَضْرَمَوْتَ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ تَحْشُرُ النَّاسَ. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَمَا تَأْمُرُنَا؟ قَالَ: عَلَيْكُمْ بِالشَّامِ» أَمَرَ بَأَنْ يَسْبِقُوا إِلَى الشَّامِ قَبْلَ أَنْ تَحْشُرَهُمُ النَّارُ.

وفي صحيح البخاري^(٤) عن أنس -رضي الله عنه- أن عبد الله بن سلام -رضي الله عنه- لما بلغه مَقْدَمُ النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- إلى المدينة أتاه فسأله عن ثلاث منها أنه قال للنبي -صلى الله عليه وسلم-: «مَا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم-: أَمَّا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ فَنَارٌ تَحْشُرُ النَّاسَ مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ».

ولا تعارض بين وصفها في هذا الحديث بأنها أول أشراط الساعة، ووصفها في حديث حذيفة بن أسيد بأنها آخر الآيات فإنه يُجمع بينهما بأن آخريتها باعتبار ما ذكر معها من الآيات الواردة في حديث حذيفة، فهي آخر الأَشْرَاطِ الْكُبْرَى. أما أوليتها فباعتبار أنها أول الآيات التي لا شيء بعدها من أمور الدنيا، بل يقع بانتهائها النفخ في الصور، بخلاف ما ذكر معها من الآيات الواردة في حديث حذيفة فإنه يبقى بعد كل آية منها أشياء من أمور الدنيا، ذكره الحافظ ابن حجر في فتح الباري^(٥).

فالنار آخر آيات الدنيا وأول آيات الآخرة، فإن الساعة تقوم بعدها.

والنار إنما تحشر شرار الخلق؛ لأنها تكون بعد الريح التي تقبض أرواح أهل الإيمان.

ولا تعارض أيضًا بين أنها تخرج من اليمن وأنها تحشر الناس من المشرق إلى المغرب، واليمن ليس مشرق الشام؛ فإنه يُجمع بينهما بأن ابتداء خروجها من قعر عدن فإذا خرجت انتشرت في الأرض كلها.

(١) (٥٣٧٦).

(٢) (٢٢١٧).

(٣) (٣٦٠٩) (٦٧٥/١).

(٤) (٣٣٢٩).

(٥) (٨٢/١٣).

والمراد بقوله: «تَحْشُرُ النَّاسَ مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ» تعميم الحشر لا خصوص المشرق والمغرب.

أو أن النار بعد الانتشار تحشر أهل المشرق أولاً ويُبين ذلك أن ابتداء الفتن دائماً من المشرق، وأما جعل الغاية إلى المغرب؛ فلأن الشام بالنسبة إلى المشرق مغرب، ذكره الحافظ ابن حجر في الفتح^(١).

والحشر يكون إلى الشام أرض المحشر، كما في حديث ابن عمر السابق في ذكر خروج النار «قالوا: يا رسول الله، فما تأمرنا؟ قال: عليكم بالشَّام»^(٢).

وعند الإمام أحمد^(٣) وحَسَنَ إِسْنَادَهُ محققوه عن حكيم بن معاوية البهزي عن أبيه معاوية بن حيدة أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «هاهنا تُحْشَرُونَ، هاهنا تُحْشَرُونَ، هاهنا تُحْشَرُونَ رُكْبَانًا وَمُشَاةً وَعَلَى وُجُوهِكُمْ...» قال ابنُ أبي بكيرٍ أحد رواة الحديث: فَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى الشَّامِ فَقَالَ: «إِلَى هَاهُنَا تُحْشَرُونَ».

والسبب في كون الشام أرض المحشر: أن الله -عز وجل- تكفل بأرض الشام وبارك فيها، وأن الأمن والإيمان حين تقع الفتن آخر الزمان يكون بالشَّام.

وقد جاء في فضل أرض الشام والترغيب في سُكْنَاهَا أَحَادِيثُ صحيحة منها ما أخرجه الإمام أحمد^(٤) عن أبي الدرداء -رضي الله عنه- أنه قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «أَلَا وَإِنَّ الْإِيمَانَ حِينَ تَقَعُ الْفِتْنُ بِالشَّامِ».

وعند أبي داود^(٥) عن عبدالله بن حوالة -رضي الله عنه- أنه قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «سَيَصِيرُ الْأَمْرُ إِلَى أَنْ تَكُونُوا جُنُودًا مَجْنَدَةً جُنْدُ الشَّامِ، وَجُنْدُ الْيَمَنِ، وَجُنْدُ الْعِرَاقِ، قَالَ ابْنُ حَوَالَةَ: خِرْلِي يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ أَدْرَكْتُ ذَلِكَ، فَقَالَ: عَلَيْكَ

(١) انظر: فتح الباري (٣٧٩/١١).

(٢) سبق تخريجه قريباً.

(٣) (٢٠٠١١).

(٤) (٢١٧٣٣) وصحح إسناده محققوه.

(٥) (٢٤٨٣) وصحح إسناده الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢٤٦/٧).

بِالشَّامِ، فَإِنَّهَا خَيْرَةُ اللَّهِ مِنْ أَرْضِهِ، يَجْتَبِي إِلَيْهَا خَيْرَتَهُ مِنْ عِبَادِهِ، فَأَمَّا إِذَا أُبَيِّتُمْ، فَعَلَيْكُمْ بِيَمِينِكُمْ، وَاسْقُوا مِنْ غُدْرِكُمْ، فَإِنَّ اللَّهَ تَوَكَّلَ لِي بِالشَّامِ وَأَهْلِهِ».

وقد دعا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- للشام بالبركة، ففي صحيح البخاري^(١) عن ابن عمر -رضي الله عنهما- أنه قال: قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي يَمِينِنَا».

وقد تقدم أن الخلافة الراشدة على منهاج النبوة في آخر الزمان تكون بالشام، وأن نزول عيسى -عليه السلام- في آخر الزمان يكون بالشام، وبه يكون اجتماع المؤمنين لقتال الدجال.

والأحاديث الصحيحة في فضائل الشام كثيرة وإن كان الشأن كما كتب سلمان الفارسي لأبي الدرداء -رضي الله عنهما- كما في الموطأ^(٢): «إِنَّ الْأَرْضَ لَا تَقْدَسُ أَحَدًا وَإِنَّمَا يُقَدِّسُ الْإِنْسَانُ عَمَلُهُ».

لكن أرض الشام في آخر الزمان تكون أرض خير وبركة وأمان، لذلك يقصدها الناس من كل ناحية يفرون من النار.

وليس المقصود بهذا الشرط وهذه الأحاديث نار الآخرة وأنها تحشرهم بعد أن يُبعثوا من قبورهم، بل المقصود النار التي تحشر الناس إلى أرض الشام في الدنيا قبل قيام الساعة وإلى هذا أشار بقوله: (تَسُوقُهُمْ لِلشَّامِ قَبْلَ الْآخِرَةِ)

والدليل على أن هذا الحشر يكون قبل قيام الساعة: حديث ابن عمر -رضي الله عنهما- السابق وفيه: «سَتَخْرُجُ نَارٌ مِنْ حَضْرَمَوْتَ أَوْ مِنْ بَحْرِ حَضْرَمَوْتَ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ تَحْشُرُ النَّاسَ»^(٣).

ثم بيّن صفة حشرها الناس فقال:

(وَالنَّاسُ فِي الْحَشْرِ عَلَى مَرَاتِبٍ فَوْجٌ يَسِيرُ رَاغِبًا وَرَاهِبًا)

(١) (٧٠٩٤).

(٢) (٢٨٤٢).

(٣) سبق تخريجه قريباً.

وَالثَّانِ مِنْ قِلَّةِ ظَهْرِ يَعْتَقِبُ أَمَّا الْبَقِيَّةُ فَمَسْحُوبٌ مُكَبٌّ
وَالنَّارُ مَعَهُمْ بِحَيْثُ سَارُوا مَنْ يَتَخَلَّفُ أَكَلَتْهُ النَّارُ

يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى ثَلَاثَةِ أَفْوَاجٍ:

➤ الأول: فوج راغبون طاعمون كاسون راكبون. وهذا قوله: (فَوْجٌ يَسِيرُ رَاغِبًا وَرَاهِبًا).

➤ والثاني: فوج يمشون تارة، ويركبون أخرى، يعتقبون على البعير الواحد، وذلك من قلة الظهر يومئذ. وهذا قوله: (وَالثَّانِ مِنْ قِلَّةِ ظَهْرِ يَعْتَقِبُ).

➤ والثالث: تحشرهم النار فتحيط بهم من ورائهم، وتسوقهم من كل جانب إلى أرض المحشر ومن تخلف أكلته النار، وهذا قوله:

(أَمَّا الْبَقِيَّةُ فَمَسْحُوبٌ مُكَبٌّ
وَالنَّارُ مَعَهُمْ بِحَيْثُ سَارُوا مَنْ يَتَخَلَّفُ أَكَلَتْهُ النَّارُ)

في الصحيحين^(١) عن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: «يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى ثَلَاثِ طَرَائِقَ: رَاغِبِينَ رَاهِبِينَ، وَاثْنَانِ عَلَى بَعِيرٍ، وَثَلَاثَةٌ عَلَى بَعِيرٍ، وَأَرْبَعَةٌ عَلَى بَعِيرٍ، وَعَشْرَةٌ عَلَى بَعِيرٍ، وَتَحْشُرُ بَقِيَّتَهُمُ النَّارُ، تَقِيلُ مَعَهُمْ حَيْثُ قَالُوا، وَتَبِيْتُ مَعَهُمْ حَيْثُ بَاتُوا، وَتُصْبِحُ مَعَهُمْ حَيْثُ أَصْبَحُوا، وَتُمْسِي مَعَهُمْ حَيْثُ أَمْسَوْا».

وعند الإمام أحمد^(٢) وقوى إسناده محققوه عن حذيفة بن أسيد -رضي الله عنه- أنه قال: قام أبو ذر -رضي الله عنه- فقال: «يَا بَنِي غِفَارٍ، قُولُوا وَلَا تَخْتَلِفُوا؛ فَإِنَّ الصَّادِقَ الْمَصْدُوقَ -صلى الله عليه وسلم- حَدَّثَنِي: أَنَّ النَّاسَ يُحْشَرُونَ عَلَى ثَلَاثَةِ أَفْوَاجٍ: فَوْجٌ رَاكِبِينَ طَاعِمِينَ كَاسِينَ، وَفَوْجٌ يَمْشُونَ وَيَسْعَوْنَ، وَفَوْجٌ تَسْحِمُهُ الْمَلَائِكَةُ عَلَى وُجُوهِهِمْ، وَتَحْشُرُهُمُ إِلَى النَّارِ، فَقَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ: هَذَانِ قَدْ عَرَفْنَاهُمَا، فَمَا بِالَّذِينَ يَمْشُونَ وَيَسْعَوْنَ؟ قَالَ: يُلْقِي اللَّهُ الْآفَةَ -أي آفة الموت- عَلَى الظَّهْرِ -أي على ما يحمل الناس من

(١) (٦٥٢٢).

(٢) (٢٨٦١).

الدواب- حتى لا يَبْقَى ظَهْرٌ، حتى إِنَّ الرَّجْلَ لَيَكُونُ لَهُ الْحَدِيقَةُ الْمُعْجِبَةُ، فَيُعْطِيهَا بِالْشَارِفِ ذَاتِ الْقَتَبِ فَلَا يَقْدِرُ عَلَيْهَا».

الشارف: الناقة المُسِنَّة. والقَتَب: الرَّحْل الذي يوضع على قدر سَنَام البعير. والمراد: الناقة العاملة.

وروى الطبراني في الكبير^(١) والأوسط^(٢) وفي إسناده مقال عن عبد الله بن عمرو -رضي الله عنهما- أنه قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «تُبْعَثُ نَارٌ عَلَى أَهْلِ الْمَشْرِقِ، فَتَحْشَرُهُمْ إِلَى الْمَغْرِبِ، تَبِيتُ مَعَهُمْ حَيْثُ بَاتُوا، وَتُقِيلُ مَعَهُمْ حَيْثُ قَالُوا، يَكُونُ لَهَا مَا سَقَطَ مِنْهُمْ وَتَخْلَفَ، تَسَوْفُهُمْ سَوْقَ الْجَمَلِ الْكَسِيرِ».

الخاتمة

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي تَفَضَّلَا فَتَمَّ مَا قَدْ رُمْتُهُ مُكَمَّلَا
حَاشِيَتُهُ مِنْ حَشْوٍ أَوْ طُولٍ يُمَلِّ خَيْرُ كَلَامِ الْمَرْءِ مَا قَلَّ وَدَلَّ
حَافِظْتُ جَاهِدًا عَلَى أَلْفَاظٍ مَا جَاءَ فَأَضْحَى مِثْلَ عَقْدٍ نُمْنِمَا
يَا رَبِّ يَا رَبِّ تَقَبَّلِ الْعَمَلِ وَاعْفِرْ إِلَهِي مَا بِهِ مِنَ الْخَلَلِ
وَلْتَجْعَلْنَهُ خَالِصًا بِلا رِيَا لَوَجْهِكَ الْكَرِيمِ يَا ذَا الْكِبْرِيَا
رَبَّاهُ يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ وَكَاشِفَ الْكَرْبِ عَنِ الْمَكْرُوبِ
ثَبَّتْ قُلُوبَنَا عَلَى الْإِيمَانِ وَنَجَّنَا مِنْ شَرِّكَ الشَّيْطَانِ
وَلَا تُزِغْ قُلُوبَنَا وَعَافِنَا وَمِنْ شُرُورِ الْخَلْقِ رَبَّنَا قِنَا
بِكَ الْعِيَاذُ يَا عَظِيمَ الطَّوْلِ مِنْ كُلِّ فِتْنَةٍ وَكُلِّ هَوْلٍ
وَهَبْ لَنَا دَوَامَ الْإِسْتِغَالِ بِالْعِلْمِ وَالطَّاعَةِ كُلِّ حَالٍ
وَاخْتِمِ لَنَا بِالْخَيْرِ وَالسَّعَادَةِ وَأَوَّلِنَا الْحُسْنَى مَعَ الزِّيَادَةِ

(١) (١٤٥١٣).

(٢) (٨٠٩٢) وهو في السلسلة الضعيفة (٦٩١٥) (٩٧٤/١٤).

وَاشْمَلْ بِهَذَا مَنْ لَهُ حَقُّ عَلَيَّ وَكُلَّ مَنْ أَحْسَنَ يَا رَبِّ إِلَيَّ
 وَصَلَّيْنِ وَسَلِّمَنْ أَهْلَ الْكَرَمِ عَلَى النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى خَيْرِ النَّسَمِ
 وَالْأَلِ وَالْأَصْحَابِ ثُمَّ أَخْتِمُ بِالْحَمْدِ وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ

وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



الفهرس

المحتويات

٢	تقديم فضيلة الشيخ الدكتور يوسف بن عبدالله الوابل حفظه الله لمنظومة أشراط الساعة.....
٤	منظومة أشراط الساعة.....
١١	تقريظات منظومة أشراط الساعة.....
١٣	الشرح.....
١٤	المقدمة.....
١٨	الأشراط الصغرى.....
١٨	١. مبعث النبي صلى الله عليه وسلم.....
٢٠	٢. موت النبي صلى الله عليه وسلم.....
٢٠	٣. فتح بيت المقدس.....
٢١	٤. طاعون عمواس.....
٢٢	٥. استفاضة المال.....
٢٣	٦. انتشار الأمن.....
٢٤	٧. قتال الترك.....
٢٦	٨. قتال العجم.....
٢٦	٩. ظهور نار الحجاز.....
٢٨	١٠. ظهور الفتن.....
٢٨	أ) قتل الخليفة الراشد عثمان رضي الله عنه.....
٣٠	ب) ظهور الخوارج.....
٣١	ج) وقعة الحرة.....
٣٢	د) أسباب السلامة من الفتن.....
٣٢	١. اتباع النبي صلى الله عليه وسلم.....
٣٣	٢. التعوذ بالله من الفتن.....
٣٣	٣. اجتناب الفتن وترك السعي في أسبابها.....
٣٤	٤. لزوم الجماعة.....
٣٥	٥. الاجتهاد في العبادة.....
٣٥	٦. التحلي بالصبر.....
٣٦	٧. كف اللسان واليد.....
٣٧	١١. ظهور مدعي النبوة.....
٤٠	١٢. كثرة الشرط.....
٤١	١٣. غربة الناس وقلة الأخيار وذهاب الصالحين.....
٤١	١٤. اتباع سنن الأمم الماضية.....
٤٢	١٥. وقوع التناكر بين الناس.....
٤٣	١٦. التطاول في البنيان.....
٤٤	١٧. تقارب الأسواق.....
٤٤	١٨. تقارب الزمان.....
٤٦	١٩. شيوع الشر.....

٢٠. ظهور الفحش وانتشاره..... ٤٦
٢١. قطيعة الرحم..... ٤٧
٢٢. شهادة الزور..... ٤٨
٢٣. كثرة شرب الخمر..... ٤٨
٢٤. ظهور الشرك في هذه الأمة..... ٤٩
٢٥. تَشَبُّبُ الْمَشِيخَةِ..... ٥١
٢٦. كثرة الشح..... ٥٢
٢٧. فُشُوُّ الْجَهْلِ..... ٥٢
٢٨. انتشار الزنى..... ٥٤
٢٩. انتشار الربا..... ٥٥
٣٠. ظهور المعازف..... ٥٦
٣١. كثرة القتل..... ٥٧
٣٢. كثرة الزلازل..... ٥٨
٣٣. كثرة التجارة..... ٥٩
٣٤. انتشار الكتابة..... ٥٩
٣٥. التشديق في الكلام..... ٦٠
٣٦. سوء الجوار..... ٦١
٣٧. كثرة الكذب..... ٦١
٣٨. ارتفاع الأسافل وإسناد الأمر إليهم..... ٦٣
٣٩. التماس العلم عند الأصاغر..... ٦٣
٤٠. أن يحوي الدنيا لكع ابن لكع..... ٦٥
٤١. اتخاذ القرآن مزامير..... ٧١
٤٢. كثرة موت الفجأة..... ٦٨
٤٣. بَعْجُ مَكَّةَ..... ٧٠
٤٤. أن يعود الإسلام غريبا..... ٧٠
٤٥. ولادة الأمة ربها..... ٧١
٤٦. انتفاخ الأهلة..... ٧٢
٤٧. رَدُّ سُنَّةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ..... ٧٣
٤٨. تداعي الأمم على الأمة الإسلامية..... ٧٥
٤٩. بيع الحكم..... ٧٥
٥٠. صدق رؤيا المسلم..... ٧٦
٥١. ظهور الكاسيات العاريات..... ٧٦
٥٢. زخرفة المساجد والتباهي بها..... ٧٩
٥٣. فقد الأمانة وضياعها..... ٨٠
٥٤. أن يكون السلام للمعرفة..... ٨٢
٥٥. اتخاذ المساجد طرقًا..... ٨٣
٥٦. عود أرض العرب مروجًا وأنهارًا..... ٨٤
٥٧. قلة النبات مع كثرة المطر..... ٨٥
٥٨. حسر نهر الفرات عن جبل من ذهب..... ٨٦
٥٩. تمني الموت من شدة البلاء..... ٨٨

٦٠. كلام السباع والجمادات للإنس ٨٩
٦١. قلة الرجال وكثرة النساء ٩١
٦٢. فتنة الأحلاس والسراء والدهماء ٩٣
٦٣. خراب المدينة ٩٥
٦٤. كثرة الروم وقاتلهم للمسلمين وهي الملحمة الكبرى ٩٧
٦٥. فتح القسطنطينية ١٠٢
٦٦. فتح رومية ١٠٤
٦٧. نفي المدينة شرارها ١٠٤
٦٨. قتال اليهود وقتلهم واستئصالهم ١٠٦
٦٩. خروج الجهجاه ١٠٨
٧٠. خروج القحطاني ١٠٨
٧١. رفع القرآن الكريم ١٠٩
٧٢. ترك حج بيت الله ١٠٩
٧٣. ظهور الخسف والمسح والقذف ١١٠
٧٤. نقض عرى الإسلام ١١٢
٧٥. خراب الكعبة ١١٢
٧٦. بعث الريح الطيبة لقبض أرواح الممنين ١١٤
٧٧. المهدي ١١٦
- (أ) اسمه وصفته ومدة ملكه وامتلاء الأرض قسطا وعدلا في زمانه ١١٦
- (ب) تواتر أحاديث المهدي ١٢٢
- (ج) ذكر جماعة ممن ادعيت لهم المهديّة ومن ادعاه لنفسه ١٢٣
- (د) كلمة جلييلة لسفيان الثوري وبصيرة في الفتن وأصل في زمن كثر فيه العبث بالمغيبات ١٢٧
- الأشراط الكبرى ١٣٠
٧٨. المسيح الدجال ١٣٢
- (أ) عظم فتنته ١٣٢
- (ب) صفاته ١٣٣
- (ج) البلاد التي لا يدخلها الدجال وإسراعه في الأرض ١٣٩
- (د) مدة مكثه في الأرض ١٤١
- (هـ) الخوارق التي يعطاها ١٤١
- (و) أتباعه ١٤٣
- (ز) أشد الأمة على الدجال ١٤٥
- (ح) هلاكه ١٤٥
- (ط) هل ابن صياد هو الدجال؟ ١٤٦
- (ي) أسباب الوقاية من فتنته ١٥٢
٧٩. نزول عيسى عليه السلام ١٥٥
- (أ) تواتر أدلة نزول عيسى عليه السلام ١٥٦
- (ب) الحكمة من نزوله عليه السلام آخر الزمان ١٥٨
- (ج) مكان نزوله ١٥٨
- (د) صفة نزوله ١٥٩
- (هـ) أعماله ١٦٠

- ١٦٣ (و) زمانه.
- ١٦٥ (ز) صفاته.
- ١٦٦ (ح) مدة مكثه في الأرض.
- ١٦٨ ٨٠. خروج يأجوج ومأجوج.
- ١٦٨ (أ) تواتر أدلة خروج يأجوج ومأجوج.
- ١٧٠ (ب) يأجوج ومأجوج من ذرية آدم عليه السلام.
- ١٧٢ (ج) صفاتهم.
- ١٧٥ (د) خروجهم وإفسادهم وإهلاكهم.
- ١٨٠ (هـ) مكان سد يأجوج ومأجوج.
- ١٨٢ ٨١، ٨٢، ٨٣. الخسوفات الثلاثة بالمشرق والمغرب وجزيرة العرب.
- ١٨٥ ٨٤. الدخان.
- ١٨٨ ٨٥. طلوع الشمس من مغربها.
- ١٩١ ٨٦. خروج الدابة.
- ١٩٣ ٨٧. النار التي تحشر الناس.
- ١٩٤ - صفة حشرها الناس.
- ٢١٠ خاتمة النظم.